

أَشْأَالِ الْغُرِّ وَالْفَكَرِ لِلْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

د. علي محمد عيسى
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

محمد توفيق الزبيدي
محاضر بكلية الدعوة وأصول الدين

بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

دار الأحياء

أَسْئَالُ الدُّعَاةِ الْغُرَوِّ وَالْفَكْرِ لِلْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ

د. علي محمد عيسى
أستاذ مساعد بكلية الشريعة

محمد شريون الزبون
محاضر بكلية الدعوة وأصول الدين

بالجامعة الإسلامية
بالمدينة المنورة

الطبعة الثالثة

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

دار الأئمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،
وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته الى يوم الدين ...

أما بعد —

فهذه الكلمات .. نسطرها في المذاهب الفكرية المعاصرة ..
لتكون زادا لطلاب الشريعة والدعوة .. بل زادا لكل صاحب دعوة ..

وليس الحديث عن المذاهب الفكرية المعاصرة سهلا ... ان العصر
يموج بنظريات ومبادئ تتنازع وتتصارع ، وان حروب السلاح أن
هذا أوارها ، أو وضعت أوزارها فلقد حلت محلها حروب الأفكار
والعقائد ...

● فالغرب يرفع راية العلمانية التي حبست الدين بين جدران
الكنائس ، وأبت عليه أن يكون له خارجها سلطان .

يرفع في مجال الاقتصاد مبادئ الرأسمالية .

ويرفع في مجال السياسة مبادئ الديمقراطية .

ويرفع في مجال الاجتماع مبادئ الحرية والتحرر التي اقتربت
من الفوضى الطاحنة القاضية على القيم والمثل والأخلاق .

ويغزو المجتمع الاسلامي بقيمه الجديدة ... ليتعد به عن قيم
الاسلام ومثله وفيها عزته وسعاده .

● والشرق الشيوعي يرفع راية الاشتراكية (العلمانية) أو
الشيوعية ، يضل بها الطبقات الساذجة ، ويمنيها بان الحكم
(للصعاليك) أو طبقة البروليتاريا — كما يسمونها — ويمارس
ضلاله وتضليله في الشرق الاسلامي ...

ويصطدم بمقيدته .. فيطور أسلوب دعوته أو « تكتيكها » ..
ليخدع جماهير المسلمين .

● ووسط قيم الغرب الفاسدة ، وتضليل الشرق السكافر ..
تعيش جماهير المسلمين بعد ما أصابها من تخلف .. وبعد عن منهج

الله ... تعيش أكثرها بين التمزق والضيق واغتراف القيادة المرائدة،
تتلمس النور وسط السراب وتتجسس الطريق وسط الظلام، وما هي
ببالغة حتى تعرف ما هو النور ... وما هو الطريق فتهدى وتسلك
... ونسير على الدرب حتى النجاة .

وفي باب تمهيدى نتحدث بمشيئة الله عن الواقع الاليم الذى تعيشه
أمة الاسلام بين التخلف والتمزق وأسباب ذلك ...

وفي الباب الأول نتحدث عما يجمع الغرب والشرق ، ثم عما يمارسه
الغرب المسيحي في الشرق الاسلامى .. قديمه وحديثه .

وفي الباب الثانى نتحدث عن الغزو الماركسى لبلاد الاسلام ..
أساسه من المبادئ وزيف هذه المبادئ ، ثم ما يفعلونه بالمسلمين
في بلادهم ، وما يحاولونه خارجها كاشفين عن أسلوبهم وتكتيكهم
الجديد .

وفي الباب الثالث نتحدث عن الصهيونية او (اليهودية العالمية)
ومخططاتها وجمعياتها السرية لتخريب العالم ..

وفي الباب الرابع : نشير الى رد الفعل لغزو الشرق والغرب
لبلاد المسلمين والحركات الاسلامية التي قامت مناهضة لذلك الغزو،
وما فيها من قصور ، ثم نحاول ان نقبين النور والطريق ...

والله المستعان وعليه التكلن .

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

باب تمهيدى

واقع اليم :

الواقع اليم ينطق .. بتخلف الأمة الإسلامية .

ولم تكن كذلك :

لقد عاشت أكثر من ألف سنة .. فى مقدمة الأمم .. بل لقد عاشت فترة طويلة هى الأمة الأولى فى العالم كله .. يعمل لها ألف حساب ، ويطلب ودها ، ويسعى أمثال امبراطور المانيا للتقرب من خليفتها فيرسسل له الهدايا ..

وجملت فى خلال هذه الفترة حضارة الاسلام للدنيا كلها .. حملتها بالعلم والخلق قبل أن تحمل السيف فى وجه اعداء الاسلام ، ولم تكره على عقيدتها أحدا .. فان القرآن علمها أن « لا اكراه فى الدين » (١) . ، وإنما دخل الناس فى دين الله أفواجا لمسا رأوا صفاء العقيدة وسموها ، ولما شاهدوا جمال الخلق ورفعته فأحسوا أن هذا الدين ينشئ نشأ جديدا .. يخرجهم من (عبادة العباد الى عبادة رب العباد . ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة) .

وما عرفه الغرب من تقدم .. كان نتيجة احتكاكه بالشرق الاسلامى .
أن نقطة البدء فى ذلك التقدم كانت حركة الإصلاح الدينى ، حيث ثار الناس على ظلم الكنيسة واضطهادها ، وثاروا على كثير من مفاهيمها المعقدة .. بعدما رأوا صفاء العقيدة الإسلامية ويسرها ، وسماحة الاسلام وسمو خلقه ..

ثم كانت بذور النهضة الأوروبية العلمية اخذا عن علماء المسلمين الذين تعلم الفرييون على أيديهم فى جزر البحر الابيض ، وفى الاندلس ، ومن قبل ذلك احتكوا بهم أبان الحروب الصليبية .
وإذ بدأ الغرب فى نهضته ... بدأ الشرق الاسلامى فى كبوته .

وكان لذلك اسباب عديدة ... بعضها من انفسنا ، وبعضها خارج عن ارادتنا .

اسباب من انفسنا :

« وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير » (٢) تلك

(١) البقرة ٢٥٦

(٢) الشورى ٢٠

سنة الله في أرضه ، وحكمه بين خلقه ... لا يخفض قوما بعد اذ رفعهم
الا بما كسبت أيديهم ، ولا يغير بعد ذلك ما بهم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

وهو ما حدث بالامة الاسلامية .. حين داخلها شيء من الغرور أن الله
اختارها وأن يستبدل بها .. ونسيت أن الاختيار مؤسس على أسبابه
(« تأمرون بالمعروف وننهون عن المنكر » ، وتؤمنون بالله (١)) وتحت هذه
الشعب الثلاث يندرج الاسلام كله .

(أ) أن أول ما أصاب الأمة الاسلامية بعدها عن كتاب ربها وسنة
رسولها .. ومحاولة الأخذ من غير هذين النبعين الصافين الأصليين ،
خاصة بعد ما أوتى الغرب شيئا من التفوق الحضارى على أساس مآدى .

(ب) وصحب ذلك انهزام داخلي ... أصاب شعور الأمة ... أو
بعضها فعدلت ما عند الناس بما عند الله ... أن لم يداخلها
الوسواس أنه أفضل .

(ج) وصحب ذلك ... التقليد والمحاكاة

ولم تكن تلك صفة الأمة الاسلامية .

بل ليست هذه صفة الأمم الاصيلية .

انها صفة القردة ... أن كانوا حيوانات ... أو كانوا ممن غضب الله
عليهم ولعنهم وجعل منهم القردة وعبد الطاغوت .

(د) ولزم ذلك كله الفرقة .

تفككت الدولة الواحدة وأصبحت دويلات (٢) ، وتصارع الحكام على
الدنيا ، وأحلوا قومهم دار البوار

والفرقة دائما فرصة العدو للنفاذ ... أن الصف المتلاحم المتلاصق
لا يستطيع عدوان يخترقه .. أما الصف المضطرب المختلف الممزق ..
فاخترقه سهل ويسير والحزمة الواحدة قوية قد تستعصى على الكسر ..
أما العيدان المتفرقة فكسرها سهل يسير .

(هـ) وأعقب ذلك كله .. تخلف عن مواكبة العصر ... فيما وصل اليه
من أبحاث علمية تجريبية ... وما فرض من أخلاق بآب الاجتهاد ...
ما جر على المسلمين بعد ذلك ... أن ينقلوا عن غيرهم ... فينقلوا الفث
مع السمين بل ينقلون الفث أكثر مما ينقلون السمين ، وهكذا رأينا ثمار
البعثات الخارجية ... أخذا بقتلور المدنية الغربية وفسادها دون أخذ
بلبابها .

(١) آل عمران ١١٠

(٢) انظر كيف تفككت الامة الاسلامية الواحدة الى دولة المغول الاسلامية في الهند ودولة
مطرس ، والدولة العثمانية ، ودولة المماليك في مصر .

وانظر كيف هي الآن اشد تفككا ... وكيف تقوم فيها دول هي بالنسبة للآخرى بمثابة
أحياء في مدينة .

أما الأسباب الخارجة عن أنفسنا :

فهى التى فرضها أعداء الإسلام على المسلمين .
وكانت نتيجة لتخطيط أثيم بدأ منذ الحروب الصليبية ... وانتهى الى
الحرب الضارية التى تمارس الآن على العالم الإسلامى ، ولكن بأسلوب
جديد ... وهو موضوع هذه الدراسة باذن الله .

وقبل أن نغادر هذا الباب للحديث عن غزو المسلمين .. نشير الى أنه
رغم الضراوة الشديدة التى يمارسها أعداء الإسلام ... فلا يزال الحل
بأيدينا ...

لا يزال بأيدينا النور ...

ولا يزال أماننا الطريق ...

وبعد ذلك فلقد خص الله هذه الأمة

فجعلها قلب العالم كله من كل ناحية .

● من ناحية المكان .. هى مركز الدائرة بالنسبة للعالم كله ، وهو
ما يجعل لها مركزا استراتيجيا خطيرا لا يتوفر لأية أمة أخرى (١) .

● من ناحية الثروات .. فلقد جمع الله فيها أنواع الثروات الأرضية بما
يحقق اكتفاء ذاتيا ، وبما يحقق حاجة العالم كله اليها .

وليس الأمر قاصرا على البترول . وتكفى هذه الإشارة .

● من ناحية الخامة البشرية ... فان الدراسة المنصفة للطبيعة
البشرية وخصائصها تجعل لهذه الأمة من الخصائص البشرية ما ليس لأمة
أخرى وبذلك تتحقق الوسيطية لهذه الأمة على اختلاف وجوها .
وصدق الله العظيم :

(وكذاك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا) (٢) .

وقبل ذلك وبعد ذلك ما قلناه من نور .

ومن طريق وهو ما نشير اليه بمشيئة الله فى نهاية البحث كله .

(١) سجل الدكتور حسين كمال الدين الاستاذ بكلية الهندسة بجامعة الرياض فى بحث
على هام أن الكعبة المشرفة هى المركز لدائرة العالم كله ، بحيث لو أردنا رسم دائرة للعالم
لكان لواها وضع السن على الكعبة المشرفة ليكن رسم هذه الدائرة .
(البحث قدم مؤتمر الفقه الإسلامى المنعقد بالرياض فى ذى القعدة ١٣٦٦) .
(٢) البقرة ١٤٣

توطئة

نقوم الحضارة الغربية الحديثة على أساس من فكر فلسفى أرسى قواعده أمثال .. ديكارت .. صاحب منهج البحث الاستنباطى ، وفرنسيس بيكون ، صاحب المنهج التجريبي ، وكومت ، مؤسس المذهب الوضعى .. وهو فى جملته فكر مادى .. نتج عنه بعد ذلك فى أمريكا مذهب البراجماتزم أو المذهب العلمى ، وهو الذى ساد الفكر الأمريكى منذ القرن الماضى .

ونقوم الماركسية كذلك على أساس من فكر مادى يعطى المسادة كل شئ ويفسر التاريخ على أساس منها .. وقد أخذ كارل ماركس عن غيره من فلاسفة الغرب — كما سنشير بتفصيل فى موضعه بأذن الله .

ولئن بقى فى الغرب آثار من دين وسط انتيار المادى العارم .. فإنها « غلالة » رقيقة لا نحسب أنها ستصمد طويلا .. ودليل ذلك احصائيات كثيرة .. ودليله كذلك لجوء رجال الدين فى الولايات المتحدة من أجل ترويض بضاعتهم الى وسائل لا تتفق أبدا مع الدين .. وهو ما يحدث من دعوتهم الشباب من الجنسين عقب الصلوات الى حفلات راقصة .. تخفت فيها الأنوار .. وتلاصق الأجساد ، وتنطلق الأنغام خافتة حائلة ... توقظ الرغبة وتشعل الشهوة .

وبقايها الحمية الدينية عندهم .. لم تعد تظهر آزاء الانحرافات الخطيرة الواقعة فى مجتمعاتهم وألتي تهدد مجتمعهم نفسه بالتصدع والسقوط .. وإنما تظهر فقط آزاء الأديان الأخرى .. وبالتحديد آزاء كل تجمع اسلامى يبغي إعادة مجد الاسلام — كما سنبينه من خلال هذا البحث .

وقيام الشرق والغرب رغم اختلافهما الظاهر — على أساس فكرى واحد (١) أمر يستلفت النظر ويوحى بالتساؤل . تماما كما تشهد فى طريقك بنائين مقامين على تصميم هندسى واحد . فتشهد أن المصمم واحد .. أو أنهما خريجا مدرسة واحدة .. وكما تشهد خلق الله .. فنجد من كل زوجين اثنين — الإنسان فيه الذكر والانثى .

(١) التفكير المادى العلمى ينقسم الى اتجاهين :

— الاتجاه الميكانيكى Mechanist Materialisme وهو اتجاه مادى لا يرى وجودا للروح أو العقل فضلا عن أن يتسبب اليها لتدبير الجسم .

— الاتجاه المادى الديالكتيكى Dialectic Materialisme ويرى أن وجود الروح والعقل تابع لوجود المادة ، والاتجاهان بذلك ينكران الغيب أو يستبعدانه . للدكتور البهى — ص ٨٦ الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى .

الحيوان فيه الذكر والانثى .
 النباتات فيه الذكر والانثى .
 الجماد فيه الموجب والسالب . كما في الكهرباء .. والمغنطيس ...
 والذرة ...
 فنخرج من هذا .. ان الخالق الصانع .. واحد .. سبحانه وتعالى ..
 قيام المعسكرين المتنازعين على أساس فكرى واحد أمر يستلفت نفس
 النظر ويوحى نفس التساؤل ...
 وننظر .. فنجد .. كارل ماركس من أصل يهودى (١) .
 ونجد الثورة البلشفية قد موات بأموال يهودية (٢) .
 ونجد كثيرا من القيادات الشيوعية يهودية الأصل (٣) .
 ونجد التسعار الشيوعى هو الأقوى الرمزية .
 وهى رمز للامة اليهودية ، وبداخلها النجمة السادسة وهى تسعار
 اليهود كذلك (٤) .
 وننظر الى الغرب ... فنجد فكرة فصل الدين عن الدولة من عمل
 اليهود (٥) .
 ونجد الحروب الصليبية (٦) وبعض الحروب العالمية من عملهم كذلك (٧) .
 وتجد بصماتهم فى وعد بلفور ، وفى الاعداد لدولة اسرائيل ، وفى الاعتراف
 بدولة اسرائيل ، والتدخل لمساعدتها ...
 كما نجد هذه البصمات .. فى مقتل جون كيندى ، وفى عزل نيكسون ،
 (وهما من رؤساء الولايات المتحدة السابقين) ، وفى بعض الأحداث فى
 المنطقة الاسلامية والعربية .
 ونعود الى الأساس الذى بنى عليه الفكر الغربى والماركسى « المادة » .
 فنجد التشابه بينه وبين ما يؤمن به اليهود ... وكل اناء بما فيه ينضح
 ... أن القرآن وصفهم « واتخذتهم آجرص الناس على حياة (٨) أى حياة
 ولو كانت رخيصة ... لأن المادة نقلها فى نفوسهم وقلوبهم » .
 وانتشار الأساس المادى .. يودى الى : الصراع على المادة ، ثم
 يودى الى الانزلاق فى الشهوات ...
 وكلا من الأمرين من سياسة اليهود .. « كلما أوقدوا نارا للحرب اطفأها
 الله .. ويسعون فى الأرض فسادا ... والله لا يحب المفسدين » (٩) .

(١) الشيوعية والانسانية فى شريعة الاسلام للاستاذ عباس محمود العقاد ص ٣٣ ، ٤٣
 (٢) محمد خليفة التونسي - الخطر اليهودى - الطبعة الرابعة ص ٦٨ ، ص ١١٠
 (٣) سرجى نيلوس - ترجمة البروتوكولات ، المرجع السابق ص ٤ ، ٢٤ ، ٢١٣ ومابعدها .
 (٤) وليام فاى كار - احجار على رقعة الشطرنج - ١٣ تشرين ١٩٥٨ م
 (٥) محمد خليفة التونسي - المرجع السابق .
 (٦) البقرة ٩٦
 (٧) سورة المائدة/ ٦٤

وما نود بعد ذلك أن نخوض في مدى سلامة البروتوكولات التي نشرها
سرجي نيلوس لأول مرة في سنة ١٩٠٢ بعد أن وصلت إليه — كما ذكر —
في سنة ١٩٠١ فإنها من ناحية السند ضعيفة .. إذ لم يعرف مصدرها
الحقيقي حتى الآن (١) .

ولكن الأحداث التي جرت والتي تجرى قد تؤكد صحتها وسلامة نسبتها
مما يشعر معه الإنسان أنه أمام ما قد يسمى بالحقائق المسلمة .

ووقوع الأحداث التي توقعها ناشرها بعد نشرها بفترات أقلها خمسة
عشر عاما وأطولها ما يقرب من الخمسين .. يلقي ظلالا على صحة هذه
الوثائق .. فقد تنبأ نيلوس أن يحاول اليهود الاستيلاء على السلطة في
روسيا .. وتم لهم ذلك بعدها بحوالي خمسة عشر عاما . وتنبأ نيلوس أن
تحاول الأممى اقتحام الاستانة قبل أن تقوم دولة لليهود (٢) .

والغيت الخلافة الإسلامية في سنة ١٣٤٢ هـ .. وكانت « اليد الخفية »
تعمل في الظلام على تحطيمها .

وقامت دولة إسرائيل سنة ١٩٦٧ هـ .. واعترفت بها أمريكا .. وأعقبته
روسيا في يوم واحد .

ومع ذلك كله فيبقى احتمال وجود اليهود وراء الفكرين الغربي والشرقي
... من القاحية العلمية .. مجرد احتمال .. وإن كان احتمالا راجحا —
لكننا نأخذ به حذر حتى لا نقع في «التهويل» كما لا ينبغي أن نقع في «التهوين»
فكلاهما تطرف غير سليم .. كلاهما افراط وتفريط .. وتبقى الاحتمالات
الأخرى قائمة .. وإن كانت مرجوحة — ومن بينها أن يكون الانتكاس قد
أصاب الفطرة الإنسانية .. في الشرق والغرب .. في وقت واحد ..
فقامت فلسفتها وفكرها على أساس أن :

« لا موجود إلا المادة » (٣) .

وهذا الأساس بغير اغراق في الجانب الفلسفي — ليس صحيحا على
اطلاقه إذ لا شك بوجود أشياء غير المادة ... فالفكر والفهم ليس أمرا
ماديا .. وهو موجود والشاعر والعواطف ليست أمرا ماديا ...
وهي موجودة ...

والله سبحانه وتعالى .. ليس شيئا ماديا وهو سبحانه وتعالى موجود .
.....

ولا يلزم للوجود أن تدركه الحواس بالبصر .. أو باللمس .. أو بالشم ..
كما يذهب أكثرهم فإن الإدراك بالآثر .. أقوى وأشد ، فانت لا ترى

(١) تعلمنا علوم السنة علما جليلا لم يصل اليه بعد علم الغرب وهو علم الرجال وما يتعلق
بهم من جرح وتعديل ، وهو علم دقيق بالغ الدقة .. وتطبيق قواعده لمعرفة سند البروتوكولات
الى أبناء صهيون قد يؤدي — حتى الآن — الى استبعادها .. لكن الأحداث تؤيد وترجع
صدق ما جاء فيها أي صدق نسبتها .

(٢) سرجي نيلوس — المرجع السابق ص ٢١٦ ، ٢١٧ .

(٣) الزميل الكبير الدكتور جعفر ادريس في محاضرة قيمة له عن المادة — غير منشورة .

الكهرباء .. ولكن تدرك أثرها .. وهو التور وانت لا ترى الروح ..
ولكن تدرك أثرها .. وهو الحياة ..

ثم اذا تدرجت مع الماديين وساءلتهم .. من الذى أوجد المادة ..
فسيتدرجون معك . حتى يتدرج مثل « دارون » الى الخلية الأولى ...
ونقول له ومن الذى أوجد الخلية الأولى ، سيسكت بعضهم .. وسيقول
آخرون .. المصادفة .. أو الطبيعة والساكئون أراحوا واستراحوا .

والقاتلون بالمصادفة أو الطبيعة ندع فريقا آخر يرد عليهم .

* ان القول بأن الحياة وجدت نتيجة حادث اتفاقى تشبيهه فى مغزاه بأن
نتوقع اعداد معجم ضخمة نتيجة انفجار صدق يقع فى مطبعة (١) .

* أو جلس ستة من القروء على آلات كاتبة ، وظلت تضرب على حروفها
للبلايين السنين فلا يستبعد أن نجد من بعض الأوراق التى كتبوها قصيدة
من قصائد شكسبير ، وكذلك كان الكون الموجود الآن نتيجة عمليات عمياء
ظلت تدور فى المادة لبلايين السنين (٢) .

* ولو كان يمكن للكون أن يخلق نفسه فان معنى ذلك ان يتمتع بأوصاف
الخالق ، وفى هذه الحالة سنضطر أن نؤمن بأن الكون هو الاله .. وهكذا
ننتهى الى التسليم بوجود الاله ، ولكن الهنا هذا سوف يكون عجيبا ..
اله غيبيا وماديا فى آن واحد .. اننى افضل أن أؤمن بذلك الاله الذى خلق
العالم المادى وهو ليس بجزء من هذا الكون بل هو حاكمه ومديره ... بدلا
من أن اتبنى هذه الخزعبلات ... (٣)

ويعقب القرآن على تلك القضية ، ويصفها فى تساؤل جميل :

* (أم خلقوا من غير شئ .. أم هم الخالقون ... ؟

أم خلقوا السموات والأرض ... ؟ بل لا يوقنون ؟) (٤)

وفى مكان آخر تساؤل آخر :

(أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق
ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ... أعله مع الله ... ؟ بل هم
قوم يعدلون .

(أمن جعل الأرض قرارا ، وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى ،
وجعل بين البحرين حاجزا .. أعله مع الله ... ؟ بل أكثرهم لا يعلمون .

(أمن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض .
أعله مع الله ... ؟ قليلا ما تذكرون .

(١) البروفيسور ايدوين كويكلى .

(٢) هكسلى .

(٣) جورج ايرل ديفيس اقرا تفصيلا وعرضا جميلا فى كتاب الاسلام يتحدى — مدخل ملى
للإيمان تأليف وحيد الدين خان وتقديم ومراجعة عبد الصبور شاهين — الطبعة الثالثة
المختار الاسلامى ١٩٧٣ م .

(٤) سورة الطور ٣٥ ، ٣٦

(أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي
رحمته ... اعلمه مع الله .. ؟ تعالى الله عما يشركون .
(أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ...
اعلمه مع الله ... ؟ قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) (١) .

(١) سورة النمل ٦٣ ، ٦٤

الباب الأول الاتجاه الغربي

الفصل الأول :
مراحل الغزو الفكري الغربي

الفصل الثاني :
التغيير السياسي والاجتماعي
في المنطقة الإسلامية

الفصل الثالث :
ماذا يفعل بنا الصليبيون

الفصل الأول مراحل الغزو الفكري الغربي

مقدمة :

وجود الغرب المسيحي هنا في شرقنا الاسلامي لم يكن صدفة ..
بدأ بالوجود المادي العسكري .. وتبعه الاستشراق والتبشير (الوجود
المعنوي) .. واعقبه مرة أخرى الوجود العسكري (الاستعمار وتقطيع
أوصال دولة الخلافة الاسلامية) ثم اعقبه بث فكرة فصل الدين عن
الدولة ، وفكرة القومية ، ثم الاجهاز على الخلافة الاسلامية ، واخيرا ..
حين رحلت جنوده .. ابقى له جنودا آخرين .. من جلدتنا ويتحدثون
بلساننا وبهم أجرى التغيير السياسي المطلوب ، واجرى التغيير الاجتماعي
المقصود .

ولنحاول ان نقسمها الى ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى :

مرحلة ما قبل اسقاط الخلافة الاسلامية ونتحدث عنها في مبحث أول .

المرحلة الثانية :

مرحلة الاجهاز على الخلافة الاسلامية ونتحدث عنها في مبحث ثان .

المرحلة الثالثة :

مرحلة ما بعد اسقاط دولة الخلافة ونتحدث عنها في مبحث ثالث .

المبحث الأول

مرحلة ما قبل اسقاط الخلافة الاسلامية

وتبدأ بالحروب الصليبية ثم الاستشراق ، ثم التبشير *

أولا : الحروب الصليبية :

لسنا نكتب تاريخا .. ولكننا نستخلص عبرا .. من الحقائق التاريخية المسلم بها فمن هذه الحقائق ان الغرب جرد حملات غزت الشرق الاسلامي باسم الصليب وتحت رايته ، وكان رجال الكنيسة في أوروبا يدفعون الملوك والشعوب الى هذه الحروب^(١) ، فاتخذت بذلك طابعا دينيا شكلا وموضوعا ، وكان تفرق المسلمين الى دويلات .. وضعف دولتهم مشجعا لهم على ذلك الغزو .. وليس صحيحا ما يحاول بعض الكتاب العرب تصويره من أنها كانت مجرد حملات استعمارية

(١) أول من دعا الى هذه الحروب الصليبية — كما يقول صاحب كتاب حاضرم العالم الاسلامي هو البابا سلفستر الثاني سنة ١٠٠٢م ولكنه لم يوفق، ثم البابا غريغوريوس سنة ١٠٧٥م لكنها تأخرت حوالي عشرين سنة حتى سنة ١٠٩٧ — وكان كتاب النصاري ومفكرهم يحرشون عليها كذلك تذكر منهم : هكتور ساتيتو ، ومارينو ، بين ديبوا ، جيلوم دي توجاري ، ريموند لول بتراك .

وفي كتاب تاريخ البابوات تأليف السيد فرناند هانوارد بيان كيف لب البابوات ملوك أوروبا لحرب المسلمين وكيف حاولوا بأنفسهم قيادة هذه الحروب الصليبية .. راجع حاضرم العالم الاسلامي تأليف لوثرروب ستودارد ، نقله الى العربية الاستاذ عجاج نويهض وعلق عليه تعليقات مستفيضة الأمير شكيب أرسلان — دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م ص ٢١٨ وقد كتب كارلس الثامن الى رئيس فرسان رودس يكاشفه بما نواه من نشر الديانة المقدسة الكاثوليكية وتحرير المسيحيين مما هم فيه من الخنوع للامية الجاحدة واسترداد الاراضي المقدسة المضمومة فأجابه رئيس الفرسان متهما مؤيلا هذه المرة باستئصال شافة الامة الممونة امة محمد ص ٥٩ من كتاب مائة مشروع لتقسيم تركيا — تأليف المسيو دجوقارا (الاماني المرجع السابق ص ٢٢٨) .

ويشير المؤرخون الى أن الحملة الصليبية عند دخولها بيت المقدس في ١٥ يوليو ١٠٩٩ م الموافق ٣ رمضان ٤٩٢ هـ ذبحت أكثر من سبعين ألف مسلم حتى سبحت الخيل الى صدورها في الدماء وفي انطاكية قتلوا في الطريق أكثر من مائة ألف مسلم . راجع حاضرم العالم الاسلامي . وراجع كذلك جوستاف لوبون في كتابه : حضارة العرب ..

باحثة عن المصالح الاقتصادية .. نعم .. قد يكون الاستعمار والاستغلال الاقتصادي من أهدافها ، لكنه بالتأكيد ليس الهدف الأول الرئيسي ،
 انها كان هذا هدفا دينيا .. ولم تكن حماسة رجال الدين المسيحي ولا مشاركتهم في هذه الحملات عفوا ولا لغوا ، ولكنه كان قصدا الى الانتقام من غزو الاسلام لقلب أوروبا ، حتى صار البحر الأبيض المتوسط بحيرة اسلامية خالصة ، وحتى بلغ المسلمون جنوب فرنسا .. ثم قصدا بعد الانتقام الى ادخال المسلمين في المسيحية ذاتها ، وهو ما ستفسره المرحلة التالية لهذه الحروب .. والأمران يفسرهما قول الله سبحانه وتعالى : (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم^(١)) وقوله : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا^(٢)) وقد يكون صحيحا ما اشار اليه كاتب أمريكي^(٣) ، من أن اليهود كانوا وراء الحروب الصليبية .. قصدا الى اضعاف العالمين المسيحي والاسلامي كما أشار ، ثم تحقيقا لزيد من الكسب والربا اثناء تلك الحروب ..

لكن لو لم يحركهم اليهود .. لتحركوا كذلك .. فان ما بدا منهم في تلك الحروب ينم عن حقد دفين ، وما تخفى صدورهم أكبر .

العصمة في الاسلام للأمة لا للإمام :

ولئن كانت الدولة الاسلامية في ذلك الحين مفككة الأوصال .. فلقد جعل الله من معجزات دينه بعد القرآن .. هذه الأمة .. فلقد حولها القرآن بحق خير أمة أخرجت للناس ، حتى صبح ما قيل من ان العصمة في الاسلام للأمة لا للإمام .. اخذا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم « لا تجتمع أمتي على ضلالة » ، ثم استمدادا من أحداث التاريخ التي ظلت معها الأمة الاسلامية صامدة شامخة .. برغم ما وجه الى صدرها وقلبيها من سهام وحراب .. ١٠

انتفضت الأمة لمسا رأت الصليب فوق رعوس أعدائها .. انتفضت تحارب أعداء الله وأعداءها بكل سبيل ، واسترخصت الدم والروح في سبيل الله .. وتعجلت لقاء الله وجنته .. فاعطاها الله الحسنين .. النصر والجنة .. وارتدت حملات الصليب على أعقابها خاسرة بعد

(١) البقرة ١٢٠

(٢) البقرة ٢١٧

(٣) الكاتب الأمريكي وليام غاي كار .

معارك طاحنة استمرت قرنين كاملين .. وفي قصص التاريخ لبطولات المسلمين في هذه الحروب .. وتفنتهم فيها .. ما يحتاج الى ان يكتب بأحرف من نور .

وبرز نور الدين الشهيد محمود بن زنكى التركى .. ثم برز صلاح الدين الأيوبي .. الكردي .. وغيرهما ممن قادوا جماهير الأمة الى النصر .. لتثبت عالمية هذه الدعوة فلا فضل لعربى على اعجمى الا بالتقوى وجاهد جماهير من التركستان الحبيبة (التى ترزح تحت الالهاد الشيوعى المجرم) وحرروا أرض الاسلام من جحافل الصليبية الحاقدة .. بينما لم يجد هؤلاء من يقف الى جوارهم يوم أهدمت روسيا منم ثلاثة ملايين .. !

وايقن الغرب المسيحى أنه مهما ضعفت دولة الاسلام .. فانه لن يستطيع النيل منها ومن أمتها .. حتى ينال .. أولا عقيدتها .. وفكرها ..

وكانت المرحلة الثانية — مرحلة الاستشراق والتبشير .

ثانيا : الاستشراق :

وقبل ان يظهر التبشير .. كبديل عن الحروب لتحطيم عقيدة المسلمين وفكرهم نشير الى أن الحروب الصليبية انتجت كذلك انتاجا فكريا (هو الاستشراق) .. اذ نفر قوم من الغربيين يدفعهم التعصب الصليبي الى الكتابة عن الاسلام فافقدتهم التعصب أمانة العلم ، وعمدوا الى تشويه الاسلام من عدة نواح :

— فرددوا أن القرآن من وضع محمد عليه الصلاة والسلام ، وان سذاجة الصحابة وايمانهم دفعهم الى نقله على أنه من عند الله .

— وخلطوا في مصادر الاحكام الاسلامية بين المصادر الالهية (القرآن والسنة) وبين الاجتهاد .. ونظروا الى الجميع على أنها من صنع البشر فسووا بينها في المنزلة !

— ودعوا الى التصوف الاسلامى لما يؤدى اليه في أكثر الاحيان من صرف أصحابه عن الجهاد وهو أكثر ما يثير الصليبيين ويفزعهم (راجع الصوفية في الاسلام للمستشرق نيلكسون ص ٧ ، ٨) .

وقد بدأ الاستشراق في الأندلس (إسبانيا) في القرن السابع الهجرى ، حين اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين . . فدعا (الفونس) ملك قشتالة ميثيل سكوت ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم ، فجمع سكوت طائفة من الرهبان في بعض الأديرة بالقرب من مدينة طليطلة وشرعوا يترجمون بعض الكتب من اللغة العربية الى لغة الفرنجة ثم قدمها سكوت للك صقلية الذى أمر باستنساخ نسخ منها وبعث بها هدية الى جامعة باريس .

وكذلك قام رئيس أساقفة طليطلة ريمون اول بنشاط كبير في الترجمة ، ومع الزمن توسع الأوروبيون بالنقل والترجمة في مختلف الفنون والعلوم من الهيات وطب وهندسة وفلك وغيرها ، وبعد اختراع الطباعة أنشئت في أوروبا مطابع عربية لطبع عدد من الكتب التى كانت تدرس في المدارس والجامعات الأوروبية .

ولم يكن عمل المستشرقين منفصلا عن عمل المبشرين بل كانت مهمة كل من الطائفتين تدخل في الأخرى . وكان فشل الصليبيين في حملاتهم المتوالية على الشرق الاسلامى دافعا للمزيد من الاهتمام بالثقافة الاسلامية ، وقد ظهرت أخيرا وثيقة خطيرة تلقى الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكرى الى الغزو الفكرى ، وهذه الوثيقة تتضمن وصية (القديس) لويس ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة التى انتهت بالفشل والهزيمة ووقوع (لويس) في أسر المصريين في مدينة المنصورة ، وقد بذل الملك لويس فدية عظيمة للخلاص من الأسر ، وبعد أن عاد الى فرنسا أيقن أنه لا سبيل الى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية ، لأن تدينهم بالاسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الاسلام وحون الحرمات والأعراض به والمسلمون قادرون دوما للانطلاق من عقيدتهم الى الجهاد ودحر الغزاة . وأنه لا بد من سبيل آخر ، وهو تحويل التفكير الاسلامى وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكرى . بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الاسلامية ليأخذوا منها السلاح الجديد الذى يغزون به (الفكر) الاسلامى ، وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح الى معركة في ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة التى تحمل طابع الجهاد وتدفع المؤمنين الى الاستشهاد .

وقد سار الأوروبيون في طريق تنفيذ وصية القديس لويس في

تزييف العقيدة الاسلامية وامتصاص ما فيها من قوة وجهاد وايمان عن طريق التفرقة بين العقيدة والشريعة ، وتصوير الاسلام بصورة الدين الذى يبذل غاية همه فى العبادة كالمسيحية ، الى أن وصلوا الى الفصل بين الدين والدولة ، وفقد المسلمون ذلك السر الخطير الكامن فى أصالة عقيدتهم وجوهر دينهم^(١) .

ويرى كثير من الباحثين أن الاستشراق تولد من الاستعمار والتبشير .

فالاستعمار : يرى فى المفهوم الاسلامى السليم ما يعطى المجتمع الاسلامى قوة تحول بينه وبين سيطرة الاستعمار ، فعمل المستشرقون على تقويض العقيدة الاسلامية ، واحلال مفاهيم تحل الصداقة بين الدول الغالبة والمغلوبة . . محلها ، تحت اسم : الحضارة ، أو العالمية ، أو وحدة الثقافة والفكر البشرى .

وأما التبشير فإنه يستهدف الحيلولة دون توسع الاسلام وانتشاره ، وعدم منافسته للمسيحية فى البلاد التى تحاول القيام بالتبشير ونشر المسيحية فيها .

والخطر الأكبر فى نظر المبشرين هو فى وصول مفاهيم الاسلام الصحيحة الى عالم الغرب نفسه ، ومما يذكر أن المسلمين لما فتحو مدينة القسطنطينية — عاصمة الدولة الرومانية الشرقية ، وفيها مركز البابوية للكنائس الشرقية — هب رجال الكنيسة وقد هالهم الخطب العظيم ، فأخذوا فى الافتراء والتشنيع على الاسلام وتشويه أحكامه الالهية العادلة ، وكان الدافع لهم فى هذه الحملة الحيلولة بين رعاياهم الذين أقبلوا على الدخول فى دين الله أفواجا ، ليصدوهم عن الاسلام الذى يبيح تعدد الزوجات والطلاق . .

وجاءت الصهيونية فدخلت ميدان الاستشراق لتحول دون اجتماع المسلمين فى وحدة تقاوم اليهودية العالمية ، وتواجه دولة اليهود الباغية (اسرائيل) ، والمستشرقون اليهود يعملون فى هذا المجال .

(١) « الاسلام فى وجه الغرب : مخططات الاستشراق والتبشير » للاستاذ انور الجدى ص ٧ ، ٨

تطور الاستشراق

وفي مطلع القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن الثامن عشر الميلادي) عمد المستشرقون الى تغيير أساليبهم وأرادوا أن يظهروا بمظهر جديد هو ما زعموه من تحرير الاستشراق من الأغراض التبشيرية ، والاتجاه به وجهة البحث العلمى البحت . . فأنشئت كليات لتدريس اللغات الشرقية في عواصم أوروبا مثل لندن وباريس وليدن وبرلين وبطرسبرج وغيرها ، وظهرت فيها أقسام خاصة لدراسة اللغة العربية وبعض اللغات الإسلامية كالفارسية والتركية والأردية وكان الغرض الأول منها تزويد السلطات الاستعمارية بخبراء في الشؤون الإسلامية ، ثم أخذ الطلاب المسلمون يؤمنون هذه الكليات الأوروبية للدراسة فيها ، وبذلك تأثر الفكر الإسلامى بما يلقّيه المستشرقون في أذهان هؤلاء المبعوثين من أبناء المسلمين . . ثم تسلك المستشرقون الى الدوائر العلمية والجامعات في الدول الإسلامية ، بل الى الجامعات العلمية في القاهرة ودمشق وبغداد ، وقامت المؤسسات الدينية والسياسية والاقتصادية في الغرب بما كان يقوم به الملوك في الماضى من الاغداق على المستشرقين ، وتقديم المنح والمعونات لهم .

وقد أنشأت الدول الاستعمارية عدة مؤسسات في البلاد الإسلامية التى خضعت لنفوذها لخدمة الاستشراق ظاهريا ، وكان هدفها الحقيقي خدمة الاستعمار والتبشير الكاثوليكي والبروتستانتى ، من هذه المؤسسات في مصر : المعهد الشرقى بدير الدومينيكان ، والمعهد الفرنسى ، وندوة الكتاب ، ودار السلام ، والجامعة الأمريكية ، وفي لبنان : جامعة القديس يوسف (وهى جامعة بابوية كاثوليكية وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية) والجامعة الأمريكية ببيروت ، (وكانت تسمى من قبل الكلية السورية الانجيلية وهى بروتستنتية) ، وفي سورية : مدارس اللايبك ، والفريز ، ودار السلام ، وغيرها . . وهكذا في كل الاقطار الإسلامية . .

أهداف المستشرقين

أولا : الحيلولة بين الشعب النصرانية وبين الإسلام ، فقد عمل المستشرقون على تشويه الإسلام وحجب محاسنه لاقتناع قومهم بعدم صلاحيته لهم نظام حياة ، ولعل هذا هو أخطر الجوانب التى قام لأجلها

الاستشراق والتبشير وذلك في أعقاب الحروب الصليبية وعودة المحاربين الى أوروبا ، يحملون صسورة مشرقة لمعاملات المسلمين لهم وسملحة الاسلام ، وقد عمد رجال الكنيسة الى اخراس الالسنة النصفة ، وحاولوا ترجمة القرآن لتزييف مفاهيمه وانتقاصها • وقد استغل الاستشراق كراهية الأوروبيين للاسلام بعد التوسع العثماني في أوروبا وما صحبه من تعصب وحروب استمرت عدة قرون ، فعمل المستشرقون على تعميق الكراهية والأحقاد في نفوس الأوروبيين وتغذيتها بالشبهات والأباطيل بهدف حجب الاسلام عن أوروبا والحيلولة دون نفاذه اليها •

ثانيا : تأييد الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين والعمل لتحطيم المقاومة الاسلامية ، بتأويل الجهاد وصرف أنظار المسلمين الى الدعة والقعود عن الجهاد في سبيل الله ومدافعة الغزاة بالاشتغال بالعبادة والزهد وتسميتها بالجهاد الأكبر •• وتحطيم وحدة المسلمين وتمزيق الدول الاسلامية ، وعزل الشريعة الاسلامية عن التطبيق في المجتمع الاسلامي واحلال الأنظمة القانونية والاقتصادية والسياسية والتربوية لتحل محل الاسلام بالقوة •

ثالثا : فصل المسلمين عن جذورهم الثابتة الأصيلة ، بتشويه تلك الأصول ، وعزلها عن مصادرها ، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي والاجتماعي والنفسي والعقلي للمسلمين ، ومن شأن هذا أن يفتح الباب الى الاستسلام أمام الاستعمار وثقافته وفكره ، والتأثير في نفوس المسلمين وزحزحة عقائدهم بما يفتح للتبشير المسيحي طريقا الى تحويل بعض ضعاف العقيدة الى ملاحدة وأتباع (١) •

والخلاصة فقد كان المستشرقون طلائع للمبشرين يمهدون السبيل أمامهم لتشكيك المسلمين في عقائدهم ، ويفتحون أمام دعاة النصرانية السبيل للطعن في الاسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم بأنواع شتى من المشعوذة العلمية باسم البحث والاستنتاج التحليلي •

تلاميذ المستشرقين

وتبدو خطورة الاستشراق في آثاره الخطيرة التي يفرضها المستشرقون على مناهج التعليم والثقافة والفكر في العالم الاسلامي ،

(١) الاسلام في وجه الغرب ص ٢٧٠ ، ٢٧١

وقد حرص المستشرقون على كسب الانتصار واستخدام الأتباع لترديد مفترياتهم على الاسلام ، وافتعال معارك حول عقائده وآدابه ومختلف أحكامه لتعميق المفاهيم التي يريدون فرضها ، وترسيخها في الأذهان ، وتوسيع دائرة الانتفاع بها .

ولقد كان طه حسين في مقدمة الذين أعلنوا الإعجاب والتقدير لناهج المستشرقين ، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم . . وكثيراً ما يقول : ان هذه الحقيقة أو تلك في تاريخ المسلمين أو فكرهم مما لا يرضى بها الاستشراق . . وهذا أسلوب لا يقوم عليه الا واحد من أهل التبعية ، حتى قال بعضهم : ان طه حسين ليس الا مستشرقاً من أصل عربي . . وقد كانت أمانته للفكر الغربي ولما ذهب الاستشراق تفوق أمانة المستشرقين أنفسهم ، وهكذا كان متابعا لهم ، مقتنعا بما يقولون الى أبعد حدود الاقتناع ، حتى في تلك المسائل الخطيرة ، كقولهم ببشرية الرسول ، وبشرية القرآن ، وكانت كتاباته توحى بذلك وان لم يعلنه جهاراً ، بعد أن صودر كتابه « في الشعر الجاهلي » .

وأعجب ما في طه حسين ولاؤه الشديد لانطواء المسلمين تحت لواء الغرب ، وانصهار الاسلام في بوتقة الأممية ، والمسيحية واليهودية والغرب جميعاً . . فهو لا يرى للعرب والمسلمين سبيلاً للنهضة الا في هذا الانصهار وهذا الاحتواء والذوبان ، وقد صرح بذلك في كتبه وخاصة ما أورده في كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » . فهو يرى أن العرب قوم مستعمرون كالرومان والفرنس . .

ويظهر اتجاه طه حسين في حرصه على نشر الكتب التي تثير الشبهات وفي مقدمتها « رسائل اخوان الصفاء » ، وتجديد طبع « ألف ليلة وليلة » ، وعنايته بدراسة سير المجان من الشعراء في كتابه « حديث الأربعاء » وهو ثلاثة مجلدات . . وقد خرج من دراستهم بشبهة مسمومة هي قوله : « ان القرن الثاني للهجرة كان عصر شك ومجون » ، وقد اعتمد في بحثه على مصادر أساتذته من المستشرقين اليهود ، وعلى « أنساب الأشراف » الذي طبع في الجامعة العبرية في القدس — التي تحتلها إسرائيل — وجاري مستشرقى اليهود في انكار شخصية عبد الله بن سبأ « ابن السوداء » ، وفي الشك بوجود

ابراهيم واسماعيل وأعلن أنه يشبك في وجودهما بالرغم من الاشارة اليهما في التوراة والقرآن (١) .

ومثل طه حسين في هذه التبعية للمستشرقين : سلامه موسى ، وحسين فوزي ، وزكي نجيب محمود ، ومحمود عزمي ، وعلى عبدالرازق وغيرهم . وقد لقحت مناهج المستشرقين في البحث والنقد العلمي قرائح كثير من تلاميذ المستشرقين فنهجوا نهجهم وأخذوا طريقهم فيما حاولوا من دراسات ، وخاصة في مجال الجامعة والثقافة والصحافة ، وحملوا نفس الروح التي يحملها أساتذتهم في خصومة الاسلام ، وكانوا أشد قسوة على أهلهم من الغربيين (٢) .

آثار الاستشراق

١ — كان الاستشراق وراء كل شبهة أو دعوة خطيرة أحدثت تحولا في المجتمع الاسلامي في العصر الحديث ، فقد كان المستشرقون يلقون الشبهة أو الدعوة ثم يتبعهم الكتاب و (المفكرون) الذين يكتبون باللغة العربية من أهل التبعية والتغريب والشعوبية . وهذا واضح في الدعوة الى العامية التي بدأها ولكوكس وويلمور وغيرهما ثم تابعتها سلامة موسى وأحمد لطفى السيد ، في الدعوة الى الاقليميات والقوميات الضيقة كالفينيقية والفرعونية ، بدأها فمبري وكرومر وتابعتها طه حسين ولطفى السيد وغيرهما .

٢ — يعمل المستشرقون على اخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم ، والتحكم فيما يرفضونه أو يقبلونه من النصوص ، وكثيرا ما يحرفون النص تحريفا مقصودا ، ويقعون في سوء الفهم — وعن عمد أحيانا — في معنى النص حين لا يجدون مجالا للتحريف .

٣ — يتحكم المستشرقون في المصادر التي يختارونها ، فهم ينقلون من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث النبوي ، ومن كتب

(١) الاسلام في وجه التغريب من ٣٦٢ ، وقد كان هذا الإنكار وأمر أخرى سببا في طرد طه حسين من الجامعة المصرية ومصادرة كتابه « في الشعر الجاهلي » ولكن نفوذ الاحتلال الانجليزي سرعان ما أعاده الى الجامعة ومضى به صعدا لاعلى المناصب .

(٢) المرجع السابق من ٣٦٢ .

التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ، ويصححون ما ينقله الدميري في كتابه (الحيوان) ويكذبون ما يرويه الامام مالك في (الموطأ) ..

٤ — يجمع المستشرقون الشبهات المختلفة ويؤلفون بينها لاعطائها صورة كاملة ، مثال ذلك ما قام به المستشرق الألماني ولهم هور نساخ (الاستاذ في جامعة بون بألمانيا) من جمع قطع ونتف وشذرات من كتاب (الاصابة) للحافظ ابن حجر ، ثم ينشرها على أنها كتاب (الردة) لابن حجر الذي ألفه أبو زيد ابن الفرات المتوفى عام ٢٣٧ هـ وهو فارسي الأصل ، وقد ضاع هذا الكتاب ، فأشار ابن حجر اليه في بعض المواضع ، فما كان ن المستشرق ولهم الا أن جمع هذه القطع على أنها تراجم لأشخاص ارتدوا عن الاسلام ، ولا يقوم بمثل هذا العمل الا مغرض صاحب هوى ، لأنه يخالف البحث العلمي السليم .

وثبته بهذا ما أورده المستشرقون من الزعم بأن العرب كانوا قبل البعثة النبوية على حضارة ونهضة ، وأن دور النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على أنه نهض بهم فنهضوا .. مع أن الحقيقة الواضحة أن العرب في جاهليتهم كانوا قبائل متفرقة متصارعة ، وأن الاسلام هو الذي وحدهم في أمة واحدة ، ودفعهم الى آفاق النهوض والتوسع : (لو انفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم^(١)) ، (واذكروا اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها^(٢)) .

٥ — وقد حرص المستشرقون على التثويه بشأن « القرامطة » واطهارهم بمظهر طلاب العدل والاصلاح ، وهم الذين عجزوا عن أن يحققوا أى منهج يمكن أن يوصفوا به على أنهم دعاة حق حين امتلكوا زمام الحكم في القرن الرابع الهجري ، بل انكشف باطلهم وزيفهم ، وظهرت حقيقتهم صنائع لليهود انتقصوا على الدولة الاسلامية بالتآمر والتعاون مع أعداء المسلمين وخصومهم .

٦ — وعمل المستشرقون على احياء التراث الباطني المجوسى

(١) الاتصال ٦٢ .

(٢) آل عمران ١٠٢

والغنوصي القديم مستهدفين تحطيم أصالة الفكر الاسلامي ، ويبدو هذا واضحا في تركيزهم على احياء كل المخطوطات التي تحمل هذه السموم ، وخاصة ما يتصل باللاتحاد والاباحية ، وما يتصل بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ، والمجون .. أمثال شعر بشار بن برد ، وأبى نواس ، وكتب الحلاج وابن عربي ، وابن سبعين ، وكتب غلاة الرافضة والاسماعيلية والفاطميين .

٧ - ولا ريب أن أخطر آثار الاستشراق هو اعتبار كتب المستشرقين وبحوثهم مراجع أساسية في التاريخ واللغة والسيرة والفقه والعقائد وغير ذلك ، وخاصة في الجامعات والمعاهد العالية أو في دراسات المبعوثين الى الجامعات الغربية في أوروبا وأمريكا ، الذين يقعون دائما تحت سيطرة الاستشراق والاساتذة اليهود والنصارى المتعصبين ، ثم يعودون الى بلادهم فيحتلون مناصب التوجيه الثقافي والتعليمي ، ويفرضون ما تلقوه من الغرب من سموم باسم التجديد وحرية البحث .

وقد عملوا على نشر الموسوعات (دوائر المعارف) والقواميس لتكون مراجع سهلة للباحثين ، وملأوها بالسموم والشبهات مثل :

دائرة المعارف الاسلامية .

المنجد في اللغة والعلوم والآداب .

الموسوعة العربية الميسرة .

ولهذا ينبغي على من يود الرجوع الى هذه المصادر أن يكون على حذر تام ، وأن يتنبه لما بين سطورها من مغالطات أو تشويه أو تحريف في النقل ، على أن روح مؤلفيها في الحقد على الاسلام لا تخفى على المطالع الحصيف .

نماذج من أبحاث المستشرقين

١ — يتابع يوسف شاخت أستاذه جولد تسيهر (وهما مستشرقان يهوديان) في الغرض من شأن الشريعة الإسلامية ، ويحاول الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن أعراف الجاهلية ، وهو ادعاء باطل تصدى له كثير من الباحثين •

ومن أكاذيب شخت وأصاليه : الادعاء بأن للفكر الاغريقي فضلا على الفكر الاسلامي ، وقد أثبت علماء الغرب أنفسهم مثل (سيديو ، درابر ، وسارطون) وغيرهم أن الاسلام هو الذى أدخل الى الغرب المنهج العلمى التجريبي ، وأن الحضارة العالمية المعاصرة مدينة للمسلمين بهذا المنهج الذى هو أساس الحضارة الإسلامية •

٢ — أنكر برتلو أن تكون الكتب الكيمالية اللاتينية التى تحمل اسم جابر بن حيان هى كتب عربية الأصل كتبها عالم مسلم ، لمجرد أن أصولها العربية فقدت ، وقد تصدى لبرتلو علماء راسخون ردوا عليه خطأ ، بل اتهمه بعضهم بالجهل والتحيز ، وقال سارطون : ان أى شخص يعرف العربية لا يخطئ مطلقا فى اكتشاف أن هذه الكتب اللاتينية ترجمات لكتب عربية ، اذ تبدو الأساليب العربية واضحة من الترجمة اللاتينية ، سواء كانت لجابر أو لغيره •

٣ — ويزعم سدرسكى أن جانبا مما ورد فى القرآن أو التفاسير والسير من الأخبار يرجع الى الاجادة اليهودية والتوراة والاناجيل وقد بين الدكتور بشر فارس فساد هذا الرأى وقال : ان بين النصوص الاسلامية والنصوص اليهودية والمسيحية مسافات ، وان اتفق بعضها أو تقارب ••

٤ — وحاول نلينو أن ينفى حقيقة أن قريشا كانت أفصح العرب وله فى ذلك مغالطات واسعة ترمى الى التشكيك فى هذه الحقيقة ، ويقول : ان تفضيل لغة قريش لم يكن مصدره سوى حب العرب للرسول •

٥ — وزعم لويس شيوخو اليسوعى أن معظم شعراء الجاهلية وصدر الاسلام كانوا نصارى ، وأن الغسانيين كانوا نصارى ، وهو قول لا يسلم به المطلعون على أخبار العرب فى عهد الجاهلية ، لأن من الغساسنة من كان على الوثنية ومنهم من دان باليهودية ، وطائفة كانت

تدين بالنصرانية ، وممن عددهم نصارى من الشعراء : الأخنس بن شهاب وامرؤ القيس ، وأمّية بن أبى الصلت والسموأل •

وهكذا جرت بحوث المستشرقين وراء بث الشبهات حول القرآن الكريم ولغته والحديث الشريف والتشريع الإسلامى و لا يتسع المقام للتوسع في ضرب الأمثال^(١) •

المستشرقون المعتدلون

لا نكران أن طائفة من المستشرقين اتسموا بالاعتدال والانصاف ، على تفاوت فيما بينهم ، فمنهم من أخطأ وأصاب ومنهم من انتهى به البحث الحر النزيه الى الايمان والاسلام ، ويعتبر من الفريق الأول : (رينان) الذى انتهى به بحثه عن المسيح عليه السلام الى اثبات أنه لم يكن الها ولا ابن اله ، وانما هو انسان يمتاز بالخلق السامى والروح الكريمة ، وأن السير العربية للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى •

ومنهم : (كارلايل) الذى عد (محمدا) صلى الله عليه وسلم في الأبطال وخصه بصفحات كثيرة من كتابه (الأبطال) يقول فيه : « من العار أن يصغى أى انسان متهمين من أبناء هذا الجيل الى وهم القائلين : ان دين الاسلام كذب ، وان محمدا لم يكن على حق ، فالرسالة التى دعا اليها هذا النبي ظلت سراجا نيرا أربعة عشر قرنا من الزمان لملايين كثيرة من الناس ، وما الرسالة التى أداها محمد (صلى الله عليه وسلم) الا الصدق والحق ، وما كلمته الا صوت حق صادق صادر من العالم المجهول ، وما هو الا شبهات أضاء العالم أجمع ، ذلك أمر الله ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء •

ومنهم (تولستوى) أكبر كتاب روسيا ، فانه لما رأى الحملة الظالمة على الاسلام ورسوله كتب رأيه معربا عن الاعجاب بالاسلام ، وتحدث عن المسيحية ، فأنكر على المسيحيين اعتقادهم بألوهية المسيح ، وخلص الى ان بولس لم يفهم تعاليم المسيح بل طمسها ، والكنيسة زادت تعاليم المسيح في العقيدة غموضا •• ويقول : ان المسيحيين

(١) راجع : (دفاع من العقيدة والشرعة) للشيخ محمد الغزالى ، « الاسلام فى وجه التعريب : مخططات الاستشراق والعنصرية » للاستاذ أنور الجندى •

واليهود والمسلمين يعتقد جميعهم بالوحي الالهي ، فالمسلمون يعتقدون نبوة موسى وعيسى ولكنهم يعتقدون كما اعتقد بأنه دخل التحريف والتشويه على كتب الديانتين ، وهم يعتقدون بأن محمدا خاتم الأنبياء ، وأنه أوضح في القرآن تعاليم موسى وعيسى كما قالها دون زيادة ولا نقص . . وينتهي بالحديث عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم حديث الاكبار والتعظيم ، وكان مما قاله تولستوى : « لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدعوا الهيئة الاجتماعية خدمة جلية ، ويكفيه فخرا أنه هدى أمة برمتها الى نور الحق ، وجعلها تجنح للسلام ، وتكف عن سفك الدماء ، وتقديم الضحايا ، ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقي والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به الا شخص أولى قوة وحكمة وعلم ، ورجل مثله جدير بالاحترام والاحلال » ، وقد كان جزاؤه على كلمة الحق التي قالها أن حرمة البابا من الرحمة (١) .

ومن المبتشرين الذين انتهى بهم البحث عن الحق الى الاسلام اللورد هيدلى ، واتيبن دينيه (ناصر الدين) والشاعر الألماني الكبير جوتيه ، والدكتور جرينيه الذي كان عضوا في مجلس النواب الفرنسي ، وقد سئل عن سبب اسلامه فقال : « انى تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية والتي درستها من صغرى ، وأعلمها جيدا ، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة ، من قبل أن يكون له معلم أو مدرس من البشر ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون ، أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدا كما قارنت أيضا ، لأسلم بلا شك ان كان عاقلا خاليا من الأغراض (٢) » .

وصدق الله العظيم « سفريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق (٣) » .

(١٥) (التبشير والاستشراق : احقاد وحالات) للبستشار محمد عزت اسماعيل الطوطاوى من ٥٩ - ٦٢
(٢٨) المرجع السابق ص ٦٧ و (أوروبا والاسلام) للدكتور عبد العظيم محمود .
(٣) نصلت ٥٣ .

ثالثا : التبشير :

أيفن اعداء الاسلام .. انه لا سبيل اليه ، وعقيدته حية في قلوب المسلمين فكان بداية التبشير .. مع نهاية الحروب الصليبية فشلا في مهمتها .. وهو ما يصرح به « ملخص تاريخ التبشير^(١) » ..

ويقول القسيس المبشر زويمر ان جزيرة العرب التي هي مهد الاسلام لم تنزل نذير خطر للمسيحية^(٢) ويكمل وليم جيفورد بالكراف المعنى فيقول متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب ، يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها الا محمد وكتابه^(٣) .

واتخذ التبشير لدعوة المسلمين أساليب عديدة .. أظهرها لنا :

(أ) المدارس المختلفة التي فتحت في أرجاء العالم الاسلامى ، ولم تنج منها حتى عاصمة الخلافة الاسلامية نفسها^(٤) وبأشرت تلك المدارس التأثير على الطفولة البريئة والشعبية الغضة .. من أبناء المسلمين وكانت لها فتائج ايجابية محدودة .. لكنها ان لم تمنح في

(١) كتاب ملخص التبشير لادوين بلس ، اشار اليه ا . ل شاتليه . نقلها الى العربية محب الدين الخطيب وساعد اليساف تحت عنوان : الفسارة على العالم الاسلامى ..

(٢) قالها زويمر في مؤتمر لكتو بالهند سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) وكان هو رئيس المؤتمر لما له في التبشير من سجل حافل - المرجع السابق ص ١٠٢

(٣) قالها وليم جيفورد في مؤتمر القاهرة للتبشير المنعقد سنة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م ، في منزل احمد مراهب الذى صانده الانجليز بعد ثورته .

(٤) في مؤتمر لكتو للتبشير الذى تقدمت الاشارة اليه قدم القسيس ترد بريد ج تقريراً عن نشاط التبشير وخص فيه دولة الخلافة العثمانية بنصيب أوفر فقال :

عن الاعمال المدرسية أن في استطاعة المسلمين التردد على مدارس وكليات التبشير وبين جدران الكلية الانجليزية في بيروت (الجباسة الأمريكية ، وكانت تسمى الكلية السورية الانجليزية) ١٠٤ من المسلمين ، وفي كلية الاسكندرية (واحسرتها) ٥٠ وفي كلية البشريين في كوك ياشا في الاسكندرية أيضا ٨٠ ، ومنذ بضع سنين صدر اذن خفى ١١ بجواز التردد على الكلية الاولى والثانية .

ومن المؤلف قال :

كان طبع كتب التبشير مباحا في تركيا منذ مدة طويلة (١١) لم اشار الى صعوبات التوزيع ..

ومن الاعمال الطبية والخيرية قال : انها منتشرة جدا في البلاد العثمانية .
ومن الاعمال النسائية قال : ان الحكومة سمحت (...) عقب اعلان القانون الاساسى لخمس مئيات مسلمات أن يعملن في كلية البنات الامريكية ليهيان لادارة الامور في مدارس الحكومة للبنات كها ، ان ، بعدا قليلا من المئيات المسلمات يتردد على مدارس ارساليات التبشير ..

المجموع عقائد التلاميذ فيكفى أنها بذرت فيها بذور الشك أو الانحراف^(١) ولا تزال من آثار تلك المدارس .. الجامعة الأمريكية في مصر ، والجامعة الأمريكية في بيروت الأمر الذي لا ينكره رجال الغرب أنفسهم •

ويلحق بهذه الوسيلة تغريب التعليم أو علمانيته وهو ما فعلته إنجلترا في مصر والهند وما سوف نعرض له بمشيئة الله عند الكلام عن وسائل التبشير الحديثة •

(ب) ومن أخطر هذه الوسائل البعثات الى الدول المسيحية الغربية وأول مثل لأثر البعثات .. ما حدث لرفاعة الطهطاوى الذى أقام في باريس من سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) الى سنة ١٢٤٧ هـ (١٨٣١ م) فقد عاد ذلك الشيخ .. بغير العقل الذى ذهب به •

— اختلت موازين الشيخ .. فعاد يتحدث عن الرقص الذى رآه في باريس بأنه نوع من العياقة والشلبنة (أى الاناقة والفتوة) لا الفسق الرقص وتلاصق الأجساد ليس فسقا ..

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لكل بنى آدم حظ من الزنا : فالعينان تزنيان ، وزناهما النظر ، واليدين تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان ، وزناهما المشى ، والفم يزنى وزناه القبل ، والقلب يهوى ويتمنى ، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه^(٢) » .. صدق رسول الله عليه الصلاة والسلام .. وكذب الشيخ الطهطاوى •

— وتحدث عن المشاعر الوطنية ليحلها محل المشاعر الدينية وراح يثير .. الجاهلية القديمة .. فيتحدث عن مصر الفرعونية .. وينسى مصر الاسلامية واعجب .. الطهطاوى بالحصرية .. لكنه لم يفهمها الفهم الاسلامى .. الذى تتحقق به عبودية المسلم لله وحده ، ويتحقق تحرره من كل عبودية لسوى الله .. لكنه فهمها الفهم الغربى الذى قد يؤدى الى التحرر من الاخلاق ومن الدين نفسه • • ١

(١) في نفس المؤتمر قال استرود كرومورد — ان المسلمين يقتبسون من حيث لا يشعرون شطرا من المدنية النصرانية ويدخلونه في ارتقائهم الاجتماعى ، وما دامت الشعوب الاسلامية تندرج الى غايات ونزوات ذات ملالة بالانجيل فان الاستعداد لاقتباس النصرانية يتولد منها من غير قصد منها .. ثم ختم تقريره بقوله لقد ازمن الوقت لارتقاء العالم الاسلامى وسيدخل الاسلام في شكل جديد من الحياة والمعقدة ولكن هذا الاسلام الجديد سينزوى ويتلاشى بالنصرانية (ص ٧٢ ٧٣ من المرجع السابق) •

(٢) مسند احمد ج ٢ ص ٢٤٢ وسنده مسحيح وله روايات اخرى كثيرة باللسان مختلفة والمعنى واحد •

وقس على الشيخ رفاعة^(١) .. من ذهبوا بعده .

(ج) ثم تأتى سائر وسائل التبشير .. ففتح المستشفيات وبعث الارسلاليات الطبية .. التى يقرر كثير من المبشرين فى مؤتمراتهم وكتاباتهم .. أنها ادت الى نتائج أسرع وأفضل من عمل القسس التبشيرية^(٢) .

(د) ثم المحاضرات والندوات .. والكتب والمجلات والصحف وال نشرات .. الخ .

مؤتمرات التبشير :

أما مؤتمرات التبشير فقد تعددت .. نذكر منها :

١ — مؤتمر القاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦م) المنعقد فى منزل زعيم الثورة العربية المسلم فى باب اللوق تحت سمع الحكومة وبصرها !

٢ — مؤتمر ادنبرج سنة ١٣٢٨ هـ (١٩١٠م) فى انجلترا .

٣ — مؤتمر لكتو سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) بالهند .

٤ — مؤتمر القدس سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤م) .

٥ — مؤتمر القدس سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥م) .

٦ — مؤتمر القدس سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦١م) .

وما بلغنا عنها الا القليل : واشهره ما نشرته مجلة : (العالم الاسلامى) .

(١) راجع تحليلا رائعا للاستاذ الدكتور محمد محمد حسين (استاذ الادب الحديث بجامعة الاسكندرية) فى كتابه الاسلام والحضارة الغربية نشر دار الفتح ط ٢ ٣٩٣ هـ . والكتيب عبارة من محاضرتين القاها بالكويت سنة ١٣٨٥ وهو يتناول اثر التغريب وله فى نفس الخط مؤلف آخر تحت عنوان « حصوننا مهددة من الداخل » — مجموعة مقالات نشرها فى مجلة الازهر ..

(٢) يقول الطبيب بول هاريسون فى كتابه (الطبيب فى بلاد العرب) لقد وجدنا نحن فى بلاد العرب لنجمل رجالها ونساءها نصارى — ابراهيم خليل أحمد — المشتشرقون والمبشرون فى العالم العربى والاسلامى من مكتبة الوعى العربى بالقاهرة ١٣٨٤ هـ ويذكر الاستاذ أبو الحسن الندوى فى كتابه الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ان الاممانيين الذين خلعوا ملكهم امان الله خان لاته سمح لزوجته ان تخرج مسافرة قبلوا بعد ذلك ان يلغوا الحجاب وتم ذلك عن طريق القبايل ودور الولادة الطبية التى انشأها المبشرون .

ولا نعتقد ان ما نشر .. هو كل ما قيل وحدث ..
ومع ذلك فاننا نشير الى نماذج من المؤتمرين الأول والثالث تبعاً
لما بلغنا عنهما .

في مؤتمر القاهرة — المنعقد في بيت الزعيم المصري المسلم أحمد عرابي :

تناول المؤتمر وسائل تبشير المسلمين بالنصرانية في كتاب خاص كتب
عليه نشرة خاصة ليكون قاصراً على فئة من المبشرين — وهو من اعداد
القسيس الأمريكي فليمنج .

ثم تعرض المؤتمر للازهر : فنعى ان باب التعليم مفتوح للجميع ،
خصوصاً وان أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم فيه مجاناً^(١) .

وطالب سكرتير المؤتمر في مواجهة ذلك بإنشاء معهد مسيحي
لتنصير الممالك الإسلامية^(٢) (قيل ان أساس تكوين الجامعة الأمريكية في
مصر كان تنفيذاً لتلك الوصية) .

ثم عرض المؤتمر لخريطة تنصير العالم الإسلامي في هذا العصر .
وقدم القسيس زويمر « رئيس المؤتمر » بمعاونة بعض زملائه
كتاباً تحت عنوان العالم الإسلامي اليوم .. أشار الى صلابة عقيدة
المسلمين (وهو ما يقتضى الاستعداد في حربها) وقال ما نصه « لم يسبق
وجود عقيدة مبنية على التوحيد اعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي
اقتحم قارتي آسيا وأفريقيا وبحث في مائتي مليون من البشر عقائده
وشرائعه وتقاليده ، واحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية » .

ثم قدم القسيس زويمر بعض النصائح من بينها :

- (أ) وجوب اقناع المسلمين ان النصراني ليسوا اعداءهم .
- (ب) واطورها يجب تبشير المسلمين بواسطة رسول من أنفسهم

(١) صدرتها الحكومة الثورية في مصر في عهد الرئيس السابق جمال عبد الناصر .
(٢) جاء في مجلة المجتمع جلد ١٣٩٧ هـ ان البابا شنودة قد اتفق مع
الرئيس الأمريكي كارتر على إنشاء جامعة نصرانية في مصر وان الرئيس كارتر في اجتماعه مع
الرئيس السادات طلب منه ذلك موافق الاخير بشرط ان يكون تمويل الجامعة من الخارج ..

ومن بين صفوفهم لأن الشجرة يجب ان يقطعها أحد أعضائها .
واخيرا بشر المبشرين الا يقنطوا اذ من المحقق ان المسلمين قد نما في
قلوبهم الميل الشديد الى علوم الأوربيين والى تحرير الفساء (١) .

وفي مؤتمر لكنؤ المنعقد في الهند سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١م) :

كانت مواده كثيرة اخطرها :

✽ النظر في حركة الجامعة الاسلامية ومقاصدها وطرقها والتأليف
بينها وبين تنصير المسلمين .

✽ الارتقاء الاجتماعي والنفسي بين الفساء المسلمات (يلاحظ اختيار
الالفاظ المهدبة لتغطية المعنى المقصود .. فان المبشرين المسيحيين
لا يهمهم في شيء ارتقاء النساء المسلمات) .

وكان اخطرها حديث .. حديث زويمر أشار الى أن عبد الحميد
(خليفة المسلمين) سجين في سلاويك .. أشار الى أنه لم يبق غير
٢٧٨١٢٨٨٠٠ مسلما تحت سلطة الحكومات الاسلامية .. وانتقلت
السلطة على الباقيين من الخلافة الاسلامية الى ايدي كل من انجلترا
وفرنسا وروسيا وهولندا . أشار الى أن عدد المسلمين الذي تحت سلطة
الدول النصرانية سيزداد كثيرا عقب انقلابات قريبة الحصول ؟؟

وكان من بين قرارات المؤتمر :

« من الضروري العاجل تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير »
« دخول النساء في أعمال التبشير لتنصير الفساء المسلمات
وأولادهن (٢) » .

وهم الآن لا يدعون المسلمين الى المسيحية بل يحاولون تشويه
الاسلام واضعاف قيمه (٣) .

(١) الغارة على العالم الاسلامي - المرجع السابق ص ٢٤ و ص ٣٢ .
(٢) ص ٦١ - ٨٢ من المرجع السابق : الغارة على العالم الاسلامي .
(٣) في مؤتمر القدس قال زويمر كلاما خطيرا اذ رسم خطا التبشير بعد ذلك : ولكن مهمة
التبشير التي تدبكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في ادخال المسلمين
في المسيحية فان هذا هداية لهم وتكريما (ا) وانما مهمكم أن تخرجوا المسلم من
الاسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وفي نهاية كلمته قال : انكم اعدتم نكسنا في ديار =

رابعا : تقطيع أوصال دولة الخلافة :

برغم كل ما أحدثه التبشير من تخريب .. لم يتخل الغرب المسيحي عن العنف تأييدا لهذا التخريب العقلي والقلبي .. بالسند العسكري والسياسي ، واسهاما بهذه الوسيلة في تحقيق نفس الغاية .

واتفقت الدولتان العظيمتان في ذلك الحين على تقطيع أوصال دولة الخلافة وتوزيع الاسلاب بينهما ..

ففى منتصف القرن التاسع عشر سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) .. تم استيلاء انجلترا على الهند وانتقلت السلطة من شركة الهند الشرقية الى التاج البريطانى ، وزالت بذلك احدى الدول الاسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن السادس عشر (دولة المغول فى الهند أو الدولة التيمورية نسبة الى مؤسسها تيمورلنك) .

وفى نفس السنة .. كانت جيوش فرنسا تستكمل احتلال صحراء الاسلام الغربية التى بدأت باحتلال الجزائر سنة ١٢٤٦ هـ (١٨٣٠ م) . وبعد ذلك بقليل كان اقتطاع انجلترا .. لدره من دور الخلافة .. كان احتلال مصر المسلمة سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) .

ثم كان اقتطاع سورية ولبنان واحتلال فرنسا لهما بعد الحرب العالمية الأولى سنة ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م) ومع بوارج القتال كانت بارجة تحمل «مومسات» ولما سئل القائد فى دهشة .. اجاب اجابة العالم ببواطن الأمور : ان تلك البوارج قد يزول أثرها أما هذه البارجة فان أثرها لن يزول . وقبل ذلك .. كانت جيوش ايطاليا تخترق البحر تجاه أراضى ليبيا ترفع نشيدا فاشستيا مجرما يندد بالقرآن ويهزأ بالاسلام ويتوعد أمته بالسحق والفناء . جاء فيه : يا أماء ! أتمى صلاتك ولا تبكى .. بل أضحكى وتأمل .. ألا تعلمين أن ايطاليا تدعونى وأنا ذاهب الى طرابلس فرحا مسرورا .. لا بذل دمي لسحق الأمة الملعونة .. ولأحارب الديانة الاسلامية التى تجيز البنات الأكار للسلطان .. سأقاتل بكل

.. المسلمين لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها وأخرجهم المسلم من الاسلام ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالي جاء النشر الاسلامى طبعا لما أراد له الاستعمار المسيحى لا يهتم بالمعظم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف منه من دنياه الا فى الشهوات ..
(١) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى - الدكتور محمد البهى .

قوتى لامحو القرآن^(١) .

وهكذا انتقل تصور المسألة الشرقية من كيف يوقف الغرب زحف دولة الاسلام الى داخله .. الى كيف يقطع الغرب أوصال دولة الخلافة الاسلامية يوزعها فيما بينه ثم يجهز على الرجل المريض .

ويأتى بعد ذلك واستكمالا للمخطط الاثيم .. القضاء على الخلافة نفسها وقد نفذوا فيها توصية احد مؤتمراتهم الا يقطع الشجرة الا احد أعضائها لكن .. القضاء على الخلافة سبقته بعض الخطوات .. أهمها فصل الدين عن الدولة .. وهو موضوع البحث الثانى من هذا الفصل .

(١) وقد جاء ذلك الشديد في نداء لجاهد طرابلس وجهه الى المسلمين نشرته مجلة الرابطة الشرقية السنة الثالثة - العدد الثاني ٢٥ جادى الآخرة ١٣٤٩ / ١٥ نوفمبر سنة ١٩٣٠ .

المبحث الثانى

مرحلة اسقاط الخلافة الاسلامية

لا بد ان تسقط الخلافة الاسلامية قبل ان تقوم « دولة » اسرائيل .
ذلك ما كتب به نيلوس بعد ان اطلع على بروتوكولات حكماء صهيون
وذلك منذ سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) ^(١) وذلك يؤكد طلب قرصو زعيم
اليهود فى سالونيك الى السلطان عبد الحميد اعطاء فلسطين لهم ليتخذوها
وطناً قومياً ، فلما رفض الخليفة توعدوه الزعيم اليهودى ^(٢) وكان من بين
من سلمه قرار العزل بعد ذلك اثنان من زعماء اليهود ^(٣) .

ولا بد ان يقطع الشجرة أحد اعضائها كما أوصى بذلك أحد مؤتمرات
التبشير . لكن قبل ان تقطع الشجرة التى اظلت بلاد الاسلام منذ عهد
النبوة وقبل ان يقضى على البطل الاسلامى السلطان عبد الحميد كان
ثمة تمهيد . . كان بث فكرة فصل الدين عن الدولة . .

اولا — فصل الدين عن الدولة :

أشار الكاتب الأمريكى وليام غاى كار ^(٤) الى أن فكرة فصل الدين
عن الدولة كانت من عمل اليهود ، وبصرف النظر عما قاله وليام غاى كار
فان الواضح فى الشرق الاسلامى أن الفكرة . . كانت غريبة عنه . .
ومن ثم فان الايدى الأجنبية كانت وراءها . . سواء كانت ايدى الصليبية
المتعصبة أو اليهودية الحاقدة . . ذلك أن فقهاء الاسلامى ومن بعده فكرنا
الاسلامى لم يعرف مثل هذه الفكرة ولم يتصورها . . بل انه على العكس

(١) الخطر اليهودى .

(٢) نفس المرجع السابق .

(٣) د. على جريشة فى المشروعية الاسلامية العليا ص ٢٣١

(٤) فى كتابه : ابحار على رقعة الشطرنج .

من ذلك يعسرف أن قرآنه يحرم تجزئة الكتاب ويعتبر ذلك كفرا ..
وفتنة .. وجاهلية .

ويعرف ان الوظيفة الأولى لهذا القرآن .. ان يحكم .. لا أن يوضح
على الارفف والمناضد أو تحشى به الجيوب والتمائم .. أو نتغنى به
وتتسلى بعض العمائم .

« اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء^(١) » .
« كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن
ربهم^(٢) » .

« ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها^(٣) » .

« فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من
الحق لك جعلنا منكم شريعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة^(٤) »
« وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن
يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك^(٥) » .

« افصمكم الجاهلية ييغون .. ومن احسن من الله حكما لقوم
يوقنون^(٦) » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون^(٧) » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون^(٨) » .

« ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون^(٩) » .

فالاسلام دين يحكم كل شيء ..

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء^(١٠) » .

(١) سورة الاحزاب الآية ٢

(٢) سورة ابراهيم الآية ١

(٣) الجاثية ١٨ .

(٤) المائدة ٤٨

(٥) المائدة ٤٩

(٦) المائدة ٥٠

(٧) المائدة ٤٤

(٨) المائدة ٤٥

(٩) المائدة ٤٧

(١٠) النحل ٨١

والدولة فيه قسم لا قسم ..

فكما ينظم شئون الفرد وينظم شئون الأسرة ينظم شئون الدولة ..
وينظم شئون المجتمع الدولي .. « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ^(١) »
« وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ^(٢) » .. ذلك فقه الاسلام
وفكره .. الدولة جزء من الدين قسم له لا قسم ..

تاريخ الاسلام لم يعرف هذه التفرقة :

وليس في احداثه ما يبررها ..

فلئن عرفها الغرب كرد فعل لاضطهاد الكنيسة للعلم والعلماء
وافتنئاتها على عقائد الناس وعقولهم حتى سولت لنفسها ان تصدر
صكوك الغفران وقرارات الحرمان عن هوى وتحكم اذا كان ذلك فان
شرقنا الاسلامي لم يعرف اضطهاد العلم والعلماء .. بل حفظ لهم
الاسلام وحفظت لهم أمته أكرم مكانة واعز منزلة .. وكيف لا .. ؟
وهم ورثة محمد صلى الله عليه وسلم على دينه وشرعه وميراثه ؟ ..

ومن ثم فلم يكن هناك محل .. لا من الناحية الفكرية .. ولا من
الناحية التاريخية لبث فكرة فصل الدين عن الدولة ..

لكن الأمر كان يدبر بليل ..

واعتتق حزب الاتحاد والترقي في تركيا الفكرة وعمل على ترويجها ..
ثم عمل عن طريق ضباطه على عزل عبد الحميد .. ذلك الخليفة الذي
رفض ان يعطى فلسطين وطننا لليهود وبصق في وجه زعيمهم قرصو ..
وصارت الحكومة المدنية في انقره .. هي التي تحكم .. والخليفة
في الاستانة بغير سلطان تطبيقا لفصل الدين عن الدولة ..

ثانياً - نشر القومية في مواجهة الخلافة :

كانت اليد الخفية التي تعمل على تقويض الخلافة .. ببث فكرة
فصل الدين عن الدولة تعمل من ناحية أخرى عن طريق القومية ..

(١) الانبياء ١٠٧

(٢) سبا ٢٨

• اشارة القومية الطورانية داخل دولة الخلافة (تركيا)
 • واثارة القومية العربية داخل الولايات التابعة للخلافة
 • والأولى تعهدا حزب الاتحاد والترقى وحزب تركيا الفتاة
 • والثانية انزلق اليها الشريف حسين ظنا منه أنها الوجه الآخر
 • للإسلام^(١) .

واعتقادا منه في حسن نوايا الجاسوس (لورانس) ومن ورائه
 ماكماهون حتى انتهى الأمر الى .. ان تحارب جيوش القومية العربية
 جيوش الخلافة الاسلامية تعضدها الجيوش الانجليزية التي سارت
 تحت راية فيصل بن الشريف الحسين لتخرج سوريا لاستقبالها استقبال
 الفاتحين .

ثالثا - اسقاط الخلافة الاسلامية :

ولم يكن عبثا ..
 ولم يكن تدبير مصطفى كمال أتاتورك ولا حزب الاتحاد والترقى .
 وما كان هؤلاء الا « النمل » الذى تلبسه القدم الغليظة الكارمة
 الكريهة !

والا ففيم توقع نيلوس منذ سنة ١٣١٩ هـ (١٩٠١ م) ؟
 وفيم قول مؤتمر التبشير .. ان الشجرة لابد أن يقطعها أحد
 أعضائها ؟

وفيم تهديد الزعيم اليهودى قرصو للسلطان عبد الحميد بعد أن
 رفض اعطاء فلسطين لليهود ؟

(١) بدأت الدعوة الى القومية العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتآلفت
 في بيروت جمعية سرية لهذا الغرض في سنة ١٢٩٢ هـ ، ١٨٧٥ م راجع تفصيلا لذلك بعضنا
 طيبا من موابل شملت المسلمين للاستاذ سبيح ماطف الزين - دار الكتاب اللبناني .
 ونحن نحسن الظن بالشريف حسين على ما يبدو من رسائله المتبادلة بينه وبين الانجليز
 لكن يبقى حسابه على الله في ظل قول الله « يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا هدوى وعدوكم
 أولياء ظنون اليهم بالموادة » وقد كفروا بها جاحككم من الحق .. يخرجون الرسول وانيكم
 أن تؤمنوا بالله ربكم « وكيف نرى الشريف ما فعلته انجلترا بالمسلمين .. تعست كراسى
 الحكم التى تسمى المسلم دينه وشره وكرامته ..

فيم ذلك كله .. وفيم قبله فكرة فصل الدين عن الدولة ومصدرها
المباشر الصليبية ومصدرها الغير مباشر الصهيونية .. كما يقرر وليسام
غاي كار ..

وفيم قبله نشر القومية العسربية .. على يد لورانس الجاسوس
الانجليزى ..

ومن جرهم من اذقتهم وراء قدمه ؟
وفيم شروط كيزون الأربعة لاستقلال تركيا وتسليمها للكمالين وهى:

- ١ - قطع كل صلة بالاسلام .
 - ٢ - الغاء الخلافة .
 - ٣ - اخراج انصار الخلافة والاسلام من البلاد .
 - ٤ - اتخاذ دستور علمانى بدلا من الدستور القديم^(١) .
- فيم ذلك كله ..

واذا صح أن الخلافة كانت ائبه بالرجل المريض - وهم أول من
أمرضوها - فهل يصح المريض بالعلاج ؟ ..
أم يعالج المريض بالقضاء عليه وقتله ؟ ..
ماذا فعلوا .. بعد أن أجهزوا على الرجل المريض .. بخسة
ونذالة .. هل استبدلوا نظاما خيرا منه ؟ ..
وهل صاروا فى مصاف الدول العظمى .. بعد أن انسلخوا من
اسلامهم .

ان تركيا ..

وبعد مرور نصف قرن من الغاء الخلافة فيها لا توضع فى الدرجة

(١) يشير اليها الزميل الدكتور عبد المعطى بيومى نقلا من الاستاذ أنور الجندى فى كتابه
العالم الاسلامى - الاستعمار السياسى والثقافى والاجتماعى ص ٤٦ ، ٤٧
ويؤكد النية ازاء الاسلاية والقصد من وراء اسقاطها ما جاء فى كتاب
مائة مشروع لتقسيم تركيا تأليف المسيو جوفار الامانى - ملخصا فى كتاب حاضر العالم
الاسلامى - المرجع السابق - واقوال رجال الدين فى اوربا ، وكتابهم ، وساستهم مجمعا
على وجوب القضاء على الخلافة الاسلامية وتقسيم التركة بين ملوك اوربا .

الثسانية ولا الثالثة ولا الرابعة بين دول العالم .. وكانت قبلها في
الدرجة الأولى ! •

أهذا هو الترقى .. يا حزب الترقى ؟

ولقد سبقت الغاء الخلافة تمثيلية لا يزال يتكرر مثلها في السنوات
القريبة .. كان لابد من صنع البطل (الذى يقطع الشجرة^(١)) •

وبعد ان تغلغلت قوات اليونان والحلفاء داخل اراضى تركيا •

وبينما الخليفة حبيس الاستانة .. بل وجيوش انجلترا ..
وتتبدل الهزيمة نصرا وينخدع العالم الاسلامى المسكين «بالغازى العظيم»
ثم يعلن بعدها الغاء الخلافة الاسلامية •

ويعقبها سلسلة من الاجراءات تنتهى الى سلخ تركيا من اسلامها ،
وتحريم الاذان فيها وتحريم الكتابة بلغة القرآن العظيم !

ويقبل العالم الاسلامى على المصيبة !

ولكن ولات حين مناص ! .. فقد فات الاوان !

ويندب العالم الاسلامى خلائفه واسلامه

يقول الشاعر أحمد شوقي :

يا أخت اندلس عليك سلام	هوت الخلافة عنك والاسلام
طوى الهلال عن السماء فليتها	طويت وعم العالمين ظلام
خفت الأذان فما عليك موحد	يسعى ولا الجمع الحسان تقام

ويقول في أبيات من قصيدة أخرى :

بكت الصلاة وتلك فتنة عابث	بالشرع عرييد القضاء وقاح
أفتى خزعبله وقال ضلالة	وأثى بكفر فى البلاد بواح
ضجبت عليك مآذن ومنابر	وبكت عليك ممالك ونواحي
الهند والهة ومصر حزينه	تبكى عليك بمدمع ساح
والشام تسأل والعراق وفارس	أمحا من الأرض الخلافة ماحي

(١) راجع تحت عنوان صناعة الزعيم فى كتاب « عندما يحكم الطغاة » للدكتور جريشة
الناشر دار الاعتصام - مصر •

حسب أتى طول الليالى دونه قد طاح بين عشية وصباح
وعلاقة فصمت عرى أسبابها كانت أبر علائق الأرواح
نظمت صفوف المسلمين وخطوهم فى كل غدوة جمعة ورواح

* * *

استغفر الأخلاق لست بجاحد من كنت ادفع دونه وألاحى
أقول من أحيى الجماعة ملحد ؟ وأقول من رد الحقوق أباحى

* * *

فلتسمعن بكل أرض داعيا يدعو الى الكذاب أو لسجاح
ولتشهدن بكل أرض فتنه فيها يباع الدين بيع سماح
يفتى على ذهب المعز وسيفه وهوى النفوس وحقد الملاح

المبحث الثالث

مرحلة ما بعد اسقاط الخلافة الاسلامية

بات معلوما أن العالم الاسلامى .. بعد الاجهاز على الخلافة الاسلامية ، وما تبعها وما سبقها من تقطيع لأوصال العالم الاسلامى ، وما صاحب ذلك من حملات تبشير واستشراق ان لم تتجح فى تنصير المسلمين بما يكافئ الجهود والأموال المبذولة .. فانها أفلحت فى بث الشكوك والوهن فى عقائد المسلمين وأفكارهم .

بات معلوما .. ان العالم الاسلامى صار كجسد مثخن بالجراح .. استرخى .. حتى يمن الله عليه بالعافية أو يتحقق أمل بعيد للصهيونية .. ان يلفظ أنفاسه الأخيرة ومن ثم .. قد كان يكفى ما حدث ..

لكن الصليبيين .. ومن وراءهم — وعوا الدرس .. وهو ما صرح به (جب) من أن صحوة الاسلام تتم بسرعة .. وخشى أعداء الاسلام هذه الصحوة !

فاتخذوا من الوسائل ما يضمن .. بقاء الجسد الممزق .. هامدا .. مثخفا بالجراح وكان لهم فى ذلك أكثر من سبيل .. أهمها ..

التغيير السياسى ، والاجتماعى .. فى العالم الاسلامى ولنعط كلا كلمة .. بما يسمح به المقام .

الفصل الثاني

التغيير السياسى والاجتماعى فى المنطقة الاسلامية

المبحث الأول

التغيير السياسى

منذ أتيح للغرب الصليبي أن يتسلط على الشرق الاسلامى .. أخذ يحدث التغيير السياسى اللازم .. لبقاء سيطرته أولا ثم لتحقيق الهدف من هذه السيطرة ثانيا فكان :

احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٢٤٦ هـ ١٨٣٠ م

وتونس سنة ١٢٩٩ هـ ١٨٨١ م

ومراكش سنة ١٣٣٠ هـ ١٩١٢ م

وللشام سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م

وكان احتلال بريطانيا سنة ١٢٧٤ هـ ١٨٥٧ م للهند ايذاها بزوال احدى الدول الاسلامية الكبرى التى قامت فى مستهل القرن السادس عشر .

واحتلالها لمصر سنة ١٣٠٠ هـ ١٨٨٢ م

والعراق سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ م

وفلسطين سنة ١٣٣٧ هـ ١٩١٨ م

ولم يكن ذلك التوزيع وليد الصدفة .. فلقد كشف الاتفاق المتعقد بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٣٣٢ هـ ١٩٠٤ م عن جانب من سياسة تقطيع أوصال العالم الاسلامى .

وصحب ذلك التقسيم اثاره القوميات المختلفة كالقومية الطورانية فى تركيا .. والقومية العربية فى البلاد العربية .. حتى اقتتل المسلمون تحت قيادة النصارى باسم القومية والتحرير !!

وقد صاحب ذلك دعوة خبيثة الى العلمانية .. بمعنى فصل الدين عن الدولة تبنتها جماعات كثيرة مشبوهة الصلات والأهداف من أمثال حزب الاتحاد والترقي في تركيا الذي كانت من قياداته قيادات يهودية من يهود الدونمة .

وتبع ذلك ..

ما رسم له أعداء الاسلام من قبل .. حين عقدوا أكثر من مؤتمر للنظر في المسألة الشرقية .. وقد كانت في البداية تعنى رد الزحف الاسلامي الذي كانت تقوده تركيا على أوروبا — ثم لما توقف المد .. انتقل البحث الى كيفية تقطيع أوصال الخلافة .. ثم القضاء على الخلافة بعد ذلك .

ومهما يكن من أمر الأخطاء التي وقع فيها سلاطين تركيا .. وفي مقدمتها أنها جعلت عضلاتها أقوى من عقلها .. ومهما يكن من أمر المظالم التي ارتكبتها سلاطين تركيا .. وفي مقدمتها التفرقة الظالمة بين بني الدين الواحد ، وتميز الأتراك على غيرهم من بني الأوطان الأخرى ..

مهما يكن من هذه وتلك — مما نسجله ونحذر منه — فلقد كانت الخلافة تظل المسلمين وتجمع شملهم ، وترهب عدو الله وعدوهم .. من أجل ذلك لم يكتف أعداء الاسلام بتقطيع أوصال دولة الخلافة . بل جاوزوا ذلك الى القضاء على الخلافة نفسها .. ومنع قيامها بعد ذلك في أي قطر أو وطن آخر !!

وسواء كان ما ارتكبه مصطفى كمال — الشهير بأتاتورك — كان بحسن نية .. كرد فعل لأحداث ذلك الحين التي خطط لها أعداء الاسلام بما يدفع أتاتورك اني الغاء الخلافة ، أو كان بسوء نية استجابة للتخطيط اليهودي — الصليبي .. الذي تبدى فيما ذكره كاتب روسي سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م بعدما طالع بروتوكولات حكماء صهيون من أنه لابد للأفعى اليهودية من أن تمر بالقسطنطينية لتصل الى فلسطين^(١) ، وما أعقب ذلك من محاولة زعيم يهودي رشرة السلطان عبد الحميد لمنع فلسطين وطننا قوميا لليهود وبصق الخليفة المسلم في وجهه ، ثم توعد

(١) هو الكاتب الروسي سرجي نيلوس — راجع الفطر اليهود لحمد خليفة .

اليهود للخليفة ، وخلق الخليفة بعد ذلك بقرار حملة ثلاثة اثنان منهم من اليهود ثم ما أعقب ذلك من اعلان وعد بلفور سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٧ م من جانب وزير الخارجية البريطانية بمنح فلسطين وطننا قوميا لليهود وما تم من هجرة لليهود في ظل ذلك الانتداب البريطاني ، وانسحاب بريطانيا سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م من فلسطين ليتمكن منها اليهود بعد ذلك ، واتفاق العسكريين الشيوعى والرأسمالى على الاعتراف بإسرائيل وتدعيمها .. الأمر الذى لا يزال حتى اليوم باديا ، فروسيا تمد إسرائيل بالقوة البشرية والقوة العقلية ، وأمريكا تمدها بالقوة العسكرية والقوة التكنولوجية .

كل ذلك أو بعضه قد يثير أو يثير الى أن خطوة أتاتورك بالغاء الخلافة لم تكن عن حسن نية ابتغاء المصلحة الوطنية لتركيا - خاصة اذا أضيف اليها ما قيل عن شروط كيرزون لمنح تركيا الاستقلال ومن بينها الغاء الخلافة الاسلامية .

نقول سواء كانت جريمة أتاتورك بحسن نية أو بسوء نية .. فلقد حققت لأعداء الاسلام ما ييغونه .. بنقض عرى الاسلام .. أولها الحكم .. وآخرها الصلاة .

وكان المفروض أن تقف الحملة الضارية على الاسلام والمسلمين عند حد تقطيع دولة الخلافة والقضاء عليها .. لكن الصليبيين .. وعوا من الاسلام درسا هاما عن الاسلام والمسلمين .. وهو ما صرح به أحدهم من أن صحوة الاسلام تتم بسرعة ، وما صرح به بعضهم من أن المسلمين أشد خطورة عليهم من اليهود والبلاشفة والشعوب الصغراء^(١) .

(١) كتبت إحدى المجلات الأمريكية تحت عنوان : (محمد ينهى العودة) المسلمون رقدوا .. سنة ويتحركون الآن ويتوثبون للسلطان ..

ومن هذه التصريحات مقالته لورانس براون : كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودى والخطر الأصغر وبالخطر البلشفى إلا أننا لم نجد هذا التخوف كما تخيلناه ، لأننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد ثم رأينا البلاشفة حلفاء لنا أثناء الحرب الثانية أما الصغرى (اليابان والصين) فإن هناك دولا ديموقراطية كبرى تتكفل بمقاومتها لكن الخطر الحقيقى :

كان فى المسلمين وفى قدرتهم على التوسع والاضعاع وفى الحيوية المدهشة المنيفة التى يملكونها .

- وفى كلية لمسؤول فرنسى سنة ١٢٧١ هـ ١٩٥٢ م () ليست الشيوعية خطرا على أوروبا - ليها يبدو لى - أن الخطر الحقيقى الذى يهددنا تهديدا مباشرا عتيفا هو الخطر الاسلامى والمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال من مالمنا الغربى ، فهم يملكون تراثهم الروحى الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات أصالة وهم =

وبغض النظر عن مدى صحة ما قرره أولئك .. من خطر الاسلام
والمسلمين عليهم فان هذا هو الذى شكل تفكيرهم ، وكان الباعث وراء
تصرفاتهم بعد ذلك .

الأسلوب الجديد :

وفي منتصف القرن العشرين ، فى الخمسينيات على وجه التحديد ،
قررت الولايات المتحدة الأمريكية أن تترك النفوذين البريطانى والفرنسى
فى المنطقة لتحقيق نفس الأهداف التى كان يحققها هذان النفوذان (١) .

لكن ان اتفقت الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا فى الاستراتيجية
والأهداف فلقد اختلفت معهما فى التكتيك والأسلوب ومارست الولايات
المتحدة فى مهارة ما يسمى بلعبة الأمم تحقيقا لأهدافها .. وكان أهم
أساليبها فى ذلك الانقلابات العسكرية التى تصنع عن طريقها البطل أو
الزعيم الذى تتعلق به آمال الأمة ، فيمتص بذلك ما يُمور فى باطنها ،
وما كان يمكن أن يؤدي الى ثورة فى غير صالحها وينحرف بهذه القوة
الموارد داخل الشعوب عن أهدافها التى تتحقق فيها مصالح الغرب .

= جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجتهم الى الاستغراب وغرستهم فى تحقيق
أحلامهم هى اكتساب التقدم الصناعى الذى أحرزه الغرب راجع :
— لم هذا الرعب كله من الاسلام الاستاذ جودت سعيد .
— الخطر الصهيونى على العالم الاسلامى الاستاذ ماجد الكيلانى .
— الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر الدكتور محمد محمد حسين .

(١) مايلز كوبلاند — لعبة الأمم — ص ٣٢ تعريب مراد سرخيس — التوزيع دار الفتح
للطباعة والنشر . وقد أشار الى اتصال السكرتير الاول للسفارة البريطانية فى واشنطن
(سيشل) بمساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى — وأفريقيا ليسلمه رسالة تشير
الى اعتراف بريطانيا الى انتهاء وصايتها على بعض أرجاء العالم لازمة مالية تبر بها نائها
لن تتمكن من القيام بأعباء مقاومة الشيوعية فى كل من تركيا واليونان .

(٢) يشير مايلز كوبلاند — مندوب المخابرات المركزية الأمريكية فى الشرق الاوسط فى كتابه
لعبة الأمم — الى هذه الحقائق حين يقرر :

(١) لقد كان من المفهوم فى التقارير والوثائق السرية للحكومة الأمريكية فى أوائل عام
(١٩٤٧ م ١٣٦٦ هـ) أن دبلوماسيتنا وأجهزة مخابراتنا بالحالة التى كانت عليها فى ذلك
الوقت يجب أن تعمل لاحداث تغييرات فى قيادات بعض دول الشرق الاوسط .
ويشير المؤلف فى الفصل الثانى من كتابه الى حضور السفير البريطانى الى وزارة الخارجية
الأمريكية لإبلاغها بقرار الحكومة البريطانية وقف مساعدتها لحكومتى تركيا واليونان وينسر
ذلك بأن معناه انسحاب بريطانيا من الشرق الاوسط وضرورة حلول أمريكا محلها فى المنطقة
لئلا الفراغ .

(ب) على العموم فان ما كنا نحاوله هو ملء الفراغ الناتج من انسحاب بريطانيا من اليونان
وتركيا — هذا الفراغ الذى يشمل كما قلنا من قبل جميع منطقة الشرق الاوسط ص ٢٨
ثم يشير المؤلف الى قرار وزير الخارجية الأمريكية دين اتشيسون بالتدخل ولو بالاساليب
غير التقليدية

القوة العسكرية المحلية تقوم بالدور الجديد

لم تعد الشعوب تحتل أن ترى السترة الصفراء الأجنبية تحكمها
مهما حاولت أن تدعى الصداقة أو حتى أن ترفع راية الاسلام^(١) .

وكان لابد من أن ترحل السترة الصفراء الأجنبية .. لكن الباطل
لا يستغنى عن القوة .. والا تهاوى وسقط ! ومن ثم كان لابد من أن
يبحث عن مصدر آخر للقوة .. حتى يمضى فى تنفيذ مخططة الأئيم لابعاد
شعوب الاسلام عن الاسلام .. وهذاه شيطانه الى ما نجح فيه الى
حد ما ..

استبدل السترة الصفراء الأجنبية .

بالسترة الصفراء المحلية .

وصرح بعض كتابه .. أن هؤلاء أقدر على التغيير الاجتماعى
المطلوب^(٢) وعرفت المنطقة الانقلابات العسكرية^(٣) بديلا عن جيوش
الاحتلال الأجنبية ومن أمثلة ذلك كما صرح أحد الكتاب الأمريكيين :

سوريا سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م

مصر سنة ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م

= (ج) ونتيجة لذلك ماته فى نهاية ١٩٥١ فى قرر تشكيل لجنة خبراء سرية لدراسة العالم
العربى فيها يتعلق على الخصوص بالنزاع العربى الاسرائيلى لاستعراض المشاكل واقتراح
الحلول سواء كانت تتفق مع اساليب العمل الحكومى التنظيم أم لا . ص ٤٨ .

ويشير بعد ذلك الى تدخلهم فى انقلاب حسنى الزعيم (ص ٤٢) فى سوريا والدروس التى
استفادوها منها ، ثم استعادهم العملية الكبرى فى مصر .

(د) كان روز ملت غير واثق من الانقلابات العسكرية بعد أن رأى ما أدت اليه فى
سوريا من فوضى ولكنه واثق على أن يقابل الضباط الذين تمتعهم له المخابرات المركزية
الامريكية على أنهم زعماء التنظيم السرى العسكرى الذى يدبر انقلابا عسكريا فى مصر . ص ٥٢ .

ثم يشير الى أن من أهداف هذا الانقلاب استبعاد الثورة الشعبية التى يسعى لها — بجد —
الأخوان المسلمون ص ٥٤ من ١٥ ، ٥٩ من ٢ وللقوييه يضيف والشيوميون .

(١) ادعت بريطانيا الصداقة لمصر أثناء احتلالها .. وادعى نابليون من قبل الاسلام
وأعلن خليفته فى مصر فعلا اسلامه .. وعندما اقتربت جيوش الالمان من مصر كانت المنشورات
فيها توزع باسم محمد هظر ١١ ..

(٢) راجع ما كتبه مورو بيرجر — الكاتب الابريكى — عن أن الانتخابات الوطنية أقدر من
الانتخابات الأجنبية فى أحداث التغيير الاجتماعى المطلوب .. وتحذيره من الاكتفاء بمجرد فرض
التغيير بل لابد من تعهده حتى يعمق فى نفوس المجتمع .

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٤ — ٢٠٥ ويذكر صراحة ما يلز كوبلاند فى لعبة السموب كان
انقلاب حسنى الزعيم يوم ٣٠ آذار (مارس) ١٩٤٩ من أمدادنا وتخطيطنا لعبة الأسم —
ص ٤٩ ثم يقول فى ص ٥٨ — وكان قرارنا الأخير — أن تكون مصر خطواتنا الجديدة .

ومن قبل هؤلاء :

ايران سنة ١٣٣٨ هـ ١٩٢٠ م

تركيا سنة ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ م

وفي كل مرة يستفيدون من تجارب المرة السابقة ..

فمثلا .. الخطأ الذى وقع فيه كمال أتاتورك فى محاولة فرض التغيير الاجتماعى بالقوة ..

استبدلت .. القدوة .. بالقوة .

مع وسائل الاعلام المختلفة .. وما يصحبها من وسائل أخرى للتثيير أشرنا اليها .

فقد كان أتاتورك غيبيا حين فرض خلع الطربوش بالقوة .

فقد خلعه الناس فى مصر لما رأوا رجال الانقلاب الجديد الأبطال لا يلبسونه بدون حاجة الى قانون ! وهكذا !

لكن القوة بقيت لازمة تؤدى أمرين :

أولهما : قمع .. المعارضة والمعارضين .. خاصة ان كانوا من أصحاب العقائد .

ثانيهما : مساندة الباطل والمبطلين .. فيما يمشون فيه من تخطيط أثيم لابعاد الناس عن الاسلام .

ولبيان هذين الخطين .. نقدم وثيقة جاءت فى حيثيات حكم صدر فى بلد اسلامى .. نسقط منها .. أسماء .. الضحايا .. وأسماء المجرمين .. لنصل بها الى الموضوعية الكاملة (١) .

تبدأ الوثيقة بالاشارة الى أسماء أعضاء اللجنة التى قدمت معلوماتها واقتراحاتها .. وأكثرهم من رجال المخابرات والمباحث والأمن .

ثم تلخص معلوماتها بالاشارة الى أن « تدريس التاريخ الاسلامى

(١) هذا الحكم منشور فى كتاب (الزلزلة الدكتور جريشة) - الناشر دار الشروق

في المدارس للنشء بحالته القديمة يربط الدين بالسياسة في لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر * ثم الإشارة الى صعوبة التمييز بين معتنقى الأفكار (* * *) وبين غيرهم من المتدينين * الخ *

ليصل الى المطالبة :

١ — بمحو فكرة ارتباط السياسة بالدين *

٢ — اباداة تدريجية بطيئة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم بحمل الدعوة الاسلامية ، ولا يقتصر الأمر على هذه الفئة ، بل يمتد الى « كل المتدينين » باعتبارهم يمثلون الاحتياطي الذي يصب في هذه الفئة ١

ومن وسائل الابادة : الاعدام * والسجن * والاعتقال ويبلغ الأمر غاية خسته حين تصرح « بالنسبة لنسائهم سواء كن زوجات أو بنات فسوف يتحررن ويتعرضن مع غياب عائلهن وحاجتهن المادية * الى افزلاقهن » *

وهكذا تفقد الأنظمة العسكرية * حتى الشرف والكرامة !!

بقى السؤال — لماذا يفضلونها * وطنية ؟

نسمع اجابتين :

اجابة من الكاتب الأمريكي مايلز كوبلاند *

* فكان الحكام من « طراز * * * » يعطون الأولوية على غيرهم لأن استيلاءهم على السلطة يوفر أفضل الفرص — أو أقلها سوءا — لنجاح « لعبتنا » (١) * ؟

وفي مكان آخر « ان نموذجا (* * * * *) كان من الأهمية بمكان بخصوص اللعبة وأنا كنا ملزمين بالبحث عن مثيل له فيما لو لم يكن على قيد الحياة » (٢) *

واجابة من الكاتب الأمريكي مورو بيرجر *

وكان الجيش من بين كل جماعات النخبة الوطنية أكثرها دنوا من المشاكل التي تواجهها مصر ، دنوا بالمعنى الحسابي ، والعلماني ،

(١) ، (٢) لعبة الامم ص ٢٨ ، ص ٢٦ *

والواقعي ، وبهذه الصورة كان الجيش أكثر النخبات تغرباً^(١) .

والواضح من تقرير (****) الموجز أن الضباط كانوا علمانيين يتوقون الى بث التعاصر في مصر متماشين مع الخط الغربي التكنولوجي . . ولم يكن الضباط على ثبات أيديولوجي ، بل كانوا جماعة علمانية في البناء السياسي والاجتماعي للحياة المصرية . . الا أن قيادتهم كانت تضع نصب عينيها صورة من مصر العلمانية كما يتصورونها ، ويتحركون صوب هذا الهدف على خط مستقيم^(٢) .

ويعمم الكاتب . . وعلى ذلك فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى تتحول هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية ، ويواجه الزعماء العرب طريقين : فهم يطردون . . الغرب سياسياً ويسحبون السكتل الشعبية الى الغرب ثقافياً^(٣) .

ونجيب بعد هؤلاء فنقول بعون الله :

١ — ان النخبة الوطنية التي حلت محل « النخبة الأجنبية » وفرت على الأخيرة أولاً : الدم والمال التي كانت تبذل في الحروب الصليبية أو في محاولات الاستعمار .

٢ — وانها كذلك منعت اثاره المشاعر . . الدينية أو الوطنية . . التي كانت تتحرك حين يرى الشعب الجيوش الأجنبية قادمة . . تتحدى قيمه الدينية . . أو قيمه الوطنية . . ومن ثم فقد ميعت المقاسومة أو منعتها !

٣ — انها بلباس الوطنية . . نفذت المطلوب . . ليس فقط دون مقاومة بل أحياناً مع استحسان الجماهير وحماستها !!^(٤) .

(١) ، (٢) ، (٣) المعالم العربي اليوم ص ٣١٢ ، ص ٢١٤ ، ص ٢٤٠ وراجع
« قدينا — والمقصود « بتغريب » الميل الى الغرب في قيمه ومثله بدلاً من قيم الاسلام ومثله .
(٤) وفي هذا السبيل لا بأس من أن تسبح الجهات الأجنبية بهاجمتها لتكسب الحاكم مزيداً
من الصفات الوطنية ولتكسب استحسان الجماهير وحماستها وفي هذا المعنى يقول مايلز كوبلاند
فان مساندتنا لأي زعيم للوصول الى دست الحكم والبقاء هناك حتى يحقق لنا بمض
المصالح التي نريدها لابد أن يرتطم بالحقيقة القاسية وهي انه لابد له من توجيه بعض
الاساءات لنا حتى يتمكن من المحافظة على السلطة ويفضل استمرارها (ص ٥٥ من كتاب
لهبة الاسم) .

وفي الوقت نفسه يقول السياسي الصهيوني مئير سكولمان في مقال يرثى فيه زعيماً
عربياً « كان الرجل الوحيد الذي اقتنع بضرورة التمايش السلمي مع اسرائيل وكانت لديه
الجرأة والسلطة الكافية لايجاد الظروف اللازمة لهذا التمايش من ز / مقدمة كتاب
الدبلوماسية والميكافيلية في العلاقات العربية الأمريكية — دكتور محمد صادق .
وفي مكان آخر يقول مايلز كوبلاند :

٤ — أنها استطاعت أن تنقضي على كل معارضة .. من أى فئة .. دون أن يتحرك أحد لنصرة هذه الفئة .. بل مع اعتقادهم بما تذيعه « النخبة الوطنية » من أن المعارضين .. خوارج — أو خونة !!

وأخيرا سؤال لا ينفك عن السؤال الأخير .

لماذا يفضلونها .. « عسكرية » ؟

نقول بعون الله :

١ — لأنها « أسرع » في الوصول الى الحكم ، وأكثر شغفا بالسلطة (١) .

٢ — لأنها « أسرع » في تلبية الأوامر الخارجية ، والالتزام حرفيا بها ، فهكذا تعلمهم الحياة العسكرية .

٣ — لأن قبضتها « أقوى » بالنسبة .. لأية معارضة أو أية مقاومة .

٤ — أن الطبقة العسكرية في أغلبها أعدت اعدادا خاصا .. يجعلها « علمانية » و « غربية » .. لا تستنكف الانحلال .. لنفسها ولا لغيرها ومن ثم فهي أنسب الفئات لتنفيذ مخطط الابعاد من « الاسلام » .

٥ — أنها تزيح بذلك احتمال تقدم عناصر دينية .. الى الحكم عن الطريق الشعبي العادي (٢) ١٠٠

وليس معنى اللجوء الى الانقلابات العسكرية .. انتهاء الوسائل الأخرى ان القوى الأجنبية المعادية للإسلام لا تزال محتفظة لبعض الأنظمة بالبقاء . . . أولا لأنها تنفذ ما يطلب منها . وثانياً لأنها أضعف من أن تقف يوماً في وجهها وثالثاً لأنه داخل هذه الأنظمة نفسها يجري التغيير .. باستعداد الابن على أبيه والأخ على أخيه بعدما يجري الاتفاق على الصفقة .. ماذا يبيع لكى يجلس على العرش ؟ ورابعاً لأنها حين يبدو العصيان .. يكون الردع سريعاً وعنيفاً وحوادث

١ — ان الهدف الرئيسى من دعمنا (. . .) هو رغبتنا في توتر زعيم عربى رئيسى يتمتع بنفوذ قوى على شعبه وعلى بقية العرب له من القوة ما يمكنه أن يتخذ ماشاء من القرارات الخطيرة وغير المقبولة من الفوجاء مثل عقد صلح مع اسرائيل (ص ٨٩ لعبة الأمم) .
(١) لقول مايكلز كويلاند وكان مبتغانا ان ندفع الى الرئاسة حاكما أكثر شغفا بالسلطة (ص ٥٩ من لعبة الأمم) .
(٢) ص ٦٢ — ٦٥ من (لعبة الأمم) .

« الاغتيال السياسى » فى الماضى القريب شاهدة على ذلك ، وقد كانت موضع تحقيق « الكونجرس » فى فضائح المخابرات المركزية الأمريكية • وأخيرا •• فان بقاء هذه الأنظمة — فى نظر أعداء الاسلام — رهين بانتهاء العصبيات التى تستند اليها ، وفى المواجهة بزيادة قوة وقسرة القوات المسلحة لقوى الأمر •• حينئذ •• سوف تخلعها ببسر وبغير حياة •• ولا احترام للود البادى والوفاء الظاهر !!

وهكذا نرى اتفاقا غريبا •• على علمنة التعليم ، وعلمنة الاعلام ، وعلمنة المجتمع كله عن طريق المرأة وعن طريق الشباب •• لبيتعد بذلك عن الاسلام •• نجدها فى الدول الاسلامية رغم اختلاف نظم الحكم الحاكمة •• لأن التغيير السياسى وان اختلف أسلوبه •• فالهدف لا يختلف وهو التغيير الاجتماعى أو التغريب أو بالعبارة الواضحة : الابعاد عن الاسلام !

لكن هل انتهت تماما وسيلة الحروب والاستعمار التى كانت سبيل الغرب من قبل لفرض أهدافه وغاياته ؟

لا نستطيع أن نجيب بالنفى •• لأن الحروب انتهت فى أغلب البلاد فى صورتها العسكرية ، واستبدلت بها الحرب الفكرية والنفسية لتحطيم عقيدة الأمة ومبادئها •

ولا نستطيع أن نجيب بالاثبات •• لأنها لا تزال تستعمل فى نطاق محدود وهو ما اصطلح الغرب على تسميته بالحرب المحدودة •• واحتلال الجيوش الأمريكية لشواطئ لبنان سنة ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م مثل قريب وتحركات الأسطول السادس كذلك •

لكن فى رأينا أن الحرب المحدودة ارتدت كذلك ثوبا محليا فأصبحت الجيوش العربية أو الاسلامية تسلط لهذا الغرض وتدخل سوريا فى لبنان مثل قريب • وانفصال بنجلاديش عن باكستان من قبلها مثل قريب كذلك !

المبحث الثانى

التغيير الاجتماعى

ما يبغي الغرب منا ؟

فى البداية .. كان الهدف واضحا .. اخراج المسلمين من دينهم وادخالهم الى دين آخر — كما وضع ذلك من كلام المبشرين .

ثم لما صارت عملية « التنصير » بلغة الأرقام صعبة ان لم تكن مستحيلة بين الشعوب التى تدين بالاسلام .

اقتصرت العملية على الجزء الأول منها اخراج المسلمين من دينهم وكانت الوسائل الى ذلك هى نفس الوسائل « وسائل التبشير » الأولى التى كانت تقوم بالشقين الاخراج من الاسلام ، والادخال فى الدين الآخر .

ونجحت الخطة الثانية .. ولا تزال تعمل فى كثير من البقاع الاسلامية .

ثم كانت الخطة الثالثة .. التى لا تذهب الى عملية الاخراج من الدين تماما ولكنها تكتفى بالابعاد .. الابعاد عن الدين .. من غير استعمال لفظ الابعاد حتى لا يستثير حفيظة المسلمين أو تنبيههم الى حقيقة الهدف ، وكانت وسائل التبشير الأولى هى التى تستعمل لتحقيق الهدف الجديد .. مع تطوير فيها يجعلها أكثر نعومة ، وأكثر فاعلية .

إذا فالهدف هو ابعاد المسلمين عن الاسلام باعتباره الخطر الكامن كما يتصور الغرب أو يتوهم — وقد كانت الاشارة الى هذا الهدف تحت اصطلاحات أكثر تهذيبا مثل التغريب أو التغيير الاجتماعى (1) .

(1) راجع فى ذلك كتاب : الحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين وكتاب : العالم العربى اليوم — للكاتب الأمريكى مورو بيجر .

معنى التغيير الاجتماعى وصلته بالتغيير السياسى :

ان النخبة العسكرية فى الشرق الأدنى فى مصر والسودان ، والعراق وتركيا وايران وباكستان كانت عوامل هامة فى جلب التغيير الاجتماعى •
وتشترك النخبات العسكرية العربية عميقا فى الاعتقاد بضرورة التغيير الاجتماعى السريع •

أما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية فى الشرق الأدنى الى درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امراء ما قد ذهب أو لم يذهب الى أوروبا أصلا ، فقد أصبح العرب « متغربين » بدون أن يتكلفوا عبء الذهاب الى أوروبا •

فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى ، تنتحصر هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية ، ويواجه الزعماء العرب طريقين :

فهم يطردون الغرب سياسيا ، ويسحبون الكتل الشعبية الى الغرب ثقافيا^(١) •

التغيير الاجتماعى اذن •• يعنى تغيير قيم الأمة ومثلها •• تغيير ثقافتها وأخلاقها وعقيدتها •• وبعبارة واضحة •• ابعاد المسلمين عن دينهم •

والتغيير الاجتماعى ، قد يسمى التغريب •• وقد يسمونه المدنية أو التطور أو التقدم وأيما كانت الحال فلن يكون هناك سبيل الى التراجع ان العمل يسير بجد ونشاط فى ادخال المدنية الغربية الى مصر •

وهو يأخذ طريقه بتقدم ونجاح حسب خطة مرسومة ، وضعت خطوطها بعد دراسة الموقف •• تقوم على التطور والتدرج^(٢) •

وواضح أن التغريب ، أو التغيير الاجتماعى •• الذى كان يجرى على أيدي المحتلين والمستعمرين ، صار يجرى اليوم — فى أكثر الأحوال —

(١) راجع مورو برجر فى العالم الغربى اليوم صفحات ٣٠٦ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٤٠ ، ٣٤٨ •
(٢) الفقرة الثالثة من تقرير اللورد كرومر سنة ١٩٠٦ ص ٨ من النسخة الانجليزية •

على أيدي « النخبات الوطنية » التي هي في أكثر الأحيان «عسكرية»^(١).

هذا هو الهدف .. التغيير الاجتماعي .. الذي يعنى في الحقيقة
إبعاد الأمة عن دينها في شتى نواحي الدين التي تشمل شتى نواحي
الدنيا .

ولكن لهذا الهدف وسيلة أو وسائل وأساليب هي التي تمثل
« التكتيك » الجديد لغزو الغرب الفكري +

ويحسن أن نعرض لها في مبحث مستقل +

(١) يشير الكاتب الأمريكي الى تقرير لزعيم مصري جاء فيه أن الضباط كانوا علمانيين
(ستعرف معنى العلمانية في الصفحات التالية القادمة) يتوفون الى بث العناصر في مصر
متماشين مع الخط العربي التكنولوجي ..
ولم يكن الضباط على ثبات ايدولوجي ، بل كانوا جماعة علمانية في البناء السياسي
والاجتماعي للحياة المصرية من ٣١٣ ع ٤٠ ٣١٤ من المرجع المذكور ويشيف الكاتب الأمريكي
أن معيار ذلك الزعيم في الضابط الكفاء ، هو استنتاجا على الاقل تعرفه الى الغرب «
وينقل الزعيم مدحا لرئيس هيئة اركان الجيش المصري في الحرب العالمية الثانية : كان
معتبرا للامكار الحديثة لكثرة زيارته لفرنسا وانجلترا والمثابا) من ٣١٠ من كتاب العالم
العربي اليوم ، للكاتب الأمريكي مرو بيرجر .

المبحث الثالث

أساليب التغيير الاجتماعى

« أو التغريب »

يتخذ الترتيب لأحداث التغيير الاجتماعى الذى يبعد الأمة الاسلامية عن اسلامها .. يتخذ خطة « استراتيجية » طويلة المدى حتى لا تحس الأمة الاسلامية بالهدف البعيد .. بل قد لا تحس بالأسلوب الذى يجرى به التغيير .. وكأن هذا التغيير يتم تلقائيا .

✽ وأهم ما فى هذه الاستراتيجية من تخطيط .. ان يتخذوا لهدفهم رسولا منا « من أنفسهم » ، « وأن يقطع الشجرة أحد أعضائها » الأمر الذى يجرى فى التغيير السياسى سواء عن طريق الانقلاب العسكرى ، أو الاغتيال السياسى بالأساليب التى أشرنا اليها .

✽ يلى ذلك أنهم يخاطبون بهؤلاء الأعضاء .. يخاطبون بهم فكر الأمة وعقيدتها ، ومن ثم يجرى التغيير أول ما يجرى .. داخل العقول والقلوب .. ثم ينتقل بعد ذلك الى مجال الأخلاق والتقاليد والعادات .. ويبلغ الإهتمام بأحداث التغيير أدنى مظاهره كأكل الطعام باليد اليسرى ، والقاء التحية بغير تحية الاسلام .

✽ ولولا كتابات كتبها مفكروهم لتوجيههم الى أحسن الوسائل لبلوغ أسوأ الأهداف وأخبثها ما استطعنا أن نعرف شيئا عن «استراتيجية» الغرب أو تكتيكه .. نحو هذه الأمة المسلمة وقبل ذلك .. لولا فضل الله ورحمته .. لانتهدت هذه الأمة نتيجة ذلك التخطيط العميق والتنفيذ الدقيق لابعاد الأمة عن دينها .

✽ وإذا كانت أساليب التغيير الاجتماعى تنتجه الى فكر الأمة وعقلها ثم الى عقيدتها وقلبها فانها تعتمد على وسائل الاقناع المختلفة .

وتخطط لها تخطيطا علميا يقوم عليه علماء النفس وعلماء الاجتماع فوق أجهزة التخابر والاحصاء المختلفة .

ويسير التخطيط على جعل وسائل الاقناع المختلفة في أيدي غير المستمسين بالدين .. فاذا أفلت متدين الى هذه الوسائل احاطتسه بوسائل الاغراء والاحتواء المختلفة حتى تنحرف به عن السبيل القويم .
وتحت شعارات : العلمانية ، والقومية ، وتحرير المرأة .. تجرى وسائل الاقناع المختلفة لتحقيق ابعاد الأمة عن دينها ..
ونحاول بمشيئة الله بحث هذه الثلاثة لتبين كيف يجرى بها ابعاد الأمة عن دينها .

أولا : العلمانية

معنى العلمانية :

قد تشعر الكلمة في اشتقاقها أنها تعنى رفع شعار العلم .. ومن ثم فلا تعارض بينها وبين الاسلام .. بل انها احدى وسائل الاسلام وبعض أهدافه !

وهو ما نحسب أنهم قصدوا اليه حين ترجموا معنى الكلمة في لغتها الأصلية .. ليقع المسلمون .. في هذا الوهم !!

ان العلمانية ترجمة للكلمة الانجليزية Secularity وهذا اشتقاق من Secular وهي مرادفة للكلمة الانجليزية Unreligious أى لا دينى أو غير عقيدى ومن ثم كانت العلمانية تعنى اللادينية !!

ومن هنا نفهم اعلان البعض عن قيام دولة علمانية .. أو عن رغبة البعض الآخر في ذلك !

ونفهم سر اختيار الكلمة .. انها تعبر عن المقصود .. دون صدم للمشاعر والاحاسيس !

ولنا أن نتصور الفارق بين الاعلان عن دولة علمانية أو الاعلان عن دولة لا دينية !

من هنا نحس خبط ترجمة الكلمة الى لفظ العلمانية ، ونحس خبط الذين يستعملون هذا اللفظ دون اللفظ السكائف عن المعنى المقصود .. ونحس مع هذا كله بواجبنا لتعريف هذا اللفظ الخبيث على حقيقته !

العلمانية .. بين الغرب والشرق :

لم يكن غربيا في الغرب .. ان تجد العلمانية مكانها .. فقد فرضت ذلك ظروف الغرب ..

نتيجة تسلط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب الغرب المختلفة ووقوفها في وجه كل تفتح فكري أو كشف علمي .. وتجاوزها ذلك الحجر على العقول .. الى حجر اخطر على القلوب .. حين فرضت صكوك الغفران وقرارات الحرمان .. وراحت تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام !!

وغرقت أوروبا في دماء ضحايا الكنيسة .. حيث سقط المئات بل الآلاف تحت مقاصل محاكم التفتيش ومشانقها .. غير من غيبوا في غياهب السجون ...

واذا كانت سنة الله في الكون .. أن لكل فعل رد فعل مساويا له في القوة ومضادا له في الاتجاه .. فلقد وقع الصراع صراع العلم مع الكنيسة وانتهى بإعلان العلمانية التي تعنى فصل الدين عن الدولة ، وتقلص سلطان الكنيسة داخل جدرانها !! *

وفضلا عن أن ظروف أوروبا التاريخية .. كانت تبرر انتشار العلمانية وفصل الدين عن الدولة .. فلقد كانت ظروف الديانة المسيحية بعدما أدخل عليها من تحريف كان اليهود وراء أكثره — كانت ظروف الديانة المسيحية تسمح كذلك بوجود علمانية الى جانب الدين .

وليس غربيا بعد ذلك أن يكون اليهود وراء فصل الدين عن الدولة كما صرح بذلك كاتب أمريكي^(١) بغية القضاء على بقايا الدين الذي حرفوه بتعطيله وحبسه عن المجتمع داخل جدران الكنيسة .

وليس غربيا بعد ذلك أن نسمع عن أن الدين الذي حبس داخل جدران الكنيسة قد جرى فيه التطوير .. حتى صارت الصلاة تؤدي على أنغام الموسيقى ثم تعقبها حفلات الرقص بين الجنسين تحت الأضواء الخافتة الحاملة وبين الألحان الدافئة والساخنة .. تحت سمع وبصر رجال الدين .. بل تحت « رعايتهم وتوجيههم » السديد .

(١) وليام غاي كار في كتابه : احجار على رقعة الشطرنج .

وكانت أوروبا قد بلغت في التقدم العلمى « التكنولوجى » درجة جعلتها ولو الى حين — تستطيع أن تقيم نهضة مادية .. بهزت الناس في أكثر الاحيان .

وحين أريد .. نقل العلمانية الى الشرق الاسلامى غفل المسخرون عن علم أو عن جهل — غفلوا عن هذه الظروف جميعا غفلوا عن أنه ليس في ظروف الشرق الاسلامى التاريخى ما يبرر فصل الدين عن الدولة ، فلم يكن ثمة اضطهاد من رجال الدين الاسلامى — اذا صح التعبير للمقابلة مع رجال الكنيسة — لم يقع اضطهاد من علماء المسلمين .. للعلم أو للعلماء ..

ولم يكن في تاريخنا الاسلامى محاكم تفتيش .

ولا صكوك غفران وقرارات حرمان .

والذين انصرفوا من العلماء عن جادة السبيل الى ممالأة الحكام ..

لفظتهم الأمة وجعلتهم وراء ظهورها .. والذين كانوا لسان صدق .. حملتهم في حنايا صدورهم وقدمتهم في أول صفوفها ..

كذلك لم تكن الديانة الاسلامية لتسمح بالفصل بين الدين والدولة لأن الدولة في فقه الاسلام قسم للدين لا قسم .. فلا دين بغير دولة ولا دولة بغير دين ..

كذلك لم تكن الديانة الاسلامية لتسمح بقيام العلمانية الى جوار الاسلام .. بمقولة ان الاسلام يبقى داخل دائرة العقيدة والشريعة .. وتعمل العلمانية في دائرة الشريعة لأن الاسلام عقيدة وشريعة وشريعة .. وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة .. ولا يرضى أن يكون مع الله أرباب آخرون أو قياصرة آخرون يدين لهم الناس في مجال الشريعة كما يدينون لله في مجال العقيدة والشريعة ..

كذلك مع التسليم جدلا بصحة نظرة الغرب التى اعتنقها الحاقدون أو الجاهلون في الشرق الاسلامى .. فلم يكن الشرق الاسلامى قد وقف على قدميه وبلغ التطور العلمى والتكنولوجى الذى بلغه الغرب ليطرح الدين جانبا ويرفع شعار العلمانية .

ومن ثم حرم الشرق الدين .. كما حرم الدنيا .. وارتضى

بقشور تورثه القرف والدعة .. وتبعده كثيرا .. عن الجد والجهاد
والعمل ..

وسائل نشر العلمانية :

حرص الغرب منذ وطئت أقدامه التراب الاسلامى على نشر
العلمانية بأكثر من سبيل ، وحين ورثت النخبات الأجنبية « النخبات
الوطنية » مكان السلطة وبوأتها كراسيها هرصت على زيادة نشر العلمانية
بكل الوسائل .. وضعت خبراتها « العلمية » والتكنولوجية لتحقيق
هذه الغاية .

ومن ثم فلم يكن غريبا أن نسمع عن بلاد اسلامية متخلفة من
الدرجة الثالثة أو الرابعة .. تدخل فيها « التلفزيون » .. قبل أن
تمحو من أبنائها الأمية التى تربو على الثمانين أو التسعين فى المائة ..
بل اننا نسمع عن ادخال التلفزيون الملون فى بلاد متخلفة جدا وأحيانا
فقيرة جدا .

أما مجالات نشر العلمانية ووسائلها فقد كانت : أولا فى التعليم ،
ثانيا : فى الاعلام ، صحافة وإذاعة ، وتلفزيون ، وسينما ، ومؤلفات ،
ثالثا : فى القانون .. ويحسن أن نعرض لكل بكلمة :

أولا - التعليم :

ان التعليم الوطنى عندما قدم الانجليز الى مصر كان فى قبضة
الجامعة الازهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتى كانت أساليبها الجافة
القديمة !! تقف حاجزا فى طريق أى اصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين
يتخرجون فى هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب
الدينى !! ولا يصيبون الا قدرا ضئيلا من مرونة التفكير والتقدير ،
فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعث من داخله لكانت هذه
خطوة جليلة الخطر .

ولكن اذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه فحينئذ يصبح
الأمل محصورا فى اصلاح التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى
يتاح له الانتشار والنجاح ، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام

أحد أمرين : فاما أن يتطور .. واما أن يموت ويختفى (١) .

* هذه كلمات اللورد كرومر .. الذى حكم مصر المسلمة ممثلا للاحتلال الانجليزى يساعده دنلوب وهو أحد خريجي كلية اللاهوت فى لندن .

* تكملها كلمات للمستشرق جب (وفى أثناء الجزء الأخير من القرن التاسع عشر نفذت هذه الخطة لأبعد من ذلك بانماء التعليم العلمانى تحت اشراف الانجليز فى مصر والهند (٢)) .

* وأخيرا تكمل هذا كلمات زعيم المبشرين النصارى «زويمر» يقول على جبل الزيتون فى القدس أبان الاحتلال الانجليزى لفلسطين سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) (لقد قبضنا أيها الاخوان فى هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر الى يومنا هذا على جميع برامج التعليم فى الممالك الاسلامية وانكم أعددتهم نشئا فى ديار المسلمين لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها (١) وأخرجتم المسلم من الاسلام ، ولم تدخلوه فى المسيحية وبالتالي جاء النشء الاسلامى طبقا لما أراده له الاستعمار المسيحى لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يعرف همه فى دنياه الا فى الشهوات .. فاذا تعلم فللشهووات ، واذا جمع المال فللشهووات وان تبوأ أسمى المراكز ففى سبيل الشهوات يوجد بكل شيء) .

كانت تلك هى النصوص ..

ومفادها .. أنه لما كانت البلاد الاسلامية فى سابق عهدها اسلامية التعليم ، فقد كبر على الاستعمار الغازى أن يترك للمسلمين دينهم ، بعد أن أبى عليهم ان يترك لهم أرضهم ..

وكان لابد له أن يحقق لهم « جهالتهم » بالدين ليتحقق فيهم من بعد أن من جهل شيئا عاداه .

وكان له فى ذلك أكثر من سبيل ..

(١) تقرير كرومر لسنة ١٩٠٦ م الفقرة ٢ ص ٥ والاتجاهات الوطنية لدكتور محمد سعيد حسين ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) وجهة الاسلام تأليف المستشرق جب وآخرين ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة .

أما السبيل الأول .. فهو ما لجأ اليه من حصر التعليم الدينى وحصاره ماديا .. ومعنويا *

فأما الحصر والحصار المادى .. فقد كان يفتح التعليم اللادينى فى مواجهته وتشجيعه وهو ما أشسار اليه المستشرق جب « بانماء التعليم العلمانى تحت الاشراف الانجليزى فى مصر والهند » *

وتتم مع ذلك تضيق الموارد المادية على التعليم الدينى *
واغداقها على التعليم اللادينى *

وأما الحصر والحصار المعنوى فهو ما لجأ اليه من تنفير وسخرية بطالب العلم الدينى وبأستاذة وبالتفرقة بين استاذى الدين ، والمواد الأخرى .. فى كل شىء .. تفرقة مرسومة مقصودة ثم بالتفرقة بين خريج المعاهد والكليات الدينية وبين زملائه فى الكليات الأخرى .. فمناصب المعاهد والكليات الدينية محدودة ، متواضعة فى المظهر وفى الأجر * ومناصب المعاهد والكليات الأخرى عديدة كثيرة فارهة المظهر ، والأجر * وفى اللاشعور .. يرسب ذلك كله *

نفورا من الدين ..

واقبالا على غير الدين ..

من حيث لا يدرى الطالب الصغير أو الكبير ومن حيث لا يشعر *

وأما السبيل الثانى .. فكان الابتعاث الى الخارج .. الى الدول غير الاسلامية وحقق ذلك الابتعاث نتائجها الباهرة المقصودة *

فهو أولا يزيد طالب التعليم العام جهالة بدينه وقيمه ومثله ويزيده تعلقا بقيم الغرب أو الشرق ومثله وهو من ناحية أخرى يبدأ بتطبيع بطباع غير اسلامية .. ثم يصير التطبيع مع الزمن طبعا وينسلخ الطالب من حيث لا يشعر حتى من تقاليده .. فى اللبس والمأكلا والمشرب وطريقة التعامل ويغدو غربيا .. أو شرقيا .. ربما أكثر من الغربى أو من الشرقى *

وحول هذا المعنى يقول أحد الكتاب الغربيين « فبينما يترك الحكام الغربيون منطقة الشرق الأدنى تتحول هذه المنطقة فتصبح أكثر غربية ويواجه الزعماء العرب طريقين *

فهم يطردون الغرب سياسيا ويسحبون الكتل الشعبية الى الغرب
ثقافيا^(١) » •

ولقد بدأ هذا السبيل مبكرا ••

ربما ليسارعوا الى تخريج الأساتذة التي تجرى « تفريخ » مبادئهم
بعد ذلك في بلادهم بغير حاجة الى ابتعاث الجدد ، وبغير حاجة الى جهد
غير وطني • وهو ما يصرح به نفس الكاتب السابق حين يقول ••

« اما الآن فقد قبلت التأثيرات الغربية في الشرق الأدنى الى
درجة تجعل من الصعب التحقق من أن امراء ما قد ذهب أو لم يذهب
الى أوروبا أصلا ، فقد أصبح العرب « متغربين بدون أن يتكلفوا عبء
الذهاب الى أوروبا » •

ومثل ذلك هو الشيخ رفاع الطهطاوى الذى ابتعث الى
باريس خمس سنوات (١٨٢٦ — ١٨٣١) ليعود بعدها يصرح بأن الرقص
الغربي (الذى تتلاصق فيه الاجساد وتختلط الانفاس وتتلاقى النظرات)
بأن هذا الرقص لون من العياقة والشلينة (أى الفتوة) ثم ينادى
بالفرعونية (وهى فى ميزان الاسلام جاهلية وعصبية منتنة) ينادى
بها بديلا عن الاسلام •

ومن بعد رافع •• كان طه حسين وكتاباتة فى مستقبل الثقافة
فى مصر وفى مرآة الاسلام •• ومن قبلها فى الشعر الجاهلى •• لا تحتاج
الى تعليق لكل ذى بصر اسلامى ••

ومع طه حسين •• قاسم أمين •• الذى نادى فى مصر بتحرير المرأة
وان نسب البعض كتابته الى الشيخ محمد عبده « والزعيم » سعد زغلول
وقد خشى الزعيمان على شعبيتهما فحملا قاسم العبء •• وحمله أنه
كان ظلوما جهولا ••

كل هؤلاء •• لم تكن ثقافتهم ولا تربيتهم محلية ••

ومن ثم فلم يكن غريبا ما صرحوا به أو اذاعوه •

بل كان ذلك جزءا من مخطط رهيب ائيم لهدم قيم الاسلام ومثله •
ولا يزال الابتعاث •• رغم ما خرج من أساتذة يقومون بنفس

(١) العالم العربى اليوم — مورو بيرجر •

الدور • لا يزال له دوره • وبخاصة في البلاد التي تسمى « نامية »
والتي يخشى ان تتجه بصدق الى الاسلام • لا يزال الابتعاث يولى
أهمية كبيرة لهذه البلاد باعتبارها بكرة » ويصل الاهتمام الى حد نزول
الابتعاث من مرحلة ما بعد الجامعة الى مرحلة ما بعد الثانوية العامة •
حيث سن المراهقة الخطير • ينتقل فيه الشاب من المجتمع المغلق الى
المجتمع المفتوح ، والمفتوح جدا • فتتقلب موازين عقله بعد موازين
قلبه ، كما حدث في درس رفاعة رافع الطهطاوى (الصعيدى) •

كما يصل الاهتمام حد الحرص على ايفاد المبعوث • سنة كاملة
كل خمس سنوات بعد عودته من بعثته المباركة وتوليه أهم المناصب •
وهكذا • يستمر الرضاع بين الأم ووليدها • دون فطام •

وهكذا • يتولد ضمان استمرار « الولاء » و « الوفاء » • أو ما هو
أشد من الولاء والوفاء •

وأما السبيل الثالث : فهو انتشار المدارس الأجنبية في البلاد
الاسلامية وقد كان في البداية سبيلا لتنصير المسلمين • وعلى هذا نصت
بعض مؤتمرات التبشير وعلى هذا نفهم انشاء الكلية الأنجيلية في بيروت •
وانشاء الجامعة الأمريكية في مصر (١) •

لكن استفادة من نصائح زويمر • لم يعد مطلوبا ادخال المسلمين
الى المسيحية أنه يكفى اخراجهم من الاسلام •

وعلى هذا تعمل المدارس الأجنبية حاليا في البلاد الاسلامية •

وأقل ضرر لها • هو الازدراء باللغة العربية ، وتمجيد اللغة
الأجنبية بما يترتب على الأمرين من آثار خطيرة في اللاشعور •

وأقل ضرر لها • هو الازدراء بالدين • بعد أن تعتمد الى تقديم
مدرسة متهدمة في مظهره ومخبره ، مثيرا للسخرية والاشمئزاز من
صغار الطلاب وكبارهم على السواء • بينما يظهر رجل الدين عندهم
على نحو مخالف يولد الرهبة والاحترام وقد يولد الحب والود والالفة •

(١) راجع قرارات مؤتمر القاهرة ١٣٢٤ هـ ١٩٠٦ م ومؤتمر لكهنؤ بالهند (١٣٢٩ - ١٩١١ م)
في كتاب الغارة على العالم الاسلامى •

وأما السبيل الرابع : فقد كان تمييع المناهج الإسلامية باسم التطوير
وقد رأينا ان كرومر قد دعا الى تطوير الأزهر •

ورأينا خلفاء « كرومر » يقوّهون بالتطوير بعد خمسين سنة أو
يزيد • ومع كرومر أو قبل كرومر نادت بذلك مؤتمرات التبشير •

ولم يكن الأمر قاصرا على مناهج المعاهد والكليات الدينية ••
ان الأمر امتد الى مناهج « الدين » في التعليم العام •• فاقترنت
على القشور •• واحتوت على التعقيد •• وصاحبها سوء اختيار معلم
الدين الذي كثيرا ما يكون متعمدا •• ليورث في اللاشعور كراهية الدين
والسخرية منه ••

وأما السبيل الخامس والأخير •• فقد كان نشر الاختلاط بين
الجنسين في مراحل التعليم وقد بدأوا بها في الجامعات •• في أكثر
البلاد الإسلامية •• تحت دعوى التقدم والتمدين ، ونشر الروح الجامعية ،
وكان التمدن والتقدم ونشر الروح الجامعية لا يتم الا باشعال نار الغرائز
وتأجيج سعار الشهوة •• في سن الشباب الملتهب •

وقالوا في تبرير الاختلاط الكثير •• مما هو غير صحيح حتى في
علمهم هم •• فقد قالوا ان الاختلاط يشذب الغريزة ويهذبها •• وأثبت
العلم أن الاختلاط لا يخلو من أحد أمرين :

اما ان يشيع « البرود الجنسي بين الجنسين » •• وهذا مرض
تشكو منه بعض البلاد وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية •

واما ان يؤجج سعار الجنس ويزيد لهيبه •• وهو ما تؤكد تجربة
القط والفأر اللذين اتيا بهما وهما رضيعان ثم وضعا في قفص صغير
واحد ، وظلا يأكلان سويا من طبق واحد ، حتى اذا جاء موعد ظهور
الغريزة ، ولكل غريزة موعد انقض القط على الفأر فأكله ولم تشفع له
عشرة طالت ولا اختلاط دام ••

وتوسعوا في أمر الاختلاط •• فجعلوه في المرحلة الابتدائية ••
وهي عند البعض قد تضم بعض سنوات المراهقة •• وجعلوه في المرحلة
الثانوية وهو أخطر ما يكون ••

وتزداد المهزلة •• حين يجعلون على هؤلاء المراهقين •• مدرسات ••
لتمتد النيران ما بين التلاميذ والمدرسات •• فتتهدم قيمة احترام

المدرس مع ما ينهدم من قيم بالاختلاط أو مع الاختلاط •

ونؤكد لهذا السبيل الآثم •• تحرص كثير من المؤلفات على التهوين •• من مقدمات الزنى التي لابد أن تقضى اليه الا من عصم ربى •• وقليل ما هم •

ففى أحد كتب مؤسسة فرانكلين الأمريكية التي تنتشر فى أحد البلاد الاسلامية يقول « فبدلا من فصل البنين عن البنات يجب أن نعمل على اشراكهم معا فى الأعمال الممتعة ومواقف اللعب واذا حدث استلطاف بين بعض البنين والبنات فينبغى النظر اليه على أنه نوع من الصداقة وليس غراما أو عشقا ••

وعبثا تحاول المؤسسة الأمريكية أن تخلع عن الحرام اسم الحرام • وأن تخلع عليه ثوب « البراءة » الكاذب • وفى مكان آخر ولنفس المؤسسة :

« ان خروج الفتيات فى صحبة الفتیان من الأمور الطبيعية التي يستطيع معظم الآباء تقبلها فى الوقت المناسب على أى حال باعتبارها جانباً من جوانب النمو الجسمى للمراهق وفى مكان آخر :

وفى كل علاقة بين فتى وفتاة يشعر كل منهما فى بعض الأحيان بدافع يحفزها على التعبير عن حبه وتقديره للآخر بلمسه أو ضغطه على اليد أو قبلة ، والكشف عن المشاعر بهذه الطريقة والاستجابة لها أمر طبيعى •

وأخيرا ••

فالشوق الى القبلة أو بعض الغزل الرقيق أو الانصات الى قصة فيها تلميحات جنسية •• هذه ليست أمورا شائنة^(١) » •

وقد سبق خطوة الاختلاط فى الدول الاسلامية المتقدمة •• خطوة تمر بها الآن الدول الاسلامية « غير المتقدمة » وهو التوسع فى تعليم البنات •

وتعليم البنت فى حد ذاته قد لا يكون هو مصدر قلق •• لكن التوسع فى هذا التعليم من غير تخطيط اسلامى بل ولا حتى فطرى •• هو مصدر القلق كله •

(١) حصوننا مهددة من داخلها - للدكتور محمد محمد حسين • مكتبة المنار الاسلامية - الكويت •

ذلك أن افكار اختلاف فطرة المرأة عن الرجل غباء أو تغلب فلا شك
في هذا الاختلاف ..

ومن ثم وجب اختلاف المناهج وفقاً لهذا الاختلاف ، ووجب اختلاف
مجالات العمل كذلك تبعاً لهذا الاختلاف .

ذلك لو كان الذين يخططون لتعليم البنسات .. يصدرون عن فهم
اسلامى أو حتى عن فهم ذاتى مبرراً من التدخل الأجنبى .

أما ان يصير الأمر مجرد مزاحمة للبنات مع الولد بحجة التمددين
والتحضر حتى لو صادم ذلك فطرتها وطبيعتها .. بحيث ترى البنت
مهندسة وصانعة وعاملة فى الأفران .. فذاك لا يقره عاقل .

كذلك يسبق خطوة الاختلاط خطوة أخرى .. هو تعرية المرأة
« المسلمة » أو كشف الحجاب عنها .. كذلك تحت دعاوى التحرر
والتمدين وما حدث فى الكويت الشقيقة منذ سنوات أقرب مثل .

لقصد كانت الكويت — وهى جزء من الجزيرة العربية . تفرض
عادتها الاسلامية الحجاب على المرأة .

وبغض النظر عن الخلاف الفقهى فى صدد كشف وجه المرأة .

فان الأمر لم يقتصر على كشف الوجه .. بل كشفت المحارم التى
لا خلاف على حرمتها .

وكان آخر ما قدمته الكويت المسلمة .. احراجا لضيف كبير مسلم
أن رقصت فتياتها المراهقات بملابس قصيرة تكشف عن أفخاذهن وبأداء
متكسر مثير .. أمام الضيوف الكبار الذين امتدت بهم الجلسة الى
ما بعد منتصف الليل .

وهكذا يسبق التحرر الاختلاط .. ليزول الحياء قبل الاختلاط
فيسقط آخر مانع يحول دون اشتعال النار .

وهكذا ينزوى التعليم الدينى .

مع ذلك الضجيج الهائل من حوله .. ومع ذلك التخريب الهائل
من داخله وهكذا مثلت « الازدواجية » فى التعليم تكتيكا مرحلياً
« مارسه أعداء الاسلام فى الشرق الاسلامى المسكين » .

وترتب على هذا الازدواج بالوضع الذى اشرنا اليه نتائج خطيرة :

- ١ — فهى أولا أدت الى تمزيق المجتمع الاسلامى •
- بين طائفة العلمانيين الواردين من الخارج أو المتخرجين فى الداخل •
- ٢ — وهى ثانياً أدت الى ابعاد العلمانيين عن الاسلام •
- ٣ — وهى ثالثاً جعلت الأمر الى أيدي هؤلاء العلمانيين •
- ٤ — وهى رابعاً أدت الى الازدراء من شأن الدين والازدراء بطلابه ومعلميه ...

ثانياً — العلمانية فى الاعلام :

- العلمانية فى التعليم أقدم وأخطر •
- والعلمانية فى الاعلام أعم وأشمل • • ومن هنا تكمن خطورتها •
- أن التعليم قد يخاطب الآلاف بمناهجه •
- لكن الاعلام يخاطب الملايين ببرامجه •
- وأكثر هذه الملايين • • ساذجة تؤثر فيها الكلمة •
- مقروعة •
- أو مسموعة •
- أو منظورة •
- فان كانت طيبة • • كانت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين باذن ربها •
- وان كانت خبيثة • • كانت كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار • من هنا • • كان اهتمام الاسلام بالكلمة وأمانتها •
- فاما أن ترتفع بالمؤمن الى معية سيد الشهداء •
- واما أن تهوى بقائلها فى النار سبعين خريفا •

وللأسف فأننا نستطيع باطمئنان أن نقرر :

أن وسائل الاعلام المختلفة من صحافة ، وأذاعة ، وتليفزيون
وسينما مسخرة اليوم لاشاعة الفاحشة ، والاغراء بالجريمة ، والسعى
بالفساد فى الأرض بما يترتب على ذلك من خلخلة للعقيدة ، وتحطيم
للاخلاق والقيم والمثل .. وهما (العقيدة والأخلاق) أساس لبناء
الاسلام فاذا انهدم .. الأساس فكيف يقوم البناء؟؟ .

وتتفاوت درجات الفساد فى وسائل الاعلام .. تبعا لهذه الوسائل
فهى فى السينما أشد ..

- يليها التليفزيون
- والاذاعة
- والصحافة

كذلك تتفاوت درجات الفساد بين أقطار الاسلام المختلفة .

قد يقول قائل .. ولربما كان الفساد فى بلاد لا تجاهر به أشد
من بلاد أخرى تجاهر به ، ففيها الزنى واللواط وأكل الربا وشرب الخمر
وغير ذلك من المنكرات .

ونقول .. ولقد يكون هذا صحيحا لا يمارى فيه عالم .. ولقد
يكون علاجه واجبا .. ليس عن طريق الحدود وحدها ، وإنما عن طريق
التربية الصحيحة والعلاج الاجتماعى بوسائله المختلفة . بالقدوة ..
والأخذ على يد المفسدين مهما كان مركزهم .. حتى لا تصير الحدود
قصرا على الضعيف دون الشريف .

ومع ذلك .. فلا يبرر ذلك .. أن تجهر بلاد بالفاحشة .. فان
فى ذلك أشاعة لها أيما أشاعة ، أو تتعالى بلاد بالمعصية فان فى ذلك
أغراء بها أيما اغراء .. وهذا يساعد على سرعة الانتشار ،
ويهبون الجريمة على من يتردد فى اقتراها .. ولذا كانت الحدود ردعا
لهذا الشر أن يسرى أو يستشرى .



وليعلم الناس ما تفعله الصحافة في بلاد المسلمين نختار أربعة أمثلة من تواريخ مختلفة :

(أ) مقال نشر بجريدة السياسة الأسبوعية بالقاهرة سنة ١٩٢٦ ذكر فيه كاتب المقال أن بعض الفتيات التركيات يشبهن فتيات أوروبا وقد تلقى بعضهن العلم في الكلية الأمريكية — بالقسطنطينية وذكرت واحدة منهن « أن المرأة التركية اليوم حرة ، فلن تسير في الطرقات في ظلام ، وأنا نعيش اليوم مثل نساءكم الانجليزيات نلبس أحدث الأزياء الأوروبية والأمريكية ، ونرقص ، وندخن ، ونسافر وننتقل بغير أزواجنا » ويعلق كاتب الجريدة .. ولا يسع كل محب لتركيا الا أن يخطبها على هذه الخطوات .

(ب) في سنة ١٣٨٦ هـ (١٩٦٦ م) استضافت أسرة تحرير الأهرام فيلسوف الوجودية سارتر وعشيقتة التي نعيش معه في الحرام (سيمون دي بوفوار) ويجهز بهذا الفجور والفساد .

ويدعى الرجال ويدعى النساء .. ليروا هذه القدوة القبيحة السيئة وليسمعوا عنها السم الزعاف ..

(ج) ويبلغ الفجور في السبعينات أقصى مداه حين تنشر جريدة الأهرام عن ضبط بيوت للدعارة فيها نساء من بيوتات لم يكن يسمع عنها من قبل سوء ..

وتنشر عن ضبط تلميذات صغيرات في هذه البيوت .

ثم تهون هذه الجريمة الفظيعة تحت عناوين مثيرة .

تلميذة في شقة مفروشة ، افتحوا أبواب الاختلاط في كل مراحل التعليم وأطلقوا الحرية للشباب تحت رقابة الأسرة والمدرسة ولا تهمننا البنت التي تتحرف من أجل فستان (١) .

(د) وفي أحد اعداد مجلة النهضة الكويتية سنة ١٩٧٦ تحقيق صحفي في سبع صفحات كبيرة مطرزة بصور مثيرة لفتيات شبه عاريات وتحت عناوين بارزة كتب بالخط العريض : حصاد المعاكسات في أسواق الكويت — مغازلات .. معاكسات .. همسات .. نظرات .. اشارات .. أرقام تليفونات .. سألت إحدى الصحفيات بعض فتيات الكويت اللاتي

(١) جريدة الأهرام ١٣/٣/١٩٧٦

أدلين بأسمائهن كاملة وقصصن ما يحدث لهن من تحرشات بأسلوب مكشوف حتى ان احداهن (....) لم تستحي أن تصرح أن بائع الأفضية في كل مرة يقيس لها حذاء أو يخلعه يتحسس ساقها كما أن بائع الملابس يمسك خصرها بكلتا يديه وتحكي أخرى (....) أن الملابس تكشف كل شيء (لأنها شفافة) وخاصة عند طلوع الدرج داخل المحل لأن الأضواء توضع على الدرج فتكشف كل شيء في جسمها • هذا بالإضافة الى زجاجة العطر التي سكبنتها على صدرها • الى جانب المكياج الصارخ الذي تزين به وجهها ، ولا أدري لماذا تحرص على مداراته بطرف العباءة (الشفافة) بعد كل هذه الزينة التي وضعتها عليه • ولا ندري ماذا يستفيد القارئ المسلم من مثل هذه التحقيقات الا تزيين الانحلال والتهوين من أمره وتعليم من يتعلم •

ونختم القول بالتنويه بما أوصى به المؤتمر العلمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعوة المنعقد في عام ١٣٩٧ هـ ١٩٧٧ م بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم منددا بحال الاعلام في البلاد الاسلامية :

« ويندد المؤتمر بالهوة السحيقة التي تردى فيها اعلامنا ولا يزال يتردى ، عن علم من القائمين به أو عليه أو عن جهل منهم ، فبدلا من أن يكون الاعلام في البلاد الاسلامية منبر دعوة للخير ، ومنازل اشناع للحق صار صوت افساد وسوط عذاب •• وسكت القادة فأقروا بسكوتهم أو جاوزوا ذلك فشجعوا وحموا •• وزلزل الناس في ايمانهم وقيمهم ومثلهم •• ولم يعد الأمر يحتمل السكوت من الدعوة الى الحق » •

ثالثا — العلمانية في القانون :

« حدد يعمل به في الأرض خير لأهل الأرض من أن يمتطروا أربعين صباحا » هذا مثل •• لأهمية الجانب القانونى في الاسلام •

وكما تكون طاعة الله في الشعائر •• لابد أن تكون كذلك في الشرائع • وكما يكون اشراك بالله في الشعائر ، يكون كذلك اشراك بالله في الشرائع •

هذه كتلك •• لأن كلاما عند الله •

والرهيب •• لازم •• كالرغب في اقامة شريعة الله •

والرهبة تولدها السلطة •

والرغبة تولدها القدوة •

والاثنان يتحققان اذا كان الحكم للاسلام ، وكان حكامه من المسلمين من أجل ذلك كله كان حرص أعداء الاسلام على ابعاده عن مجال السلطة ليحرموا الاسلام •• الرهبة •• والرغبة •
ومن ثم ليبقى مجرد هيكل اقرب الى الموت منه الى الحياة ••
ولقد وضح ذلك مما فعلوه في العالم الاسلامي ،

ولنأخذ مثلاً تركيا :

حين فكروا في ابعادها عن الاسلام بذلوا جهودهم « لعلمنة »
القانون وتدرجوا ففي كل عشر سنوات يتم علمنة جانب من جوانب
القانون منذ سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) ثم صارت كل حوالي عشرين
سنة حتى تمت أكبر علمنة باعلان الغاء الخلافة سنة ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) •

وفي مصر :

اقتُرنت « علمنة » القانون بالاحتلال الأجنبي فكانت أول علمنة
سنة ١٣٠١ هـ (١٨٨٣ م) بعد الاحتلال بسنة واحدة واقتُرنت الغاء
الامتيازات الأجنبية بشرط الأجانب الاستمداً من التشريع الغربي بعيداً
عن الشريعة الاسلامية ثم اقتُرنت الغاء النص على أن دين الدولة هو
الاسلام في دستور مصر المؤقت سنة ١٩٥٨ ثم في ميثاق العمل الوطني
سنة ١٩٦٢ اقتُرنت باحداث داخلية يعرف عنها الكثير الكثير ••

وأكثر الدول الاسلامية — بكل أسف — تمت فيها علمنة القانون •
والدول التي لا تزال فيها بقايا تطبيق الشريعة تحيط بها المؤامرات
من كل جانب لعلمنة القانون ، ويجري التمهيد لهذه العلمنة بما يجري
من « علمنة التعليم » وعلمنة الاعلام •• فيوجد جيل علماني يقدر
القانون العلماني ويولد نتيجة الاعلام — رأى علماني •• يتقبل مثل
هذه العلمنة •

وهكذا عملت العلمانية •• من خلال التعليم ، ومن خلال الاعلام
ومن خلال القسّانون ••

ولننظر كيف عملت « القومية » في مواجهة الدين ••

ثانيا : القومية

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .. آخى بين المهاجرين والأنصار على أساس من آصرة الاسلام .. وليس على أساس أى آصرة أخرى .. آخى بين بلال بن رباح وخالد بن رويحه الخثمعى ، وبين مولاة زيد وعمه الحمزة بن عبد المطلب ، وبين خاتمة بن زيد وأبى بكر الصديق ، وبين عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان .

ولما أراد أحد المسلمين أن يثيرها عصبية ونادى .. يا للأنصار .. فنادى الآخر يا للمهاجرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غاضبا : أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم .. ! وفى حديثه صلى الله عليه وسلم أكد المعنى فقال : « ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية أو يدعو الى عصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية » .

وكان من آخر وصاياه يوم حجة الوداع .. كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأبيض على أسود ، ولا لأسود على أبيض .. الا بالتقوى !!

وعلى عهد الراشدين رضوان الله عليهم ضمت أرض الاسلام أكبر امبراطوريتين على وجه الأرض .. الروم والفرس .. فما فضل عربى .. على عجمى لعروبته أو جنسه أو لونه .. انما كان الفضل بعد التقوى للعمل الصالح .. والعمل الصالح وحده وعرفت علوم الاسلام فى فروعها المختلفة .. فقهاء وعلماء من الأمصار ليس فيهم من العرب الا الغزر اليسير (١) .

(١) قال ابن أبى ليلى : قال لى عيسى بن موسى وكان دينا شديدا لعصبية العرب . من كان فقيه البصرة ؟ قلت : الحسن بن الحسن قال ثم من ؟ قلت محمد بن سيرين قال : فما بها قلت مولىان .. قال : فمن كان فقيه مكة ؟ قلت عطاء بن رباح ومجاهد وسعيد بن جبير وسليمان بن بسلة قال فما هؤلاء .. ؟ قلت موالى .. قال : فمن كان فقيه المدينة ؟ قلت : زيد بن اسلم ومحمد بن المنكدر ونافع بن أبى نجيح قال فما هؤلاء .. قلت موالى .. فتغير لونه ثم قال : فمن كان فقيه أهل قباء ؟ قلت : ربيعة الراى وابن أبى الزناد .. قال كانا قلت من الموالى ..

وفي الحديث .. عرفت أوروبا فكرة القومية .. ثم صارت متخلفة
عن العصر .. تشير الى القرن الثامن عشر أو التاسع عشر .. وصارت
دعواها بذلك دعوى رجعية لكن الأمة العربية ابتليت بها .

عرفت :

ميشيل عفلق زعيما لحزب البعث العربي الاشتراكي .

وأفطون سعادة زعيما للقوميين السوريين .

وجورج حبش زعيما للقوميين العرب .

وقسطنطين زريق أحد الزعماء الآخرين (١) .. !

وهكذا لم تعرف القومية العربية زعيما ممن يحمل أسماء المسلمين
الا واحدا لا يزال عمله في ذمة التاريخ (٢) .

وعرض الكاتبون في القوميات لما تقوم عليه القوميات من أسس
ليكتشفوا عن عدم صلاحيتها .. فعرضوا لنظرية العرق التي قامت عليها
القومية الألمانية وما يزعمون عن العرق الآري الممتاز .. ليكتشفوا عن أن
الإنسان ليسوا شعبا خالصا .. بل خالط غيره .

وكذلك الشعب العربي .. خالط الروم والفرس والأتراك ..

وفي كتاب كفاحي لهتلر جعل الأمة العربية في الدرجة ١٣

وعلى نفس المنوال عنصر اللغة .

فسويسرا تضم ٣ لغات .

والقارة الهندية تضم ٣٠٠ لغة .

وكذا سائر عناصر القومية من تاريخ وأرض ومصالح مشتركة ليس

مما زال يسأله عن فقهاء اليمن وخرسان والشام .. وهو يجيبه بأسماء من الموالى حتى
بلغ فقهاء الكوفة فقال والله لولا خوفه لقلت الحكم بن عقبة وعبار بن أبي سليمان ولكن
رأيتهم الشر فقلت : إبراهيم النخعي والشعبي قال لما كانا قلت عريبان .
(١) بشر معرب كتاب لعبة الأمم الى أن : أكثر من تسعين بالمائة من قادة حركة القومية
العربية الاقتحاح هم من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت ، ولا تزال هذه الجامعة
(وكانت تسمى سابقا الكلية الانجيلية السورية) ناشطة في تقديم مثل هذه الخدمات
لدول منطقة الشرق الأوسط .. ويشير نفس المؤلف الى أسماء زعماء القومية وكلهم من
المسيحيين !

(٢) انظر كتاب في الزنزانة للدكتور جريشة بعض هذه الاعمال .

فيها عنصر خالص تقوم عليه القومية .

هذا كله بالبحث العلمى الهادى .

فاذا أضفنا الى ذلك ما لابس اثارة القوميات من أحداث تاريخية لبان .. ما قدمنا له من أن القومية أحد العناصر التى استخدمها أعداء الاسلام لابعاد الأمة عن دينها .

اثارة القومية الطورانية فى تركيا اقترنت بتمزيق تركيا وابعادها عن الاسلام واثارة القومية العربية فى البلاد العربية .. اقترنت بتمزيق دولة الخلافة .. ومؤامرات لورانس ومكماهون .. قصدا الى القضاء على الجسد الاسلامى الذى أسموه يومئذ بالرجل المريض !!

حتى الجامعة العربية .. كانت كما يعرف كل من عاصر أحداث العصر من صناعة وزير خارجية الانجليز ! لتكون بديلا عن الجامعة الاسلامية .. وفى كتابات حديثة .. لكتاب غربيين .. أشاروا الى أن القومية العربية التى رفع رايتها فى مصر زعيم كبير .. كانت بديلا هاما عن الشعار الاسلامى الذى كان يهدد بثورة فى المنطقة فكان الانقلاب العسكرى امتصاصا لمشاعر الأمة المتوثبة للاسلام (١) !

نتائج الدعسوة القومية :

وهكذا فان تيار الفكرة القومية كانت مهمته اقضاء الاسلام وتفريغ القضية السياسية والاجتماعية بوجه عام من المحتوى الاسلامى ، واحلال فلسفة أخرى وعقيدة أخرى محل عقيدته ، واستبدال رابطة أخرى برابطته لعزل الشعوب الاسلامية بعضها عن بعض عزلا نهائيا بحيث تكون صلة بعضها ببعض كصلتها بأى شعب من الشعوب الأخرى التى تدين بالوثنية أو الماركسية أو غيرها ، والتى لم تكن تربطها بها أى رابطة ، وبذلك تنقطع الصلات بين الشعوب الاسلامية ، وتضعف روابط الثقافة المشتركة ولغة القرآن ، والقيم الخلقية ، ويقضى على الاخوة الاسلامية .

فما دام باب القومية قد فتح على المسلمين فقد كان طبيعيا أن تنتهى الى ظهور القومية الكردية فى العراق والبنغالية فى باكستان ، بعد أن أوصد الباب الذى يصل المسلمين بعضهم ببعض وهو الاسلام .

(١) لعبة الامم لما يلزكوبلاند - ص ٦٣ - ٦٥ .

وقد شجعت الدول الأوروبية الكبرى على ظهور القومية العربية في صورتها العلمانية لتحقيق مطامعها في احتلال الشرق الاسلامى .

وخاصة بريطانيا وفرنسا ، يقول (لورنس) منفذ سياسة بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى (وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا وفي الحج ، وانتساءل : هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية ، وهل يغلب الاعتقاد الوطنى الاعتقاد الدينى ؟ وبمعنى أصح : هل تحل المثل العليا السياسية محل الوحي والالهام ، وتستبدل سوريا بمثلها الأعلى الدينى مثلها الأعلى الوطنى هذا ما كان يجول في خاطرى طول الطريق)^(١) .

ومعلوم أن الثورة العربية على الأتراك قامت بتأييد بريطانيا ودعمها الأدمى والمسادى ، ودعم حليفاتها فرنسا ، وقد ثبت أن عددا من الزعماء كانوا متصلين بالوصلات الأجنبية لتلقى هذا الدعم .

وينبه (جب) الأوربيين الى أن العالم الاسلامى المتراعى الأطراف يحيط بأوروبا احاطة محكمة تعزلها عن العالم ، ويشير الى أن وحدة الحضارة الاسلامية تمحو من الأذهان حيثما حلت كل ما يتصل بالتاريخ القومى لتحل محله الاعتزاز بالتاريخ الاسلامى والتقاليد الاسلامية .

وحيث يتحدث عن الحركات القومية التى أيدتها دعايات الحلفاء القومية أثناء الحرب العالمية الأولى ينبه الى أن هذا النصر الذى حققته الاتجاهات القومية فى الشرق الاسلامى يجب أن لا يصرف الغرب عن الانتباه الى تيار المعارضة الاسلامية الخفى ، الذى يعارض فى تفتيت الوحدة الاسلامية الى قوميات علمانية ، مبينا أن هذه المعارضة الاسلامية هى أشد قوة فى البلاد العربية .

ويقول (جب) فى صراحة تامة : (وقد كان من أهم مظاهر فرجة العالم الاسلامى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة التى ازدهرت فى البلاد المختلفة التى يشغلها المسلمون الآن . فمثل هذا الاهتمام موجود فى تركيا ومصر وأندونيسيا والعراق وفارس ، وقد تكون أهميته محصورة الآن فى تقوية شعور العداء لأوروبا ، ولكن من الممكن أن يلعب فى المستقبل دورا مهما فى تقوية الوطنية الشعبوية وتدعيم مقوماتها)^(٢) .

(١) لورنس : أعيد الحكم السبعة .

(٢) فى كتاب (وجهة الاسلام) .

وهذا يجعل لنا عطف حكومات الاحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية — في الشرق الاسلامي والعربي منه خاصة التي من شأنها تقوية الشعوبية فيها ، وتعميق الخطوط التي تفرق بين هذه الأوطان الجديدة ، مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم السابق على الاسلام للتلاميذ المدارس وأخذهم بتقديسه ، والاستعانة على ذلك بالأنثييد ، ومثل خلق أعياد محلية غير الأعياد الدينية التي تلتقي فيها قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال بها ، ومثل العناية بتميز كل بلد من هذه البلاد بزي خاص — ولا سيما غطاء الرأس — مما يترتب عليه تمييز كل منها بطابع خاص ، بعد أن كانت تشترك في كثير من مظاهره^(١) .

بين العروبة والاسلام وفضل العرب :

إذا كنا نذكر المبادئ العنصرية والقومية ، فإننا نرحب باتحاد العرب وتعاونهم وتمتين أواصر القربى بينهم على أساس الاسلام فالعرب هم مادة الاسلام ، بلسانهم نزل القرآن الكريم ، ومنهم اصطفى الله عز وجل الرسول الذي بعثه الى الناس كافة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . ولهذا فلا يمكن فصل العروبة عن الاسلام ، أو فصل الاسلام عن العروبة ، وليس عجبا أن يكون تفكير العربي الصادق في عروبه تفكير اسلامي .

ومن هنا كان بغض جنس العرب ومعاداتهم كفرا أو سببا للكفر ، وهذا معناه أن العرب أفضل الأمم وأن محبتهم سبب قوة الايمان كما يقول أبو العباس ابن تيمية رحمه الله ، مستدلا بحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (حب أبي بكر وعمر من الايمان وبغضهما من الكفر ، وحب العرب من الايمان وبغضهم من الكفر)^(٢) .

كما جاء في حديث آخر (.. فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم) .

وقوله صلى الله عليه وسلم لاسلمان الفارسي رضي الله عنه : (يا سلمان لا تبغضني فتفارق دينك) . فقال سلمان يا رسول الله ،

(١) الاتجاهات الوطنية للدكتور محمد حسين .
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ص (١٥٦) (القرب في محبة العرب) للحافظ العراقي .

كيف أبغضك وبك هداني الله ، فقال صلى الله عليه وسلم (تبغض العرب فتبغضني) •

ولكن لا يلزم من الاعتراف بفضل العرب أن يجعلوا عمادا يتكتل حوله ويوالي عليه ويعادى عليه وإنما ذلك من حق الاسلام الذي أعزهم الله به ، وأحيا ذكرهم ورفع شأنهم ، فهذا لون وهذا لون ، ثم هذا الفضل الذي امتازوا به على غيرهم ، وما من الله به عليهم من فصاحة اللسان وقزول القرآن الكريم بلغتهم وارسال الرسول العام بلسانهم ليس مما يقدمهم عند الله في الآخرة ولا يوجب لهم النجاة اذا لم يؤمنوا كما يقول فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز^(١) •

موقف الاسلام من الدعوة القومية :

ان مبادئ الاسلام ومبادئ الغرب متباينة كلياً في باب القومية ، فالذي يعتبره الغربيون مصدر القوة هو مصدر الضعف والخذلان عند الأمة الاسلامية ، كما يقول شاعر الاسلام محمد اقبال : (لا تنفس أعمم الغرب على أمتك ، فان أمة الرسول الهاشمي صلى الله عليه وسلم فريدة في تركيبها أولئك انما يعتقدون باجتماعهم على الوطن والنسل ، ولكن انما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين) •

لهذا كان من غير المعقول ولا من الممكن ، كما يقول الأستاذ المودودي أن توجد في الأمة الاسلامية قوميات على أساس الألوان والأجناس واللغات والأوطان ، كما لا يمكن أن توجد داخل دولة دول كثيرة مختلفة • ومن كان مسلماً وأراد أن يبقى على اسلامه فلا بد له أن يبطل في نفسه الشعور بأي أساس غير أساس الاسلام ، ويقطع العلاقات والروابط القائمة على أساس اللون والتراب ••

وأخوف ما كان يخافه الرسول صلى الله عليه وسلم على المسلمين أن تظهر فيهم العصبية الجاهلية فتفرق كلمتهم فكان يقول لأصحابه دائماً : (لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) •

ولا يمكن بقاء الرابطة الاسلامية مع نشوء الشعور بالقومية العنصرية ، ومن المغالطة الزعم بأن احدهما تساير الأخرى ولا تضرها ،

(١) نقد القومية العربية ص (٢٠٤) و (٢١١) •

فعندما بدأ المسلمون في هذا الزمان يتغنون بالعنصرية والوطنية في كل قطر من أقطارهم متأثرين بالأوروبيين صار العربى يتغنى بعروبته ، والمصرى ينتسب الى الفراعنة ، والتركى يتيه اعجابا بتركيته ويحاول أن يصل نسبه بهولاكو وجنكيز ، والفارسى يقول لشدة انفعاله بنعسرتة القومية انه لم يكن من تأثير (الامبراطورية العربية) الا أن صار على والحسن والحسين رضى الله عنهم — أبطاله والا لكان رستم واسفندار وأنوشروان أحق أن يكونوا أبطاله القوميون في حقيقة الأمر * * وقد بدأ ينشأ في الهند مسلمون يفخرون بالانتمساب الى القومية الهندية ، بل فيهم من يريدون أن ينقطعوا عن ماء زمزم ويتصلوا بماء نهر جنجا ، وفيهم من تبعثهم أهواؤهم على اتخاذ (بهيم) و (أرجن) و (رام ها) أبطال الهندوس القدماء أبطالهم القوميون وليس هذا كله من هؤلاء السفهاء الراكبين رؤوسهم الا لأنهم ما عرفوا ما يملكون من الحضارة وما يملكة الغرب * * وما تبيينوا ما بينهما من الفرق الجذرى ، لأن عيونهم كليله عن المبادئ والحقائق فلا ينظرون الا الى السطح ، وييهو عقولهم ما يجدونه بارزا عليه من الفقايع والألوان الظاهرة ولا يعلمون أن الشئ الذى هو ماء الحياة للقومية هو نفسه ، السم الزعاف للرابطة الاسلامية^(١) .

ان بطلان الدعوة الى القومية العربية أو غيرها من القوميات مما هو معلوم من دين الاسلام بالضرورة ، لأنها منكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للاسلام وأهله ، وذلك من وجوه أربعة :

أولا : لأنها تفرق بين المسلمين وتفصل المسلم العجمى عن أخيه العربى بل تفرق بين العرب أنفسهم وتنقسمهم أحزابا ، فهى بذلك تخالف مقاصد الاسلام الذى يدعو الى الاجتماع والوئام قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) *

ثانيا : لأنها من أمر الجاهلية فهى تدعو الى غير الاسلام ، وكل ما خرج عن دعوة الاسلام والقرآن من نسب وبلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية ، كما يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله مستشهدا بقوله صلى الله عليه وسلم : (أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهوركم) * * والنصوص فى ذلك كثيرة منها ما رواه مسلم أن النبى صلى

١٠. المودودى (بين الدعوة القومية والرابطة الاسلامية) ص ٦٨ .

الله عليه وسلم قال : (ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من غضب لعصبية) • وقوله : (ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) • ولا ريب أن دعاة القومية يدعون الى عصبية ويغضبون لعصبية ، ويقاثلون على عصبية ، ولا ريب أيضا أن الدعوة الى القومية تدعو الى البغى والفخر وانما هي فكرة جاهلية تحمل أهلها على الفخر بها والتعصب لها •

والاسلام بخلاف ذلك فهو يدعو الى التواضع والتقوى والتحاب في الله وأن يكون المسلمون الصادقون من كل أجناس بنى آدم جسدا واحدا وبناءا واحدا يشد بعضه بعضا ويألم بعضه لبعض وفي الحديث الصحيح : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، ويشبك بين أصابعه) و (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) •

وفي حديث الحارث الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (وأنا آمركم بخمس الله أمرى بهن ، السمع والطاعة ، والجهاد ، والهجرة ، والجماعة ، فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه الى أن يراجع ، ومن دعى بدعوى الجاهلية فهو من جثى^(١) جهنم ، قيل يا رسول الله (وان صلى وصام) قال : وان صلى وصام وزعم أنه مسلم ، فادعوا بدعوى الله الذى سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله) • وهذا الحديث الصحيح من أوضح الأدلة وأبينها في ابطال الدعوة الى القومية واعتبارها دعوة جاهلية يستحق دعائها أن يكونوا من جثى جهنم •

ثالثا : لأنها تؤدي الى موالاته الكفار العرب وملاحقتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم وفي ذلك مخالفة لنص القرآن الكريم والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى

(١) جمع جثوة وهى البشى المجموع وقوم جثى جلوس (ا ب) لسان العرب يقول شاعر القوميين :

سلام على كمر يوحد بيننا
وأعلا وسهلا بعدهم بجهنم

أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم (١)
الآيات . .

والقوميون يدعون الى التكتل حول القومية العربية ، فيوالون
لأجل ذلك كل عربى من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة
وغيرهم تحت لواء القومية العربية ويقولون ان نظامها لا يفرق بين
عربى وعربى وان تفرقت أديانهم . . والله عز وجل يقول :
(ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم
بالمودة) . الى قوله : (ومن يفعلهم فانه منكم فسد مسواه
السييل) . (٢) ونظام القومية يقول كلهم أولياء مسلمهم وكافرهم . .
والله سبحانه وتعالى يقول : (قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم
والذين معه اذ قالوا لقومهم انا براء منكم ومما تعبدون من دون الله ،
كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله
وحده) . وقال : تعالى : (لاتجسد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم
أو عشيرتهم) (٣) .

وشرع دعاة القومية يقول اقصوا الدين عن القومية ، وافصلوا
الدين عن الدولة ، وتكتلوا حول أنفسكم وقوميتكم حتى تدركوا مصالحكم
وتستردوا أمجادكم ، كأن الاسلام وقف فى طريقهم وحال بينهم وبين
أمجادهم ، هذا والله هو الجهل والتلبيس وعكس القضية .

وكيف يجوز فى عقل عاقل أن يكون أبو جهل وأبو لهب وعقبة بن
أبى معيط والنضر بن الحارث وأضرابهم من صناديد الكفار فى عهد النبى
صلى الله عليه وسلم وبعده الى يومنا هذا اخوانا وأولياء لأبى بكر
وعثمان وعمر وعلي وسائر الصحابة ومن سلك سبيلهم الى يومنا هذا . .
هذا والله أبطل الباطل وأعظم الجهل . وشرع القومية ونظامها يوجب
هذا ويقتضيه .

رابعا : لأن الدعوة للقومية تقضى بالمجتمع الى رفض حكم القرآن

(١) المائدة ٥١

(٢) المائدة ١ - ٢

(٣) المجادلة ٢٢

الكريم لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا بتحكيم القرآن ، فيوجب هذا لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف القرآن حتى يستوى مجتمع القومية في تلك الأحكام^(١) .

وأخيرا فينبغي ألا ننسى أن القومية قد اقترنت في التاريخ الاسلامي الحديث بالعمالة للاستعمار ، كما اقترنت بالعداء للإسلام ، كما ظهر مما قدمناه من مؤامرة لورنس وأمثاله .

(١) ابن باز : نقد القومية العربية (ص ١٠ - ٢٩) .

ثالثا : تحرير المرأة

كما كانت العلمانية شعارا خادعا .. يخفى وراءه الحرب على الدين •

وكما كانت القومية شعارا خادعا كذلك .. يستعمل في مواجهة الدين •

فلقد رفع هذا الشعار « تحرير المرأة » بقصد اجتذاب المرأة المسلمة واستخدامها حربا على دينها •

وأول من أوصى به أحد مؤتمرات التبشير ••

وكان الهدف يومئذ تنصير المرأة المسلمة ••

ثم تبعهم المشرقون •

وتبعهم من تلقوا العلم والمعرفة على أيديهم •• وهم في شرقنا الاسلامي كثير ••

ماذا يقصدون بالتحرير

التحرير •• لا يكون الا من عبودية •• ؟

فهل كانت المرأة المسلمة كذلك ؟

ان المسلم لا يعطى العبودية لمخلوق •• بل يعطيها للمخالق وللخالق وحده ، ومن ثم فانه أكثر الناس تحررا من عبودية المخلائق سواء كانت آدمية ، أو كانت مالا ، أو جاها ، أو سلطانا أو غير ذلك من متاع الحياة الدنيسا ••

والمرأة المسلمة •• لها ما للرجل « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة »^(١) هذه الدرجة ليست درجة العبودية أبدا ولن

(١) البقرة ٢٢٨

تكون ، لكنه أمر اقتضاه التنظيم ، أن يكون للسفينة ربان واحد لا ربانان .
والا لغرقت السفينة بمن فيها ..

ولقد سبقت المسلمة .. غيرها من النساء ..

فعرفت واجبها ، وعرفت حقها .

وكانت لها الشخصية القانونية المستقلة .

تتعامل باسمها دون حاجة الى اعتماد تصرفها من أحد ، بينما
ظلت المرأة الفرنسية لا تتعامل باسمها وحده بل لابد من أجازة الزوج
لتصرفها .. وذلك الى عهد قريب ..

فماذا يعنى التحرر أو التحرير .. بعدما أعطاه الاسلام ما لم
يعطها نظام آخر .

قالوا : أنه يعنى تحريرها من بيتها .

وتحريرها من زوجها .

قلنا : وبماذا يخدمهم تحريرها من بيتها ، وتحريرها من زوجها ..
وبعبارة أخرى كيف يمكن من خلال هذا وذاك ابعاد الأمة عن الاسلام .

المرأة بلا شك نصف المجتمع .

وهي نصف خطير .

لأنه يؤدي رسالة خطيرة .. وان غفل عنها الكثيرون .

ان الذين يتخرجون من المدارس والجامعات يمكن تعدادهم ويمكن
أن يوجد غيرهم لم يتخرجوا من هذه أو تلك أما الجامعة التي لابد
أن يتخرج منها كل مسلم بل كل انسان فهي .. الأم .

فان صلحت صلح خريجوها .

وان فسدت فسدت خريجوها .

وتحرير المرأة من بيتها .. يعنى اغلاق هذه الجامعة ..

واذا كانت هذه هي الجامعة الأولى التي خرجت من قبل تلك الاجيال
العظيمة التي حملت الينا الاسلام ، بل حملته للدنيا كلها .

فان اغلاق هذه الجامعة يعنى .. انعدام الخريجين من ذلك
الطراز ويعنى غلبة الخريجين من طراز آخر ..

ولقد رأينا .. في عصرنا بداية الثمار .

رأينا .. ممن تسلطوا على فكر هذه الأمة .. بل وعلى سلطانها من كانت أمه .. راقصة في ناد ليلي .

وأخرى تعمل في الغناء .

وليس بين الاثنين كبير اختلاف ..

أما ماذا يعنى تحريرها من زيها .

فانه يعنى كشف ما أمر الله أن يستر ، وهتك ما أمر الله أن يمان .

يعنى .. عرضا رخيصة .. لسلعة غالية صانها ربها وصانها الاسلام .

يعنى اثاره اللحم والدم .. وهو أمر لا يستطيع أن ينكره الا غبي أو متغاب .

فاذا أضفنا الى تحرير المرأة من بيتها تحريرها من زيها .. كانت النتيجة نتيجة الاثنين غير نتيجة الواحد .

ان التحرر من البيت وحده .. قد يكون له النتيجة السلبية الخطيرة السابقة وهي حرمان الأمة من جامعة تخرج أجيالا ..

وأن تحرر المرأة من زيها وحده .. قد تكون له النتيجة الايجابية الخطيرة السابقة وهي الأغراء بالفاحشة والدعوة اليها .

لكن التحريرين .. قد يعنيان فوق النتيجتين السابقتين مجتمعتين .

نتائج أخرى أخطر وأشد .. ان أولها بلا شك .. انحلال المجتمع وسقوطه .. بسقوط قيمه وأخلاقه ومثله ..

ان فرنسا — غير الاسلامية وصاحبة الامبراطورية الكبيرة سقطت تحت أقدام ألمانيا — على مدى أسبوع واحد وهي ...

كما صرح رئيس وزرائها ، ان فرنسا هزمتها الانحلال قبل أن يهزمها الاحتلال .

فما بالناس بأمة اسلامية .. أساس نظامها عقيدة وأخلاق ..

وما بالناس بأمة اسلامية .. لم تصل بعد من ناحية القوة المادية الى ما وصلت اليه فرنسا أو أمريكا ..

ان اشاعة الانحلال — فى الأمة الاسلامية — عن طريق تحرير المرأة من بيتها وزيتها يعنى أن الأمة الاسلامية وهى بعدد لم تقف على قدميها .. تماما كما يصاب الطفل بمرض خطير لا يستطيع أن يقاومه الرجل الكبير ..

انها جريمة كبرى .. وخيانة عظمى .. يقارنها كل من يدعو الى هذا السبيل بالكلمة أو الصورة أو القدوة السيئة .

وفى عام ١٣٩٥ هـ (١٩٧٥) طالب « جوزيف ريد » المدير العام لهيئة رعاية الاطفال بعقوبات شديدة ضد الاشخاص الذين يتاجرون ببيع الاطفال فى السوق السوداء حيث يباع سنويا خمسة آلاف طفل .. وكلهم — بكل أسف — جاءوا من سفاح ويجرى الاتفاق مع الفتيات اللاتى حملن بهن من غير زواج مقابل مبلغ من المال الى جانب التكاليف الصحية والسكنية^(١) ..

أى جيل يكون ذلك الذى لا يعرف له أبا ولا يعرف له أما كذلك ؟
أى ارتداد الى عصر الرق ذلك الذى يباع فيه الأطفال ويشتررون ؟
ترى .. هل يخرج لنا تحرر المرأة .. فى شرقنا الاسلامى ..
ما أخرجه فى ذلك الغرب الصليبي .. ؟

وهل نقم منا الغرب أن كانت لنا روابط أسرية متينة يقوم عليها باذن الله مجتمع متين .. ؟

أم نقم منا أن لنا ديننا .. هو سر ابتعائنا بين الحين والحين ..
فخشى هذه الابتعاثة .. ورغب لنا فى رقدة لا نهوض بعدها ولا قيام ؟

أما المرأة الريفية :

فلم يثأ المخططون لتغريب المسلمين أن يتركوها فى حالها وحيائها .. أصروا على أن يغزوها فى عقر دارها .. ليذهبوا بما بقى من حياتها .. لتشارك أختها فى المدينة ما وصلت اليه من مدنية ..
تحت ستار الأمم المتحدة انطلقت أمريكا تغزو الريف المسلم [باسم

(١) مجلة المجتمع — العدد ٢٤٩ — ٢ جمادى الاولى ١٣٩٥ — ١٣ مايو سنة ١٩٧٥ .
نقلا عن وكالة اليونيدبريس — واشنطن .

التربية الأساسية [...]

أما ما هي التربية الأساسية ..

فهى كما عرفها أحد سدنتها الدكتور حامد عمار فى بحث القساء فى مؤتمر أمريكى منهج من مناهج الإصلاح الاجتماعى لرفع مستوى المعيشة يؤكد قيمة العملية التربوية [وتغيير الأفكار والفزعات] .

وفى مكان آخر .. تسعى التربية الأساسية الى محاولة تغيير الأفكار والفزعات والاتجاهات^(١) .

وفى سرس الليان مصر — مركز للأمم المتحدة .

وفى قرى سوريا مراكز^(٢) .. وقد تكون وصلت الى غيرها .

أما قضايا المرأة :

التي يتعمدون اثارها بين الحين والحين .. ليظهروا بمظهر المدافعين عن المرأة المحبين لمصلحتها .. فزوبعة فى فنجان .. فنسبة الطلاق فى البلاد الاسلامية ضئيلة .

ونسبة التعدد أشد ضالة .

بما لا يصح أن يرتفع الصوت معها كأنها مشكلة أو قضية^(٣) .

ولئن كانت هناك قضية أو مشكلة .. فهم سببها .

حين تسببوا بوسائل اعلامهم فى تصديق البيوت .. وفى اثاره المشاكل وحين تسببوا بدعوى المساواة العريضة فى أن لا يكون للبيت قوامة وأن يكون فيه رئيسان الرجل والمرأة .. ورئيسان فى مركب واحد يغرقانه (كما هو المثل) .

(١) حصوننا مهددة من داخلها — للدكتور محمد محمد حسين ب الناشر مكتبة المنار الإسلامية — الكويت ص ٨ وما بعدها .
(٢) المرجع السابق .

(١) فى حديث الحبيب بورقيبة بأهرام ١٩٧٥/١٢/٢٠ صرح الرئيس التونسى بأنه اصدر فى سنة ١٩٥٦ قانونا يمنع تعدد الزوجات يعتبر التعدد جنحة يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة سنة وغرامة مالية (٢٤٠ ديناراً) .. وفى مقال شيخ الأزهر ذكر أن أحد التونسيين ضبط بطلبها بجرمة الزواج بشانية ، ولم يخل سبيله الا بعد أن قرر أن هذه الثانية خليفة ولست زوجة .. وهكذا يطيب لبعض الحكام أن يجرموا ما أحل الله وأن يحلوا ما حرم الله الا ساء ما يزررون ..

ثم حين ساندوا وساعدوا انحلال الأخلاق وانفلتت من قيود الدين .. فلم يعد الرجل يخشى الله في المرأة .. ولم تعد المرأة تخشى الله في الرجل ..

فدب الخلاف والشقاق ..

والحل ليس تحررا من الدين أو مزيدا من التحرر ..

وانما عودة الى الدين والتزام بضوابطه .. وأخلاقه ..

تصير المشكلة مطولة ..

« وفي أنفسكم .. أفلا تبصرون ^(١) » .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ^(٢) » .

* * *

هذه .. شعارات الغرب .. ووسائله ..

لاحداث التغير الاجتماعي فينا ..

علمانية :

• في التعليم

• في الاعلام

• في القانون

قوميات :

تمزق الأمة الواحدة

وتمزق الدولة الواحدة .

تحرير المرأة :

ليسقط المجتمع في حمأة الرذيلة .

ويقضى بنفسه على نفسه .

(١) الذاريات ٢١ .

(٢) الرعد ١١ .

ولو نجحت هذه الدعوات .. فماذا يبقى لنا من الاسلام .. ؟
واذا نجحت فماذا يبقى في مجتمع لم يقف بعد على قدميه .. ؟
لقد استجاب لها .. الطامعون في السلطة .
واستجاب لها .. الراغبون في السقوط .. لأنهم لا يقدرون
على الارتفاع .
واستجاب لها .. السذج الجاهلون .. الذين حسبوها .. علاجاً
لهذا الشرق الاسلامي من تخلفه وعدم نهوضه .
وبقى أن ينهض العالمون الصادقون .. ليفضحوا المخطط الاتيم
للقضاء على الاسلام والمسلمين ..
بقى أن ينهض العالمون الصادقون .. ليقوموا بما قام به من قبل
نبيهم ورسولهم محمد عليه الصلاة والسلام .. فهم خلفاؤه على
ميراثه .. وهم الأمناء على رسالته .. وهم أمل الأمة الباقى بعد
أن تردى غيرهم وسقط في الشراك ..
ولنكمل الصورة أو نقرب بها من الكمال .. نقدم لأمتنا بعضاً
مما فعل .. ويفعل الصليبيون ؟

المبحث الرابع ما يفعل بنا الصليبيون

لسنا نشير أحقادا ..

فنحن على استعداد أن نعاملهم بما أمرنا به القرآن ان كفوا عن قتالنا وقتلنا ، وتشريدنا واخراجنا من ديارنا (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم .. ان الله يجب المقسطين .. انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم^(١)) فان لم يكفوا عن قتالنا وقتلنا ، وعن اخراجنا وتشريدنا .. فهم الذين يثيرون الاحقاد ، وهم الذين يظلمون (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون^(٢)) .

ولن نأتى من القديم ..

لنذكر قومنا :

بما فعلوه يوم دخلوا بيت المقدس .. فذبخوا فيه سبعين ألفا من المسلمين حتى غاصت الخيل الى صدورها في دماء المسلمين^(٣) .
ولا بما فعلوه في الجزائر .. حين قتلوا مليون شهيد ..

ولا بما يثيرون من أحقاد حين يحفظون جندهم « أنا ذاهب الى طرابلس فرحا مسرورا .. لأبذل دمي لسحق الأمة الملعونة ، لأحارب الدولة الاسلامية التي تجيز البغات الابرار للسلطان !! سأقاتل بكل قوتي لأمحو القرآن »^(٤) .

(١) المتحفة ٨ ، ٩

(٢) الشعراء ٢٢٧

(٣) حاضر العالم الاسلامي - الكاتب الابرقي ستودارد ص ٢٠٨ وحضارة العرب للكاتب الفرنسي غوستاف لوبون ص ٣٢٦ - ٣٣٠

(٤) نشرت هذا النشيد مجلة الرابطة الشرقية السنة الثالثة العدد الثاني ٢٥ جادى سنة ١٣٤٩ وقد تقدم في مبحث التفسير ص ٣٣ .

ولا بما يخططون له حين يقول أحد قادة فكرهم « ان جزيرة العرب التي هي مهد الاسلام لم تنزل نذير خطر للمسيحية » وحين يكمل آخر : « متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها الا - محمد - وكتابه •

وحين يضع لهم أحد فلاسفتهم الحل النهائي فيقترح أن يباد ثلثا المسلمين وينفى الثلث الثالث ، وتهدم الكعبة وينقل قبر الرسول صلى الله عليه وسلم الى متحف اللوفر^(١) •

سنترك هذا وغيره جانبا •

لنذكر قومنا بما يجرى الآن حيث يدعون أنهم تخلوا عن عصبيتهم أو صليبيتهم •

ولنضرب لذلك بعض الأمثلة :

١ - فى الفلبين :

يتعرض المسلمون فى الفلبين لحرب ابادة لم يشهد لها التاريخ الحديث مثيلا •

فهم يجلون من قبل الصليبيين عن أراضيهم التي خصها الله بالخصب والنماء ، فان رفضوا تعرضوا للابادة من قوات الجيش الفلبينى التي لا تكتفى بمجرد الحرب الشريفة بل تستعمل كل وسائل الابادة الممنوعة مثل الغازات والنابالم ، ثم هى بعد ذلك تمثل بالجثث وتنقم من الجرحى والأطفال والنساء •

وفى بيان للأخ عبد الباقي أبو بكر الأمين العام للعلاقات الخارجية لجبهة تحرير مورو مؤرخ ٢٩ مارس سنة ١٩٧٦ ينقل عن عمدة بانكوك محمد صالح عثمان قائد المجاهدين الذى لا يزال يقاوم الحصار منذ ١٦ شهرا والآن - يعزز الجيش الحصار بـ ٨ كتائب جديدة غير قوات الطيران التي تقصف المنطقة ليلا ونهارا والبواخر التي توجه ضرباتها المركزة من المدافع الفتاكة بدون انقطاع •• وفى مرارة يختم

(١) الفيلسوف الفرنسى كيمون •

كلامه : يبدو لى أن المسلمين فى العالم لم يعرفوا حقيقة الوضع الذى نعيشه أو أنهم يتجاهلوننا ، ثم يقول أمين عام الجبهة وكنتيجة لهذه المعارك التى لا تزال دائرة لكن قتل ما لا يقل عن ٥٠٠٠٠ مسلم .. ثم يقول : « وماركوس يعلم أنه لا يستطيع أن ينال من المسلمين ولكنه يريد أن يسرق المسلمين ويسرق أنظار العالم »^(١) .

٢ - فى أثيوبيا :

كان أسد الحبشة يضطهد المسلمين اضطهادا شديدا ، فرغم أنهم فى حقيقة الأمر يمثلون أغلبية البلاد ، فإن احدا منهم لا يشترك فى الوزارة ولا فى الحكم ، بل ولا يسمح له بارتقاء منصب قيادى من أى لون ، ولقد صارت سجون أثيوبيا مقابر للمسلمين الذين يجأرون مما هم فيه ، ولأسد الحبشة هواية فى تعذيب المسلمين انه يأمر بربط أيديهم الى أرجلهم .. وبيقون على هذا الحال سنين حتى تنقوس ظهورهم وتأخذ شكل المنحنى ، فاذا أفرج عنهم لم يستطيعوا المشى الا على أربع ..

وكنا ننتظر بعدما أسقط الامبراطور بانقلاب عسكرى ان النظام سوف يتغير .. لكن الحقيقة أن القبضة العسكرية الحاكمة اشتدت على المسلمين حتى ان تقريراً عرض على المجلس العسكرى وتم اقراره يصرح : لقد حان الوقت ان نعرف جيذا من هم أعداؤنا ، لقد اختار العرب وعملاؤهم ان يكونوا أعداءنا وعلينا ان نعاملهم على هذا الأساس^(٢) . ان المجازر التى يتعرض لها الثوار المسلمون فى أرتيريا أمر يحرك كل ذى ضمير أو مروءة « لكن اين المروءة » لقد خفت حتى اختفت .

٣ - المسلمون فى تايلاند :

نشرت مجلة الاعتصام القاهرية أنه :

(أ) فى ١٦ نوفمبر سنة ١٩٧٦ قامت السلطات التايلاندية

(١) مجلة المجتمع العدد ٢٩٦ - السنة السابعة ٢٠ ربيع آخر ١٣٩٦ - ١٠ أبريل سنة ١٩٧٦

(٢) مجلة المجتمع العدد ٢٩٧ السنة السابعة - ٢٧ ربيع آخر ١٣٩٦ - ١٦ أبريل سنة ١٩٧٦

بهدم المسجد الكبير في ولاية (بنارا) في اطار مخطط يستهدف ازالة الآثار الاسلامية ، ومنع المسلمين من اقامة شعائرهم الدينية وتشجيع ممارسة البوذيين لطقوسهم أمام المساجد وبناء الأصنام في كل المدن بالولايات الاسلامية الاربع في فطاني .

(ب) قام خمسة أشخاص من المنشأة البحرية التايلاندية بذبح خمسة من القرويين المسلمين الاحياء ، ومثلوا بجثثهم ثم قذفوا بها الى البحر في محافظة تلوية في ولاية فطاني .

انطلقت مظاهرة احتجاج تعرضت لها القوات التايلاندية سقط فيها عشرون شهيدا وجرح فيها المئات .

(ج) قامت العصابات التايلاندية في الفترة الأخيرة بحرق احدى قرى المسلمين في محافظة (جاها بولاية جالا) وتسعى العصابات البوذية الى تشجيع هجرة البوذيين من شمال البلاد الى الجنوب الاسلامي واقامة مستعمرات فيها .

* * *

وبعد .. فهل نجح الغرب .. في حربه الفكرية لنا ؟

أولا : بالنسبة للاسلوب

حين نجح انقلاب « كمال أتاتورك » العسكرى .. واستطاع أن يحقق ما كان الغرب يبغيه .. سلم الحلفاء في اتفاقية لوزان باستقلال تركيا .

ذلك أنه بالغاء الخلافة الاسلامية في تركيا سنة ١٩٢٤ تحقق أمل بعيد للصليبية ومن وراءها حاربت من أجله دهرًا طويلا .

وحاول كمال أتاتورك بعد ذلك .. سلخ تركيا من اسلامها .. بما فرضه من علمانية التعليم وعلمانية القانون ، وتحرير المرأة المسلمة التركية واختلاط بينها وبين الرجال في كل المجالات ، ثم بما فرضه من الغاء الحروف العربية واستبدالها باللاتينية .. ومن محاولته تغيير الزى بالقوة .

وأخيرا .. لقد انكشف هذا الأسلوب وتعرى .. وأساء العسكريون الى أنفسهم والى الذين يعملون لحسابهم .. أساءوا أكثر مما أحسنوا .
وإذا كان الغرب .. بحصافته .. قد أدرك فشل الأسلوب القديم .
أسلوب احتلال الشعوب بالقوة العسكرية ، فعليه — بحصافته — أن يدرك قبل فوات الأوان فشل الأسلوب الجديد أسلوب تغيير الشعوب بالقوة العسكرية عن طريق الانقلابات العسكرية .

هذا عن الأسلوب الجديد ..

فماذا عن الهدف الجديد .. ؟

ثانيا : بالنسبة للهدف

كان الغرب « ذكيا » حين أدرك في وقت مناسب أو متأخر .. أن التنصير كهدف لحملته الفكرية المؤيدة بالقوة العسكرية خارجية أو داخلية ان ذلك الهدف فشل .. وأنه برغم الجهود الضخمة البشرية والمالية والاعلامية والتعليمية .. فان النسبة التي تم تنصيرها من المسلمين نسبة تافهة .. يمكن أن تلحق بالعدم لتكون النتيجة سلبية تماما .. !

لذا كان البديل عن التنصير واخراج المسلمين عن دينهم .. هو التغيير والاكتفاء بإبعاد المسلمين عن دينهم .

وهو ما تبذل له الجهود اليوم .. من تعليم علمانى ، واعلام علمانى ، وقانون علمانى ، وتحرير للمرأة من زيتها ومن بيتها ثم ما يبذل من حط لقيمة — الدين وقيمة علمائه ودعائه .

فهل يا ترى .. نجح الهدف الجديد ؟

نجاح أمر يتعلق بالأمم والشعوب .. لا يحكم عليه في سنين .. ولا في جيل .. فقد لا تظهر نتيجته الا بعد أجيال .. وقد تكون النتيجة الواضحة أن التغريب نجح في ابعاد المسلمين عن دينهم بما فيه من قيم ايمانية .. وقيم أخلاقية ، وقيم قانونية .. وأن المسلمين استبدلوا به .. من قيم الغرب .. حتى في عاداتهم وفي لبسهم وفي طريقة أكلهم وشرابهم وفي تعاملهم و « أتيكيتهم » !

لكن هذه النتيجة مشكوك في صحتها .

انه على قدر عمق التغيير « الاجتماعى » الذى حدث استبدالا
بقيم الاسلام .. قيم الغرب وتقاليده فلقد حدث على نفس العمق ..
أكبر استمساك واصرار على النظام الاسلامى عقيدة وأخلاقا وعبادة
وقانونا .. وماج العالم الاسلامى بحركات كثيرة عميقة وأحيانا عنيفة
تدعو الى الاسلام كمنهج متكامل للفرد والأسرة والمجتمع والدولة .. !
وبدا أن الجمر يتقد تحت الرماد ..

فهل يتركونه حتى يكون نارا .. تحرق .. وفى نفس الوقت نورا
يضىء ..

أم يحاولون أن يأخذوا نوره .. وأن ينتقوا ناره .. ؟

على الذين يمارسون التغيير أن يحذروا

فقد تصيبهم النصارى .. قبل أن يغشى عيونهم النور .. وعليهم أن
يغيروا من هدفهم فلقد انكشف للناس ..

وخير للغرب .. أن يبتعد .. عن فتنة المؤمنين عن دينهم .. فان
السهم قد يرتد أول ما يرتد الى صدره ، وقد تصيبه النار قبل أن
يرى النور خير أن يحتفظ « بصداقة » الشرق الاسلامى ، ويحافظ
على مصالحه الاقتصادية والتجارية فيه من أن يصر على التغيير ..
فيفقد هذه المصالح .. ويجنى العدا الى الأبد ..

ان المسلمين لا يعادون الذين لا يقاتلونهم فى الدين ولا يخرجونهم
من ديارهم .. بل انهم على العكس يسالمونهم ، ويبرونهم ، ويقسطون
اليهم .. فذلك أمر دينهم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى
الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله
يحب المقسطين^(١)) .

لكنهم فى نفس الوقت ينقلبون مع الزمن ، طال أو قصر ، الى
أسود غضاب ازاء من يقاتلهم فى دينهم ويفتنهم فيه وازاء من يخرجهم
من ديارهم ويسلبهم أوطانهم .. ذاك أمر ربهم (انما ينهاكم الله عن
الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على اخراجكم
أن تولوهم .. ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون^(٢)) .

(١) المستحقة ٨

(٢) المستحقة ٦

خير للغرب أن يدرك .. أنه يمكن لحضارته أن تعيش .. إذا تركت
حضارة الاسلام كذلك لتعيش .. وأنه يمكن للحضارتين أن يتعايشا ..
(لكم دينكم ولي دين^(١)) وأنه خير أن تتعايش الحضارتان .. من أن
تصر حضارتهما على العيش وحدها ..
فتفنى باذن الله وحدها ..

لأننا مؤمن ان الله حافظ دينه (انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون)^(٢) ، (والله متم نوره^(٣)) ، (ويأبى الله الا أن يتم
نوره ولو كره الكافرون^(٤)) — فأى الطريقين .. يختارون ؟

ولا يخشى الغرب أن يغزوه الاسلام مرة أخرى ..
فحسبنا اليوم .. وسائل الاعلام .
وحسبنا اليوم .. وعى الناس .
وحسبنا اليوم .. أن نترك لهم الخيار .. فانه (لا اكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي^(٥)) .
وحسبنا درس الامتداد العضوى الذى مارسته تركيا من غير
بسط فكرى ولا عقائدى ..

فارتد المد جزرا أصاب الأمة في كبدها وفي قلبها ..
حسبنا الدرس التاريخى .. أن نكرره .. مرة أخرى .
وحسبنا .. أن ننظم بيتنا .. ونضم جروحنا .. ونستعيد أنفسنا
فأمامنا لذلك سنين ان لم يكن قرون .. !

ولا نترك هذا التعقيب .. حتى نقول لأبنائنا وأخوتنا .. ممن
لا يزالون منخدعين .. وان كانوا قلة .. فانهم أعزاء علينا أن يفارقونا ،
وفارقوا قومهم .. نقول لهم ..

(١) الكافرون ٦

(٢) الحجر ٩

(٣) الصف ٨

(٤) التوبة ٢٢

(٥) البقرة ٢٥٦

ان فى الغرب بضاعتين .. بضاعة يزجىها اليكم .. وبضاعة
يضمن بها عليكم ..

فأما التى يزجى .. فانها تسلبكم أخلاقكم ، وقيمكم ، وتاريخكم ،
وشخصيتكم ..

وأما التى يضمن .. فهي سر تفوقه المادى عليكم .. هي علمه
وفنون صناعته (تكنولوجيته) ..

فما بالكم أقبلتم على التى يزجى .. وتركتم التى بها يضمن ..
فما حصلتكم غير القشور .. غير الزبد .. وتركتكم ما ينفع الناس !
ان فى خزائننا الجواهر .. وان علاها التراب من طول الزمن وكثرة
الكيد⁽¹⁾ .. وان ما عندهم .. سراب خادع .. أو معدن براق لكنه غير
أصيل .. فلا ينبغى أن نترك الجواهر فى خزائننا .. لنهد أيدينا ..
للمعادن غير الأصيلة ..

ما ينبغى أن تكون اليد المتوضئة هي السفلى ..

واليد الأخرى هي العليا ..

فكيف اذا كانت اليد المتوضئة تملك الجواهر .. كيف ترضى أن
تمتد .. وأن تكون هي السفلى ..

وذلك لا يمنع من أن نستفيد بعلم الغرب وتجربته ..

من غير أن نهجر قيمنا ، ومبادئنا ، وأخلاقنا ، وعقيدتنا من غير
أن نترك ديننا .. فلا نبيع ديننا ولو كان بالدنيا كلها !

(1) يقول الشاعر : ان الجواهر فى التراب جواهر والاسد فى قفص الحديد أسود

الباب الثاني

الإتجاه الماركسيّ

الفصل الأول :
البوعاء

الفصل الثاني
المبدأ

الفصل الثالث :
ماذا فعلت الماركسية
بالمسلمين

تمهيد

لم تتغلغل الشيوعية في الشرق الاسلامى .. كما تغلغل الغرب
ربما لأن الأخير أسبق زحفا وأرسخ قدما ...

وربما .. لان الأخير أدرك في الوقت المناسب طبيعة هذا الشرق
.. فكف عن الحرب السافرة له في عقيدته .. وتلون باسم الحضارة
أو المدنية أو التغريب أو التغيير الاجتماعى لينشر العلمانية ، وتحرير
المرأة ، واضعاف الدين ... دون أن يشعر أكثر المسلمين ..

لكن الماركسية أخطر على الشرق الاسلامى من الغرب ... بما
تحمل في « أسلوبها » من « خداع » ينطلى على عامة الناس . خاصة
من يخاطبون أول ما يخاطبون ممن يسمونهم طبقة « الصعاليك »
أو البروليتاريا أى طبقة العمال الكادحة وبما تحمل من تخدير لهذه الطبقة
أنها اليها سيؤول الحكم ، وأن لها المكاسب من دون سائر
الطبقات (١) .

ثم بما تحمل في غايتها من تحطيم لعقيدة هذه الأمة وقضاء على
دينها ... باعتبارها في البداية وفي النهاية قائمة على الكفر بالله والاحاد
في أسمائه ورفض كل الأديان ، وان اتخذت « تخطيطا » مرحليا .. بعدم
الهجوم على الأديان .. أو الزعم بأنها تسمح لها بالوجود أو البقاء ..
أو بالتواء بهذه الأديان .. للقول بأنها هى الأخرى اشتراكية
ويسارية « ... الخ .. وهى في سبيل هذه الغاية .. حين يلوح لها
النصر أو .. المتمكين تدوس كل شئ .. وتهلك الحرث والنسل .. وتغرق
البلاد في حمامات الدم لتقضى على كل خصومها .. وليظل الردع ماثلا
لكل من تحدثه نفسه بالخروج عليها ...

وقد عاشت الماركسية .. منذ صارت لها دولة .. تبذل الكثير لنشر
مبادئها ورسمت لنفسها « خطة » الزحف عن طريق « الشعوب » أو
الطبقات الكادحة .. ليتم التغيير من القاعدة .. لكنها منذ سنين قليلة

(١) راجع أنيون الشعوب للاستاذ عباس محمود العقاد الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٥
الناشر دار الاعتصام - القاهرة .

دأحت تجرب « لعبة » الولايات المتحدة الأمريكية لتجرى التغيير من القمة « بدلا من « القاعدة » عن طريق الانقلابات العسكرية •

ونجحت انقلاباتها في بعض البلاد في الاستيلاء على السلطة ...

لكن هل تنجح في تغيير القاعدة ؟ •

والماركسية تستعد • لترث حضارة الغرب • وهو أمر وارد •

أولا : لأنها اليوم تعيش « شبابها » وحضارة الغرب تعيش كهولتها

ثانيا : لأن لها من السحر والخداع لعامة الناس وخاصة الطبقة

المتعلمة ما ليس لغيرها من مبادئ الغرب •

ثالثا : لما يبعثه الغرب الآن من تفسخ • وانسلاخ من دينه بما

لا يحميه من ذلك الكفر الصراح •

وأخيرا : لما أشرنا اليه وسوف نشير اليه باذن الله من أن أساس

الحضارتين واحد • فلا غرو أن ترث الأخت أختها •

ومن ثم ...

فكلماتنا • رغم موضوعيتها وأساسها العلمي — تحمل النذير

لأمتنا ...

ان البساط يسحب من تحت أقدامها •

وأن الدمار و « الفناء » • ينتظرانها •

ان هي غفلت بعد اليوم • ولو لحظة •

أو ان هي فرطت • بعد اليوم • ولو ذرة •

ونحسب أن نقطة البداية الطبيعية لمثل هذه المبادئ الخادعة ان

نتعرف وعاءها • فكل وعاء بما فيه ينضح • البيئة التي نشأت فيها

• ثم الرجل الذي نادى بها •

ثم نعرض بعد ذلك للمبدأ • في أصله •

وفي محاولة تطويره • لتلافي عيوبه •

وأخيرا • لما فعلته الماركسية • بالمسلمين •

ابتداء ... من أرض القرم والقوقاز ...
وانتهاء ... الى أرض اليمن والصومال ...
والله المستعان ... وعليه التكليف ... ولا حول ولا قوة الا بالله
العلی العظیم ..

وان الحكام أول المسئولين .. ليس فقط أولئك الذين سمحوا لها
— عن علم — بالوجود على أرض المسلمين ليحملوا أوزارهم كاملة يوم
القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم — بل كذلك أولئك الذين
يمهدون لها — عن جهل — الطريق ، ونعني ذلك الفريق الغارق في شهواته
المبذر في أمواله وأموال المسلمين من غير إقامة لعدالة الاسلام الاجتماعية
بين الفقراء والمحرومين •

الفصل الأول الوعاء

دراسة المبدأ بغير وعائه ... دراسة قاصرة ...
ذلك أن الفصل بينه وبين ذلك الوعاء فصل تحكمي ...
... والا ...

فإن نافخ الكير « يمكن أن يخرج » مسكا وحامل « المسك » يمكن
أن يخرج شرارا ... وصدق الله العظيم « والبلد الطيب يخرج نباته
بأذن ربه : والذي خبث لا يخرج الا نكدا » (١) ..

والحديث عن وعاء الماركسية يشمل :

البيئة التي ظهرت فيها *

ثم الرجل الذي نادى بها ... وحسبنا ذلك ...

وان كان في كثير من النماذج الأخرى .. الداعية اليها الكثير
من سمات أصحابها الأولين ..

المبحث الأول

البيئة

ظهرت الماركسية أول ما ظهرت ... في أوروبا ...

وكان كل شيء .. هناك ... يمهّد لها .

الدين ..

الاقتصاد ..

الفلسفة ..

ولنعط كلا .. كلمة ..

أولا : الدين في القرن التاسع عشر (١) :

قاست أوروبا .. الكثير .. مما آل اليه أمر دينها .. هذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها .. ففي الوقت الذي بدأت تتفتح فيه على العلم وتأخذ بأسبابه ..

وفي الوقت الذي اتصلت فيه بالشرق الاسلامي — بأكثر من طريق — وعرفت عقيدته السهلة وشريعته السمحة ... تفتحت آذانها .. وعيونها ... على دين معقد يصادم العقل ويرهقه ... فمن قائل بأقانيم ثلاثة .. (الأب والابن والروح القدس) ..

ومن قائل « المسيح ابن الله » .

ومن قائل « ان الله هو المسيح بن مريم » ..

وكل ذلك تحريف لدين المسيح — عليه السلام وخروج عليه .

فكيف لأبناء « عصر النهضة » أن يسيغوا ذلك « الخلط والخطب »

وكيف بمن سمعوا شيئا عن عقيدة الاسلام « لو كان فيهما آلهة

إلا الله لفسدتا (٢) » .

(١) راجع مرضا طيبا في كتاب للاستاذ عبد العظيم خفاجي ص ٦٦ وما بعدها .

(٢) الانبياء ٢٢

« ليس كمثله شيء »^(١) • (قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)^(٢) •

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسيغ ذلك التعقيد ؟؟؟
ثم كيف مع ذلك التعقيد •• بما انحدر اليه رجال الدين ••
« كرسى الاعتراف » •• صكوك الغفران •• قرارات الحرمان •
وأخيرا تلك الوصمة التي لا تنسى •••
اضطهاد العلم والعلماء ••• وتكفيرهم ••• وسوقهم الى محاكم
التفتيش لترتفع أعظم الرؤوس على أعواد المشانق ••
لم يكن بعد ذلك غريبا •• أن ترتفع الصيحة ••
« اشنقوا آخر ملك •• بأمعاء آخر قسيس » •
ثم بأن تكون « الردة » عن ذلك الدين ••
الى دين ماركس ••

ثانيا : الاقتصاد في القرن التاسع عشر^(٣) :

كانت الرأسمالية في عنفوانها •••
أصحاب المزارع الكبيرة « يمارسون » الاقطاع •
وأصحاب المصانع — بعد الثورة الصناعية — يمارسون اقطاعا من
نوع آخر ••
قلة تملك وتكدس الثروات •• وتعيش حياة « الترف الداعر » •
وملايين محرومة •• تعيش حياة البؤس والشقاء ••• وتشهد من
قريب من يرفلون في عرق جبينهم •
والتطرف يفضى •• الى تطرف ذاك قانون الطبيعة ••
فليس غريبا أن تستمع الطبقة الكادحة لذلك النداء الخادع •••

(١) الشورى ١١

(٢) الاخلاص

(٣) راجع تفصيلا في مؤلف الدكتور محمد البهي تهاكت الفكر المادي بين النظرية والتطبيق ص ١٧ وما بعدها الناشر — مكتبة وهبه — الطبعة الثالثة اكتوبر سنة ١٩٧٥

يا صغاليك العالم .. اتحدوا فأمامكم عالم تغنمونه وليس عندكم من شيء تفقدونه غير القيود والأغلال (١) .

وليس غريباً أن يصدقوا نظرية « فائض القيمة والغناء الملكية الفردية » و« شيوعية المال واسطورة : من كل حسب طاقتة ... ولكل حسب حاجته »

ثالثاً : الفلسفة في القرن التاسع عشر :

كانت الفلسفة السائدة في ذلك القرن هي ما يمكن أن يسمى بالفلسفة المثالية والتي كانت ميراثاً كبيراً .. منذ افلاطون « الى فيورباخ » .
وقد أغرقت في التحديق في الخيال .. وأغرقت كذلك في الخوض .
فيما ليس لها فيه علم ... مثل كثير من « الالهيات » فكانت الفلسفة المادية .. القائمة على « الحس » رد فعل لتلك الفلسفة المثالية المغرقة في الخيال (٢) .

وهكذا كان الدين .. في أوروبا .. يمهّد للماركسية ..
وكانت الرأسمالية في أوروبا .. تمهّد للماركسية ..
وكانت الفلسفة المثالية في أوروبا .. تمهّد للفلسفة المادية ... وكان على البشرية كلها ...
أن تنكفر عن « خطيئة » أوروبا ...
بخطيئة أخرى ... هي الماركسية .
وقبل أن نعرض لها ...
فلقى بعض الضوء ... على صاحبها .. ومؤسس أول دولة لها ..
ليكتمل الحديث عن الوعاء ...

(١) هذه صيغة ماركس استغل فيها نكسة الرأسمالية وارتكاسها لينتقل بالعالم الى نكسة وارتكاسة اشد خطورة .

(٢) راجع عرضاً جليلاً للاستاذ عبد العظيم خنّاجي عن ان الفلسفة المادية كانت تعبيراً عن أزمة الفلسفة المثالية من ص ٥٥ - ٦٦ من كتابه القيم (حوار مسع الشيوعيين في اقبية السجون) الطبعة الاولى ١٣٩٤ - ١٩٧٤ - دار القلم - الكويت ..

المبحث الثاني

مؤسس الفكرة

أولا : اليهود و « الفكرة » :

مؤسس الفكرة : ماركس

ومؤسس الدولة : لينين

وكلاهما من أصل يهودي

وحتى لا نفرق في الحديث عن صناعة اليهود للفكرة وصناعتهم للدولة وما قيل عن « تخطيط » اليهود للثورة البلشفية^(١) .
وتمويلهم لها^(٢) .

واشتركهم بأعضاء منهم في مجلس الحزب والثورة^(٣) .

ثم في مجلس السوفييت الأعلى الحاكم^(٤) .

ورفعهم شعارهم .. شعارا للثورة البلشفية نفسها^(٥) .

(١) هذا ما قد يفسح من بروتوكولات حكماء صهيون — وما يؤكدته تنبؤ ناشر هذه البروتوكولات العالم الروسي « سرجي نيلوس » منذ سنة ١٩٠١ بقيام الثورة البلشفية في روسيا ، وهو ما حدث فعلا بعد ستة عشر سنة من تنبئه .

وفي مجلة يهودية أمريكية في ١٠/١٩/١٩٢٠ ان الثورة الشيوعية في روسيا كانت من تصميم اليهود وأنها قامت نتيجة لتدبير اليهود الذين يهدفون الى خلق نظام جديد للعالم وان ما تحقق في روسيا كان بفضل العقلية اليهودية التي خلقت الشيوعية في العالم ونتيجة لتدبير اليهود ولسوف تعم الشيوعية العالم بسواعدهم (مجلة امريكان هبرو) .

(٢) تشير كثير من المؤلفات الى أن تمويل الثورة الشيوعية قام به خمسة من اليهود هم : جاكوب شسيف ، جوهنايم ماركس بريغوغ وأتوكان (راجع محمد خليفة التونسي الخطر اليهودي ، ماجد الكيلاني — الخطر اليهودي على العالم الاسلامي ، حقيقة الشيوعية سلسلة اخترنا لك دار المعارف بمصر . تجربة عربي في الحزب الشيوعي لقدرى طلعتي بيروت .
(٣) كان من اليهود في مجلس ادارة الحرب والثورة : ١ تروتسكي ٢ جوف — ٣ لينين ٤ — انتشلخت ٥ — سويردلوف ٦ — لورنسكي ٧ — جوسيف ٨ — مولتوف ليس يهوديا ولكنه متزوج يهودية راجع ما سبق .

(٤) كان المجلس الحاكم على عهد ستالين مكونا من ١٧ عضوا منهم ١٤ يهوديا على النحو التالي : كاجاتوفتش (نائب رئيس المجلس) بيريا ، شفيرنيك ، كيرتشينستين جوركين ، ميرشيلوف ، مولوتوف ، ايليا ايرهمبرج ، وينسكي ، هيسنرج ، ميخيليس غرمين جودي ، لوزوفسكي .. علاوة على أن رئيس المجلس ستالين كان متزوجا من يهودية ويفكر أمان راجورا في كتابه عن ستالين أن جدته لاه كانت يهودية .

(٥) يتخذ اليهود الاسمى الرمزية رمزا لامتهم كما يتخذون النجمة السداسية شعارا لهم وقد اتخذت الثورة البلشفية شعارا لها الاسمى الرمزية وبدأخلها النجمة السداسية ..

... كل ذلك .. وان كان أكثره صحيحا .. ان لم يكن كله ..
فانه في الوقت نفسه يتضمن لونا من الدعاية اليهودية بقصد القاء الرعب
في قلوب أعداء اليهود وحمل الآخرين على تقبل مطالب اليهود ...
نقول لا نغرق في ذلك .. لنعرض لماركس صانع الفكرة .
ونترك صناع الدولة « اكتفاء بالاشارة السابقة » .

ثانيا : ماركس :

وندع أنه من أصل « يهودى » .
وان كان لذلك الأصل تأثيره .. بما عرف عن الطبيعة اليهودية من
حقد والتواء وبما عرف منها من تقديس للمادة .. (ولتجدنهم أحرص
الناس على حياة ..)^(١) أية حياة .. ولا شك أن للوراثة أثرها . نعرض
عن ذلك حتى لا نحاج باننا نحمل الرجل أوزار — أجداده وآبائه ..
والله يقول (ولا تزر وازرة وزر أخرى)^(٢) .

لكننا نشير الى أشياء ثابتة في حياة كارل ماركس :

- ١ — ما وصفه به أبوه من طبيعة تميل الى الهدم والتدمير والانانية .
 - ٢ — ما قبله على نفسه أن يعيش بعد وفاة أبيه عائلة على أمه
وأخواته يأكل من نصيبهن في الارث بعد أن أكل نصيبه .. وذلك بدلا
من أن يعولهن وهن الاناث الضعاف .
 - ٣ — ما قبله على نفسه أن يعيش عائلة على صديقه « فردريك
انجلز » .
 - ٤ — ما ارتكبه من غش واحتيال على بعض دور النشر اذ باعها
حق نشر بعض كتبه في الوقت الذي كان يبيعها الى دور أخرى ..
 - ٥ — موت ابنتيه منتحرتين ..
- واحدة (الينورا) بعد أن عاشت (في الحرام) مع عشيق لها ثم

(١) البقرة ١٦

(٢) ماطر ١٨

اكتشفت سبق زواجه ، والثانية (لورا) خوفا ان تدركها الشيخوخة ، ونحن وان كنا لم نأخذ كارل بذنب آبائه .

فاننا لا نأخذه بذنب بناته كذلك ... ولكننا نتساءل كيف لم يستطع ذلك العبقرى ... أن يربى بناته ... بل لم يستطع أن يعرفهن طريق الحياة الصحيح^(١) .

ولنحاول بعد ذلك أن نتعرض على الماركسية مبدأ ... بعد أن عرفناها وعاء ... فيما عرضنا له من « البيئة التي نشأ فيها ثم من الشخص الذي نشأت عنه » ...

(١) راجع عرضا جميلا لاحد عبارة الفكر الحديث عباس محمود العقاد في كتابه الشيوعية والانسانية في شريعة الاسلام — نشر دار الكتاب العربي من ص ٢٩ — ٧٤ وقد أغفلنا الإشارة الى امرين :

الامر الاول : ما أشار اليه العقاد من اعتلال جسمه ، وما قد يكون له من اثر في اعتلال عقله فان ذلك ليس اضطرارا دائما .. فقد تكون علة الجسم حائزا الى توقف العقل واستقلابه اذا عرف الطريق الصحيح .

الامر الثاني : ما أشار اليه العقاد من قذارة كارل ماركس البدنية ومدم نظامه وما استدلل به على ذلك نقلا عن « ليوبلد شوارزشيلد » صاحب كتاب البروس الاخير ، وغيره من انتقاريير المحفوظة في دار المحفوظات بمدينة ليزج — فقد لا يرى البعض أن تلك القذارة الظاهرية ناجمة عن قذارة باطنية .. وقد لا يكون الربط محكما بين قذارة جسمه وقذارة افكاره .

الفصل الثاني : المسبّد

من مادية « فيورباخ » وجدلية « هيغل » ... أقام كارل ماركس فلسفته على المادية الجدلية^(١) وربطها بأربعة قوانين وبهذه المادية فسر التاريخ تفسيراً مادياً ، وبهذه النظرية المادية أرجع كل شيء في الاقتصاد الى أدوات الانتاج وقال بفائض القيمة ..

وبذا تبدو الماركسية أشبه بالدين ... نظرة الى الحياة وتفسير للكون ، ونظام للمجتمع ، ولا يتسع المقام للعرض لجوانب الماركسية .. كمذهب ... وكنظام اجتماعي .. واقتصادي وسياسي لكننا نكتفى منها بالأساس .. فاذا انقضى الأساس فبقية البقاء محكوم عليه بالسقوط والانهدام وتبدو الرابطة واضحة بين أساس الماركسية الفكرى ، وأساس الغرب الفكرى .. بل ان الماركسية مدينة للغرب في فكرها .. فان ماركس لم يأت بجديد وانما من التلفيق بين ما قاله هيغل وما قاله فيورباخ أقام فلسفته التى كانت — كما أشرنا — رد فعل للفلسفة المثالية التى أغرقت في الخيال^(٢) .. أو كما قال بحق أحد الكتاب كانت تعبيراً عن « أزمة الفلسفة المثالية في القرن التاسع عشر » ..

وفلسفة ماركس مضى عليها أكثر من قرن .. ومن ثم فهى — كفكر بشرى محكوم عليه بالرجعية ، وان ادعت ، أو ادعى أنصارها لها عكس ذلك .

ويبدو ذلك واضحاً في محاولات كثيرة جرت لترقيعها ...

ومنها ما قال به لينين .. حين واجهت النظرية العمل والتطبيق ... وبدأ امتحانها الحقيقى .. ومنها ما أدخله عليها ستالين وخروشوف والمؤتمر الذى انعقد سنة ١٩٦٣ فى موسكو من ٢٩ عالم سوفيتى ليضع

(٢٤١) يعترف ماركس وانجلز ولينين أن ينبوع الفلسفى الأساسى للفلسفة الماركسية كان المثالية الألمانية وأنه لولا الفلسفة الألمانية ولا سيما فلسفة هيغل (ونضيف اليها فيورباخ) لما تأتى الاشتراكية العلمية أن ترى النور .
ماركسية القرن العشرين — ترجمة لكتاب جارودى — التحول الكبير فى الاشتراكية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ م تعريب نزيه حكيم .

« أسس الماركسية اللينينية » مما انهارت معه بعض أسس تلك الفلسفة أمام حقائق العلم الحديث .. وأخيرا ما قال به الفيلسوف الفرنسي روجيه جارودى فى سنة ١٩٦٦ م فى كتابه « التحول الكبير فى الاشتراكية » .

والذى عرب تحت اسم ماركسية القرن العشرين^(١) .

وبه بعدت الماركسية كثيرا عن أساسها وغضب لذلك أنصارها فأخرجوه من الحزب سنة ١٩٦٩ بعد أن كان يحتل مركز عضو المكتب السياسى وفيلسوف الحزب الشيوعى الفرنسى ، وأعقب ذلك رفض الحزب الشيوعى الفرنسى لدكتاتورية البروليتاريا ، وتبعه فى ذلك الحزب الشيوعى الايطالى .

وفى الصفحات التى تلى .. نحاول بمشيئة الله فى بحث أن نعرض للمبدأ فى أساسه^(٢) ، ثم نحاول أن نعرض فى مبحث ثان نظرتهم الى الدين .. قديما .. وحديثا .. ليحق الله الحق بكلماته .. ولو كره المجرمون .. وسوف نلتزم الموضوعية فى عرضنا للمبدأ ومناقشتنا له ان شاء الله .

(١) مشار اليه ماركسية القرن العشرين مترجمة لكتاب جارودى التحول الكبير فى الاشتراكية الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٢ تعريب نزيه حكيم .

(٢) بالنسبة للتفسير المادى للتاريخ تراجعت عنه الماركسية فيما قرره فردريك انجلز من خطئه وصاحبه فى تقديم المعامل المادى على غيره من العوامل .. وحسبنا منهم ذلك . وبالنسبة للماركسية كنظام فإن مكان دراستها كنظام اقتصادى علم الاقتصاد كنظام سياسى علم السياسة كنظام اجتماعى علم الاجتماع .. بيد أننا كما أشرنا بهدم الأساس ينهدم بالله بقية البناء والله غالب على أمره .. راجع لنا عرضا سريعا تحت عنوان مقنة الماركسية فى كتاب شريعة الله حاكمه ليس بالحدود وحدها .

المبحث الأول المبدأ في أساسه

- تقوم الماركسية على أساس من المادية الجدلية .
- فالماركسية تقوم على المسادة .
- وتؤمن بالجدل .
- ولنا في كل كلمة ..

أولا : المسادة :

في فكر ماركس — على ما كان سائدا في القرن التاسع عشر — كانت المسادة هي ما تقع عليه الحواس ومن ثم قامت فلسفة ماركس ونظريته على أساس من ذلك التعريف الذي صار طالب المدارس الثانوية يعرف اليوم أكثر منه ، وان أضاف اليه ماركس أن الفكر لا حق على المسادة وتابع لها .. ومن ثم فقد عاد لينين ليعرف المسادة بأنها الوجود الموضوعي خارج الذهن .

- وتتابعت الاكتشافات العملية بأسرع مما تصورت الماركسية ..
- وصارت الماركسية في حرج من أمرها ..

واجتمع أكثر من عشرين عالما سنة ١٩٦٣ م ليضسعوا « أسس الماركسية اللينينية » فهدموا ما قاله ماركس اذ قرروا « أن النشاط الذهني أو الفكري خاصة مميزة للمادة ولكنها ليست شكلا من أشكال المسادة ... »

ثم ليقرروا :

وفي الوقت الحالي يعتبر التوحيد بين الفكر والمادة من مفاهيم المسادة المنحطة .. ويسجل فيلسوف ماركسي متحرر من الماركسية القديمة جمودها في مواجهة العلم ، وبعبارة أدق عدم ملاءمتها اليوم لصيحات العصر العلمية ، ويدعوها الى أن تطور نفسها لتظل صالحة للعصر ..

لكنها في الواقع اذ تتطور نفسها تكاد تنسلخ من أصلها لتصير شيئاً
جديداً ... يمكن أن ينسب الى شيء آخر سوى ماركس (١) ...

وبعد :

هل المادة .. هي الطاقة ؟

أم صورة منها ؟

وهل الحرارة والكهرباء آخر مراحل المادة ؟

وأين يذهبان حين يختفيان مع الأثير ؟

وما هو الأثير ؟

أنه ليس بالشيء المادي وان لم يعرف بعد ما هو ..

لا يزال العلم يضيف كل يوم جديداً ...

ولا تزال محنة الماركسية قائمة ما استمكنت بقيام الكون على
أساس من المادة والمادة فقط (٢) .

وهل المادة هي ما يحس فحسب ، وقد أثبت العلم أن ما تقع عليه الحواس
من المواد يمثل ٧٪ وما لا تقع عليه الحواس ٩٣٪ (٣) .

ولا تزال محنة الماركسية قائمة وهي عاجزة عن أن تجيب ..

أم خلقوا من غير شيء ؟ أم هم الخالقون ؟

أم خلقوا السموات والأرض ؟

بل لا يوقنون (٤) .

(١) ينقل الفيلسوف الفرنسي اندريه جارودي من درديك انجاز قوله على المادية بالضرورة
أن تكتسب صورة جديدة مع كل اكتشاف هام بادى الازر في تاريخ العلوم .
ثم يتساءل : هل حقق الماركسيون برنامج انجلز .

ويجيب : لقد فعلوا ذلك مرة واحدة عام ١٩٠٨ بكتاب لينين المادية والتجريبية النقدية حيث
تضى ثلاث سنوات من عمره يدرس أهم كتب الفيزياء المعاصرة «التحول الكبير في الاشتراكية» .
(٢) راجع عرفنا جيلا للاستاذين : عبد الحليم خناجي ، يوسف كمال محمد الاول في كتابه
القيم حوار مع الشيوعيين والثاني في بحثه القيم مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية
والاسلام ..

(٣) من بحث لوحي الدين خان مقدم الى مؤتمر الفقه الاسلامي بالرياض في ذي القعدة ١٣٩٦ هـ

(٤) الطور ٢٥ ، ٢٦

ثانيا : الجدل :

الجدل الذى يمزج ماركس بينه وبين المادة .. هو ما أشار اليه هيجل من احتواء الشيء على النقيضين ..

وغير ماركس .. ذلك النسج ..

وغره أن كان العلم — على قرنه التاسع عشر يعتبر الطبيعة قائمة على عنصرين — الطاقة والمادة ..

ومن ثم أخذ الجدل وبنى عليه فلسفته المادية الجدلية *

وأثبت العلم بعده وحدة الطاقة والمادة *

وأن المادة ليست الا طاقة مركزة *

والطاقة مادة .. لا نقول عنها انها طاقة الا أن تسير بسرعة الضوء وكان تفجير الذرة .. تكذيبا لما قال به ماركس من قيام التناقض داخل المادة .. فقد توهم من وجود السالب (الالكترون) .. والموجب (النيترون) انهما متناقضان وفات ماركس أن الاختلاف لا يعنى التناقض .. أن وجود السالب والموجب : داخل الذرة *

وداخل الكهرباء

وداخل المغناطيس

بل وفي النباتات

وفي الحيوان

وفي الانسان

لا يعنى أبدا التناقض *

أنه يعنى شيئا آخر فات ماركس .. هو التكامل والتزواج .. فمن العنصرين تقوم الحياة وصدق الله (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)^(١) *

(١) الذاريات ٤٩

ومظاهر الطبيعة الأخرى التى قد تعطى ظلا من الاختلاف .
كالليل والنهار مثلا .. انما تعطى فى الحقيقة التكامل الذى أشرنا اليه
وهو ما يشير اليه القرآن الكريم ... (وجعلنا الليل لباسا ، وجعلنا
النهار معاشا)^(١) .

ومن ثم فلا تناقض متى وجد التكامل ..

بل انها كلها تبين .. وفق نظام رسمه لها خالقها (لا الشمس ينبغي
لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)^(٢)
ولا يقع التناقض ولا الصراع الا ان تخرج المادة عن نظامها الذى خلقها
عليه خالقها فالذرة لا تنفجر .. حتى يختل ترتيب الالكترونات
والبروتونات ومثل الذرة .. كل مظاهر الكون والطبيعة .. لا تختل
حتى تخرج عن نظامها المفطور أو مدارها المرسوم ...

ومثل الطبيعة الانسان .. لا تناقض فيه بين الذكر والأنثى ..
بل تكامل وتزواج . « ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا
لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »^(٣) « والتناقض والتنافر
لا يعانى .. الا أن يخرج الرجل عن طبيعته أو تخرج المرأة عن طبيعتها ..
ولا تناقض داخل الانسان نفسه لا تناقض بين روحه وجسده .. بل
كذلك .. تكامل وتزواج ولا يأتى التناقض والتنافر حتى تطغى إحدى
القوتين على الأخرى .

فيتوهم الانسان انه يمكن ان يعيش جسدا بغير روح .. يلبي
رغائب الجسد وشهواته .. وفى مقدمتها شهوى البطن والفرج . وينسى
ان له روحا .. لها غذاء ولها أشواق .. ولا بد معها من الضوابط
للقوة الأولى قوة الجسد .

أو يتوهم الانسان انه يمكن ان يعيش روحا بلا جسد .. فيعرض

(١) عم ١٠ ، ١١

(٢) يس ٤٠

(٣) الروم ٢١

عن مطالب الجسد أو يكاد فيرهق نفسه بالصيام دهرًا ، وبقيام الليل كله •• وينسى سنة الرسول صلاة الله عليه وسلامه •• (ان لربك عليك حقا • ولبدنك عليك حقا ، ولزوجك حقا فاعط كل ذي حق حقه) •

وبذا ينهار جدل « ماركس » ومن قبله جدل « هيجل » وتعيش الحقيقة الخالدة (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ^(١)) •

المبحث الثانى

الماركسية والدين

كان لابد من هذا المبحث .. وان استغنيا عن كثير من مباحث الماركسية ..

أولا : لأن كثيرا من المتمرسين يزعمون .. أنه لا كفر فى الشيوعية ولا الحساد .

ثانيا : لأن النعمة الجديدة التى صاروا اليها أو ساروا بها .. هى امكان الجمع بين الماركسية والدين .. فلا تعارض بينهما .

ونحاول أن نبين موقف الماركسية من الدين .

ثم نبين بعد ذلك موقف الدين من الماركسية .. وهل يمكن ان يرفع بها الدين أو يكمل بها « نقصه » .

أولا — موقف الماركسية من الدين :

لم يخف ماركس رأيه فى الدين .

بل ان الدين — على قرنه التاسع عشر فى أوربا — كان تمهيدا طبيعيا للماركسية .. كما قلنا .. بما آل اليه أمره من تعقيد فى العقيدة .. ثم بما آل اليه أمر أهله أو رجاله من تنفير وتشويه .. بعد التحريف والتأويل ..

وماركس واتباعه يردد فى أكثر من مكان .. ان الدين « أفيون » الشعوب ومخدر الفقراء وأنه انعكاس لشقاء فعلى واحتجاج على هذا الشقاء^(١) .

(١) روجيه جارودى — المرجع السابق من ١٤٢ وما بعدها والدكتور عبد الحليم محمود فى بحثه الاسلام والشيوعية ص ٣١ والاسلام فى وجه الزحف الاحمر محمد الغزالى ص ٥٠ وما بعدها جمال عبد الناصر من الشيوعية فى كتاب (حقيقة الشيوعية) .

وظلت الماركسية تعتز بموقفها من الدين .. طوال صدامها مع الكنيسة حتى اذا قيض للماركسية أن تجد لها أتباعا في شرقنا الاسلامي . فانها بدأت تراجع موقفها من الدين .. لتتخذ ازاءه « خطة مرحلية » بعدما وجدت من عقيدة الاسلام صخرة صلبة تقف في طريقها .. وكان ان قرر بعض المؤتمرات الشيوعية ضرورة الابتعاد عن الهجوم على الدين وتلا ذلك نصائح بعض مفكريهم بعدم انكار أثر الدين وبمحاولة الاستفادة منه .. وهكذا يقول احدهم : « وان هناك لأملا كبيرا مشتركا بين ملايين المسيحيين في العالم وبين ملايين الشيوعيين وهو ان نبنى المستقبل دون ان نضيع شيئا من ميراث القيم الانسانية التي جاءت بها المسيحية منذ الفى عام ويضيف ان تكذيب صيغة « افزيون الشعوب » التي لخص بها ماركس ولينين تجربة لا سبيل الى نكرائها ، ليس قضية فحسب بل هو أيضا أمر ممارسة سياسية واجتماعية (١) .

ثانيا - موقف الدين من الماركسية :

ونحن نقصد بذلك ديننا .. دين الاسلام .

فلئن كان في ظروف الدين المسيحى - على وضعه الحالى - ما اتاح للماركسية ان تنتهكه بل ان تلتهمه .. فليس في ظروف ديننا شيء من ذلك .

ليس في ديننا ذلك التعقيد في العقيدة .

ليس فيها اقايم .. ولا تثليث .. ولا اشراك .

وليس في ديننا شيء من التحريف أو التشويه .

كما حدث لدين المسيح عليه السلام مما حدا بمفكرى الماركسية ان ينظروا الى الدين على أنه مشروع انساني « أى جهد بشرى » .

(١) روجيه جارودى - المرجع السابق ص ٢٠٢ - وان كان يعترف في نفس الوقت بالحاد للماركسية ويميز الحاد الماركسية من الحاد القرن الثامن عشر الذى كان في جوهره سياسيا والحاد القرن التاسع عشر الذى كان بصورة عامة الحاد علموى . (يقصد علمى) أى : من تناقض النظم مع دينهم في ذلك الحين ويسمى الاتحاد الماركسى الحاد القرن العشرين ويقول انه في جوهره انسى من ١٤٣ ، ١٤٤ المرجع السابق وهو يعتبر الدين جهدا انسانيا من ١٦٣

ولا وقف علماء الاسلام من العلم مثل ما فعل رجال الدين المسيحي مع العلم والعلماء في القرون الوسطى .. ومن ثم فان موقفنا من الماركسية يختلف عن موقفهم .

ومحاولة التوفيق أو « التلفيق التي يصنعها » أذكىاء « الماركسية للتدليس أو التدسس الى الاسلام .. باعلانهم قبول الاسلام عقيدة والاشتراكية العلمية منها .. محاولة مفضوحة .. مردودة ..

أولا : لانه واضح فيها التكتيك المرحلى ..

وهو ما كشفت عنه كثير من كتابات مفكريهم بل ما أوصى به بعض مؤتمراتهم .

وثانيا : سواء اعتبروا تلك « المصالحة » أو التوفيق « تكتيكا » مرحليا .. أو قبلوه استراتيجية دائمة أو حتى أدخلوه في نظريتهم واعتبروه جزءا من أيديولوجية (عقيدة) دائمة .. على كل هذه الفروض .

فان ذلك العرض مرفوض

لان القول بأن الاسلام عقيدة .. والاشتراكية العلمية منهج .

قول يتنافى مع طبيعة الاسلام .. فهو عقيدة ومنهج حياة ..

وهو في هذا لا يقبل التجزئة ولا التفرقة .. ولا المساومة .

ولا التلفيق .. ولا الترفيع .. !

ويسمى كل ذلك : كفرا .

وفتنة .

وجاهلية . ومحادة لله ورسوله .

(أفئذمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) (١١٩) .

• (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك) (١) •

(أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) (٢) •

(اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله) (٣) •

واذا كان الأمر كذلك .. فإن الذين صنعوا 'الدين رجال وهم رجال .. ولهم ان يصنعوا مثل ما صنعوا .. ومن ثم لهم ان يشرعوا « الماركسية » كما شرع البابوات « المسيحية » •

وليس في ديننا .. صكوك غفران ولا قرارات حرمان •

وهو في هذا منطقي مع عقيدته .. ومع شريعته •

فعقيدته ان « الشرع » كالخلق خالص حق الله •

(الاله الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) (٤) •

والالوهية التي نرفعها لنا شهادة وشعارا ونقر بها لله سبحانه وتعالى وننفىها عن سواء .. هذه الألوهية من معانيها التسليم لأمر الله وشرعه •

وشريعته كذلك :

شملت .. كل نواحي الحياة (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) (٥) تشمل الحياة السياسية • والحياة الاجتماعية والحياة الاقتصادية ولا يمكن فيها فصل حياة عن حياة •

ومن ثم فللماركسية أن تبحث لها عن دين آخر •

(١) المائدة — ٤٩

(٢) المائدة — ٥٠

(٣) البقرة — ٢٧٨ ، ٧٩ •

(٤) الأعراف — ٥٤

(٥) النحل — ٨١

تجرى معه التوفيق أو التوفيق ..

ولقد سبقتهم الى ذلك يوما قريش ..

فقال الله لهم :

(قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد
ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد • لكم دينكم ولي دين^(١))

(١) الكافرون

الفصل الثالث ماذا فعلت الماركسية بالمسلمين

- المأساة أجل من أن تكتب في فصل
- نكتفى فيها بالاشارة
- ونطلب فيها من القارئ... بل نلح أن يقرأ المزيد

المبحث الأول

المسلمون في الاتحاد السوفيتي^(١)

الأرض الاسلامية — ميراث محمد عليه الصلاة والسلام — أضعاف
أرض روسيا فاقاليم الاسلام في الاتحاد السوفيتي تشمل :

- ١ — الأورال •
- ٢ — استرخان •
- ٣ — سيبيريا •
- ٤ — القرم (وهي أغنى المناطق بالحاصلات الزراعية) •
- ٥ — القوقاز (وهي أغنى المناطق بالبترول وبعض المعادن) •
- ٦ — التركستان بلاد ما وراء النهر (منها اماما السنة البخارى
ومسلم ، والمفسران الزمخشري والنسفي ، وأئمة البلاغة واعجاز القرآن ،
عبد القاهر الجرجاني وسعد الدين التفتازاني ويوسف السكاكي ، ومنها

(١) اما ماذا فعلت في غير المسلمين لهذاذبح المجر سنة ١٩٥٦ وتشيبوسلوفاكيا سنة ٦٨ اقرب مثال وخير مثال. وأما ما فعلته في نفسها فاقرا فيه : أثرت الحرية — لفكتور كراتشيسكو روسي هارب من جحيم رومانيا •

(٢) هذا عنوان فصل في كتاب الاسلام في وجه الزحف الاحمر وجدناه افضل ما كتب عن حال المسلمين في الاتحاد السوفيتي للداعية الاسلامي الشيخ محمد الغزالي •

الفارابى وابن سينا ، ومن علماء الرياضة والفلك خالد والبلخى ومن علماء الهندسة بنو موسى . ومنها البيرونى ، والماتريدى الخوارزمى ، والسرخسى والجوهري وغيرهم ..

ومن الثروات المعدنية :

٢٥٠ منجما للذهب ، ١٦ للفضة ، ٤٦ للحديد ، ٣٢ للرصاص ٣٤ للبترول ، ٧٠ للفحم ، ١٣ للكبريت ، ٦٣ للصوديوم عدا الاورانيوم والفرام والزئبق والنحاس والقصدير والبلاطين ..

وهذه الاقاليم تمثل الشمال الشرقى من العالم الاسلامى .

وهى تمثل من حيث المساحة تسعة أعشار مساحة الاتحاد السوفيتى (كانت ٤٠٠ ألف كيلو مترا .. فصارت بعد ضم البلاد الاسلامية ١٤ مليون كيلو متر) ..

بعد الثورة البلشفية أصدر مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء موجها الى شعوب روسيا من المسلمين كان من بين من وقعه لينين وستالين جاء فيه (مؤرخا ٧ ديسمبر ١٩١٧) .. ان امبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار والأرض التى تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل نارا ..

وفى وجه هذه الاحداث الجسام نتجه بانظارنا اليكم أنتم يا مسلمى روسيا والشرق ، انتم يا من تشقون وتكدحون وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق انتم له أهل ..

أيها المسلمون فى روسيا ..

أيها التتر على شواطئ القولجا وفى القرم ..

أيها الكرغيز والسارتيون فى سيبيريا والتركستان .

أيها التتر والأتراك فى القوقاز ..

أيها الجبليون فى اتحاد القوقاز ..

انتم يا من انتهكت حرمت مساجدكم ، وقبوركم واعتدى على عقائدكم وعاداتكم ، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم :

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم ، وحرية نظمكم القومية ..
ومنظمااتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم .. لا يطغى عليها ولا يعتدى
عليها معنئد ..

هبوا اذن فابنوا حياتكم القومية كيف تشئتم ، فانتم احرار لا يحول
بينكم وبين ما تشتهون حائل .. الى أن قال البيسان :
أيها الرفاق .. أيها الاخوة ..

لنتقدم سويا في عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطى ..
ان رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة في ارجاء العالم .
أيها المسلمون في روسيا ..
أيها المسلمون في الشرق .

اننا ونحن نسير في الطريق الذى يؤدى بالعالم الى بعث جديد
نتطلع اليكم لنلتمس عندكم العطف والعون ..
استجابت البلاد الاسلامية وأعلنت استقلالها (عن الحكم الروسى
القديم) .
فهل تركها الحكم الذى « يحمل الحرية للشعوب المظلومة في ارجاء
العالم » ؟

في أبريل سنة ١٩١٨ أى بعد أربعة شهور من البيان السابق -
أصدر لينين أمرا بالزحف على البلاد الاسلامية وسارت الجيوش الروسية
بالدبابات والطائرات والمدافع .. تدمر وتحصد ما في طريقها وفي نهاية
العام تم لها الاستيلاء على جمهورية « ايديل أورال » وشمال القوقاز ،
وحكومة خوقند ، وتأخر استيلاؤها على شبه جزيرة القرم لعنف
المقاومة فيها .

وفي سنة ١٩١٩ تم الاستيلاء على جمهورية الاش أوردو .
وفي أبريل سنة ١٩٢٠ انتهت من احتلال القرم ، واستأنفت الهجوم
على جمهورية آذربيجان واستطاعت اخضاعها .
وفي نهاية سنة ١٩٢٠ استولت على جمهورية خيوة بعد أن ظلت
تدافع دفاع المستميت ..

وفي سنة ١٩٢١ استأنفت الهجوم على جمهورية بخارى ودار فيها قتال مرير ودافع أحفاد الامام البخارى رضى الله عنه عن ميراث محمد عليه الصلاة والسلام .. لكنهم وحدهم لم يستطيعوا الوقوف في وجه الزحف الأحمر الثقيل فهزمت جيوشهم المنظمة ، لكنهم ظلوا يحاربون حرب عصابات مدة عشر سنوات دون أن يتلقوا أية معونة من العالم الاسلامي^(١) ونشرت جريدة أرفسيتا في عددها الصادر ١٥ يولية سنة ١٩٢٢ تقريراً للمفريق كاليينين عن مجاعة القرم (نتيجة نقل الروس ما في الجزيرة من أقوات ليضطروهم للتسليم) •

بلغ عدد الذين اصابتهم محنة الجوع في شهر يناير ٣٠٢٠٠٠

مات منهم ١٤٤١٣

ارتفع عددهم في شهر مارس الى ٣٧٩٠٠٠

مات منهم ١٩٩٠٢

بلغ في أبريل ٣٧٧٠٠٠

مات منهم ١٢٧٥٤

وفي يونية ٣٩٢٠٧٢

(ولم يذكر كم مات في هذا الشهر) •

وقد كان سكان القرم في سنة ١٩١٧ : ٥ ملايين •

فأصبحوا في سنة ١٩٤٠

٤٠٠ ألف فقط

أقل من عشر السكان •

وكانت المساجد ١٥٥٨ مسجدا •

لم يبق منها الا عشرات ••

لجأت الثورة الشيوعية بعد أن استتب لها الأمر •• الى نفى شعوب

(١) كان العالم الاسلامى قد قطع اربا • وكانت دولة الخلافة الاسلامية خارجة من الحرب المالية الاولى وكان زعيمها مصطفى كمال أتاتورك — لعنه الله يقاوم لانغاء الخلافة الاسلامية.

بأكملها ليحل محلها الروس .. وفى بيان لوكيل الجامع الأزهر ورئيس
جماعة الكفاح الإسلامى أرسل الى الأمم المتحدة .. قدم بعض المهاجرين
من الحكم البلشفى الغاشم بعض الحقائق نذكر منها :

(أ) فى التركستان وحدها قتل الشيوعيون سنة ١٩٣٤ مائة ألف
مسلم ونفوا ثلاثمائة ألف مسلم ومات ثلاثة ملايين جوعا نتيجة استيلاء
الروس على محاصيلهم واعطائها للصليبيين ليحلوا محلهم .. وفيما
بين سنة ١٩٣٧ — ١٩٣٩ ألفت القبض على ٥٠٠ ألف مسلم أعدمت منهم
فريقا ونفت الباقي ..

وقتلوا من علماء الدين : الشيخ برهان البخارى قاضى القضاة
والشيخ خان مروان مفتى بخارى ، والشيخ عبد المطلب داملا ، والشيخ
محسوم متولى ، والشيخ عبد الأحد دارخان ، والشيخ الحاج ملا يعقوب ،
والشيخ ملا عبد الكريم .. وغيرهم كثيرون .. ومن الساسة خدمة نياز
رئيس الجمهورية ، ومولانا ثابت رئيس الوزراء وشريف حاج قائد
مقاطعة ألما آتا ، وعثمان أوراى قائد مقاطعة كاشغر ، ويونس بك وزير
الدولة والحاج أبو محسن وزير التجارة ، وظاهر بك رئيس مجلس
النواب وعبد الله داملا وزير الأشغال .

وفى سنة ١٩٤٩ هرب ٢٠٠٠ ألفا شخص منهم ١٢٠٠ لقوا حتفهم
فى الطريق .

وفى سنة ١٩٥٠ هرب ٢٠٠٠٠ مسلم .. وقتلت روسيا منهم سبعة
آلاف .

(ب) فى القرم قتلوا :

سنة ١٩٢١ مائة ألف مسلم جوعا .

سنة ١٩٢٨ قتلوا ولى ابراهيم رئيس الجمهورية مع وزرائه .

سنة ١٩٣٠ قتلوا محمد قوباشى رئيس الجمهورية وجميع وزرائه .

سنة ١٩٣٧ قتلوا الياس طرخان رئيس الجمهورية وجميع وزرائه
بعد استدعائهم الى موسكو أثناء محاكمة المارشال تحاتشفسكى .

نصوص في الاتحاد السوفيتي :

في دستور سنة ١٩١٨ نص على أن حرية الدعاية الدينية واللا دينية مكفولة للجميع .

عدل في سنة ١٩١٩ الى حرية اقامة الشعائر الدينية وحرية الدعاية اللا دينية مكفولتان لجميع المواطنين .

وفي دستور سنة ١٩٣٦ (م ١٢٤) لكى يستمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل الكنيسة في الاتحاد السوفيتي عن الدولة والمدارس عن الكنيسة ويكفل لجميع المواطنين حرية الدعوة ضد الدين . .

وفي المادة ١٢٢ من القانون الجنائي السوفيتي تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية في مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة .

وواضح من هذه النصوص :

١ — التفرقة الظالمة بين حرية التدين وحرية الالحاد فالأولى قاصرة على مباشرة الشعائر (ان صدقوا فيها) والثانية ممتدة الى حرية الدعوة والدعاية ضد الدين . .

٢ — تنتهى حرية التدين الى مجرد شعائر بغير مضمون ولا تطبيق اذا وعينا النص الجنائي الذى يحرم تلقين الأطفال العقائد الدينية في مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة فمن أين يأتى لهم التدين الذى يسمح الدستور (المحترم) بممارسة شعائره . .

المبحث الثنائي

المسلمون في غير الاتحاد السوفيتي من البلاد الماركسية

ونكتفى فيه ببعض النماذج :

أولا : من الصين :

ونأخذ منها مثلا واحدا .. ما نشرته صحيفة « تمديدات باد » في هونغ كونج في عددها الصادر في ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٦ وهو منشور موجه الى الحرس الأحمر جاء فيه : « يا رجال الحرس الأحمر » لا يمكن أن ندع عدوا من أعدائنا يهرب وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الأعداء تخفيا — المسلمين — الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم ..

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعاتكم الدينية على وجوهكم سنطردكم وندمركم *

ومن الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار لأن الأبقار تخدم الشعب ، يجب أن تأكلوا لحم الخنازير ..

ولا يمكنكم من الآن فصاعدا أن تضيعوا وقتكم في الصلاة ..

يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التي هي ضد اللغة الصينية .

.. ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس (القرآن)

اسمعوا أيها المسلمون :

— دمروا جوامعكم — حلوا المنظمات الاسلامية ، أحرقوا

القرآن *

- ألغوا الحظر الذى وضعتموه على الزواج المشترك •
- كفوا عن الصلاة •
- ألغوا الختان •
- ادرسوا أفكار ماو •
- اذا لم تتدمجوا سنطردكم وندمركم ، يجب أن نسحق جهور
الجرذان الدينية وندمرها معكم •
- فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى •
- فليحيا طويلا طويلا الرئيس ماو^(١) •

ثانيا : من يوغسلافيا :

- ونقتطف بالنسبة لها من بيان وكيل الجامع الأزهر عن جاءوا لاجئين:
- ١ — قتل الشيوعيون ٢٤٠٠٠ مسلم بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة •
 - ١٥ ألف من مقاطعة طوزلا •
 - ٣ آلاف من مدينة سراييفو •
 - ٦ آلاف من ماكيدونيا وكومونا •
 - ٢ — قتلوا مفتى كرواتيا الشيخ عصمت مفتيتش والعالم مصطفى يوصولا حبيتش •
 - ٣ — فى سنة ١٩٤٧ حكموا على ١٧ زعيما البانيا (من المقيمين فى يوغوسلافيا) •
 - ٤ — فى سنة ١٩٤٩ حكموا على ١٣ زعيما البانيا بالاعدام وعلى آخرين بالأشغال الشاقة •

(١) مجلة الومى الاسلامى عدد اكتوبر سنة ١٩٦٦ اشار اليه كذلك الشيخ محمد الغزالى فى كتابه القيم الاسلام فى وجه الزحف الاصر ..

ثالثا - من بلغاريا :

جاء في بيان موجه من هؤلاء المسلمين الى اخوتهم في العالم الاسلامى ، وأشار اليه خطاب اتحاد الطلبة المسلمين في شرق أوروبا الى كل من وزير الخارجية السعودى ، والى الرئيس العام لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة بالملكة العربية السعودية سنة ١٣٩٦ (١) .

نحن المسلمين البلغار نتقدم بالشكر لكل من عمل على نشر قضيتنا للرأى العام سواء كان ذلك بالاذاعة أم بالصحف ، وقد كان لذلك أثر عميق في نفوسنا ، ونود أن نوضح حقائق أخرى عن تلك القضية .

بعد أن شعر المسئولون البلغار بنشر القضية خارج القطر أذاع راديو صوفيا بيانا باللغة العربية رادا فيه بأن المسلمين في بلغاريا يتمتعون بكل حرية ومساواة مع الآخرين .

لا شك أن هذا الرد غير صحيح وبعيد كل البعد عن الحقيقة كما سنوضح ذلك ، ونلفت نظر العالم بأجمعه أن الدستور البلغارى يذكر في المادة (٣٣) :

البند (ب) لكل مواطن بلغارى الحق في أن يعتنق أى دين يرتضيه ،

البند (و) لكل مواطن بلغارى يحمل اسما غير بلغارى الحق في رفع قضايا جنائية في حالة تعرضه للاذى أو الاهانة لمجرد حمله لهذا الاسم .

وبالرغم من ذلك أن الحكومة البلغارية مصممة ومستمرة في تنفيذ مخطط التنصير الماركسى ضد المسلمين .

فقد طلب من جميع المعلمين المسلمين أن يغيروا أسماءهم الاسلامية أو أن يطردوا من أعمالهم وألا يسمح لهم بممارسة أى عمل في أى جهاز من أجهزة الدولة الرسمية ورفض ١٦٥ معلما مسلما أن يغيروا أسماءهم ولذلك طردوا من وظائفهم ومنعوا من حق العمل في بلغاريا موطنهم ومسقط رأسهم .

وعند بدء العام الدراسى ١٩٧١ - ١٩٧٢ طلب من جميع تلاميذ

(١) الأول برقم ٤٢ في ١٥ جمادى الاولى سنة ١٣٩٦ والثانى في ٥ جمادى الاولى سنة ١٣٩٦

المدارس المسلمين أن يغيروا أسماءهم الإسلامية كشرط لاستمرارهم
كتلاميذ والا يطردون من المدارس ، ورفضوا جميعهم وطردها من
المدارس .

صدرت أوامر في المؤسسات الحكومية لجميع المسؤولين الإداريين أن
يقوموا بإجراءات حازمة لتغيير أسماء المسلمين العاملين في المؤسسات ،
وكونت جماعات بوليسية مسلحة من قبل وزارة الداخلية لمراقبة تنفيذ
هذه الأوامر ومتابعتها حتى النهاية .

تم القبض على مجموعات كبيرة من المسلمين ووضعوا في معسكرات
أعدت خصيصا لهذا الغرض وساموهم أمر أنواع العذاب ومن عاد منهم
فبرجل مكسورة أو يد أو أضلع مكسورات .

تم حصار بعض القرى وقاموا بانتهاك حرمة المنازل بعد أن حطموا
الأبواب والنوافذ واقتحموها عنوة وقذفوا بأصحابها في الخارج ، وقد
لقى عدد كبير من النساء والأطفال حتفهم وكذلك الشيوخ من جراء
الرصاص الذي أصلاهم به رجال الأمن الذين من واجبهم حفظ المواطنين،
وقد تعرض الكثير من النساء والأطفال لنهش الكلاب البوليسية وقد عارض
كل المسلمين تلك الأوامر حتى الفتيات منهم مما أدى إلى إرسالهن إلى
السجون ، ولاخفاء تلك الجرائم تم القبض على بعض المسلمين واتهموهم
زورا وبهتاناً بارتكاب جرائم قتل المسلمين وحكم عليهم بالاعدام ونفذ
فيهم حكم الاعدام .

في يوم ١٠ مايو ١٩٧٢ تحرك حوالي ٢٠٠٠ مسلم من منطقة
بازرجيك ومنطقة بلاقويقراد وسمولن قراد في مظاهرة احتجاج متجهين
إلى صوفيا (العاصمة) وكان ذلك في جوف الليل لكي لا يعلم بهم
البوليس وقد ضم الموكب كل فئات المسلمين من الذين أعمارهم من ١٥ إلى
٧٥ عاما وكان تحرك الموكب تحت ظروف قاسية وسط الأمطار الغزيرة
والوحل وعلى بعد أميال قليلة من صوفيا وبالتحديد في محطة اسكار
علمت بهم السلطات وأرسلت لهم قوة ضخمة من الجيش والبوليس
وحاصروهم بالدبابات والعربات المصفحة ونقلوهم إلى مدينة بيلو حيث
وضعوا في السجون حتى الآن .

وفي ١٢ مايو ١٩٧٢ حوصرت قرية ايلانسكو برجال البوليس تصحبهم
الكلاب البوليسية فتصدى لهم المسلمون بشجاعة وبسالة وقتلوا أحدا

رجال البوليس وكاجراء انتقامى تم القبض على ٣٠ مسلما وقدموا الى محاكمات عسكرية أصدرت أحكامها بالاعدام على ثلاثة من المسلمين وبالسجن على عدد آخر .

فى يوم ١٣ مايو ١٩٧٣ حوصرت باكرودا حيث يشكل المسلمون نسبة ٨٠٪ من عدد السكان واقتحم الجيش منازل المسلمين عنوة واقتسادوا المسلمين مكبلين بالسلاسل واقتيدوا الى مراكز الشرطة حيث طلب منهم أن يوقعوا على طلب بتغيير أسمائهم تحت جـو من الارهاب والضرب والتهديد بالسجن والطرده من العمل وفى هذه الظروف القاسية تمكن الشهيد أمين محمد وفتسرنكوف من الهرب ولكن قوات الجيش طاردته وأطلقت عليه الرصاص فاستشهد وهو أب لطفلين فى ٣٣ عاما من عمره .

أوقفت جميع المعاشات عن العجزة الذين تقاعدوا عن العمل وأغلقوا أبواب العمل أمام كل الذين رفضوا تغيير أسمائهم وحرهم وهم حق العلاج وهم الذين أفنوا شبابهم فى خدمة بلغاريا .

حدث فى مدينة مدان ان وضعت امرأة مسلمة فى أحد المستشفيات الحكومية وطلب منها رسميا أن تختار لطفلها اسما غير اسلامى فرفضت أن تستجيب لطلبهم فأخبروها أن هذا أمر حكومى ولا بد أن تنفذه فعند ذلك رمت طفلها بين أيديهم وتركته لهم .

فى كثير من مناطق المسلمين حطموا المساجد وكانوا فى الماضى قد منعوا الشباب من دخول المساجد والآن قد منعوا الشيوخ وكانوا ينتظرون موت أئمة المساجد فيقفلوها بحجة أن امام المسجد قد توفى .

الى غير ذلك من الحوادث الشنيعة فى مطاردة المسلمين واذلالهم .

ويختتم البيان بما يلى :

اننا نناشد اخواننا المسلمين والعرب أن يمدوا لنا يد العون وأن لا يكتفوا فقط بالاحتجاج اذ أن هذا الأمر يحدث على سمع العالم ومرآه اننا نطالب. وقف هذه الحملة ضدنا دون ذنب ارتكبناه ونطلب من الدول العربية التى لها علاقات اقتصادية مع بلغاريا أن تتدخل فى الأمر وكذلك مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية وفرجو أن يرفع هذا الأمر للأمم المتحدة ولجنة حقوق الانسان اذ أننا لا نستطيع الاتصال بهم .

ونسأل الله أن يشد من أزرنا •
وموعدنا الصبح أليس الصبح بقريب •
المسلمون البلغار

رابعا — من البانيا :

وننقل هنا عن اتحاد الطلبة المسلمين في شرق أوروبا :

إذا كانت هنالك معان كثيرة ومختلفة توصف بها حالة شعب من الشعوب ، لكى تترجم معانى التضحية والصبر ومعاناة الاضطهاد • وتحمل كل ذلك بنوع كبير من التحدى لكل شىء ، وان شعب ألبانيا المسلم لجدير بأن تطلق عليه تلك المعانى والصفات •

وهنا نبدأ بنظرة سريعة مختصرة لتاريخ ألبانيا القريب وذلك الى ما قبل خمسين عاما كانت ألبانيا فى حوالى العشرينات من هذا القرن تحكم بواسطة أحمد زوقو حيث كان ملكا عليها ، وكان الشعب فى ذلك الوقت يمارس طقوسه الدينية بحرية سواء المسلمين أو المسيحيين ، وفى هذا التاريخ بدأت عواصف الشر تهب من بعد حيث وقعت ألبانيا تحت الحكم الايطالى فى عهد (فكتور امناولى) وانتدب (دوتشه موسيلينى) ليحكم ألبانيا • أما الملك أحمد زوقو فقد نقل الى ايطاليا •

ثم بدأت الحرب العالمية الثانية وكانت ألبانيا مثل جارتها يوغوسلافيا ترزح تحت السيطرة الألمانية ، ولأسباب الحرب مع الألمان فقد اندمجت كل من يوغوسلافيا وألبانيا تحت قيادة واحدة برئاسة (تيتو) وكان من ضمن القادة البارزين فى حرب العصابات كل من (أنور خوجه) و (محمد شيخو) الألبانيين اللذين هما الآن يسيطران على الحكم فى ألبانيا • • استمر الاتحاد الائتلافى بين يوغوسلافيا وألبانيا من عام ١٩٤٤ الى ١٩٤٨ ، حيث ظهرت سياسة تيتو المعتدلة مع الشيوعيين والتي لم ترقى للقادة الألبانيين فانفصلوا عن يوغوسلافيا وتبنوا الحكم الشيوعى الماركسى المتطرف •

تلك نظرة سريعة ، الهدف منها الوصول الى معرفة الوسائل التى أوصلت الحكم الى ما هو عليه الآن •

ألبانيا يبلغ تعداد سكانها المليونين نسبة المسلمين ٨٠ — ٩٠٪ وباقي السكان مسيحيون ، ويتركز السكان المسلمون في وسط ألبانيا ورغم أن المسلمين نسبتهم كبيرة إلا أنهم يلاقون أشد المضايقات والاضطهاد من عنت الحكم الشيوعي الحاقق .

حيث قام الحكام الحاققون بهدم المساجد ومنع المسلمين من أداء شعائر دينهم ، كما أن مواليدهم الجدد لا يتم تسجيلهم واعطائهم الجنسية إلا بأسماء غير إسلامية وكذلك الموتى لا يتركبونهم لأهلهم ليمارسوا عليهم الشعائر الإسلامية ، من غسل وكفن وصلاة ، كذا لا يدعونهم يدفنونهم في مقابرهم الخاصة بل يجبرونهم بدفنهم في المقابر العامة مع الشيوعيين أما عند عقد الزواج فيستحيل ذكر الديانة ويتم العقد تحت اسم مواطن ألباني فقط ، وأما بالنسبة للمناهج الدراسية فهي حقلهم الخصب في زرع الالحاد في نفوس الأطفال الصغار منذ نعومة أظفارهم إلى أن يستوى عودهم وذلك بمختلف الوسائل التعليمية ، والاعلامية . . وقد حدثنا أحد أولئك الذين اشتغلوا بمهنة التدريس حيث يقول بأن الوزارة أمرت المدرسين بأن يهتموا بغرس فكرة عدم وجود الله في عقول الأطفال ، وقد حدث مرة أن سأل طالب عن الله هل هو موجود فأجاب الأستاذ نعم أن الله موجود ، وبسبب هذه الاجابة قضى الأستاذ ستة أشهر في السجن ، ثم طرد من مهنة التدريس بتهمة أنه يعلم الأطفال أشياء تضر بمستقبلهم ، ويذكر الأستاذ بأن الاجابة المتعارف عليها عن الله ورسوله ، هي أن الله والعباد بالله هو (أنور خوجه) ربهم ومالك نعمتهم ، وأن (محمد شيخو) رسوله والمتصرف بأمره .

هذا جزء بسيط ، وقطرة من بحر عميق مما يلاقيه المسلمون في ألبانيا المسلمة .

خامسا : من الصومال :

أعلن زعيم الانقلاب العسكري . . محمد زياد بري الاشتراكية العلمية (الماركسية) ثم أصدر بعض النصوص القانونية :

التي تسوى بين الرجل والمرأة في الميراث — وصرح تعليقا على ذلك لاحدى المجلات المصرية^(١) ولأن الاسلام دين ثورى . . فقد قام

(١) مجلة روز اليوسف - ٢ فبراير سنة ١٩٧٦ م .

حل بعض المشاكل حلولا فورية ثورية وكتب شيخ الجامع الأزهر يقول
انه تثبت من قتل بعض علماء الاسلام الذين كتبوا لرئيس الانقلاب
يوضحون حكم الله في الموضوع لقد قتلهم أشنع قتله لأنهم بينوا
حكم الله .

أما الذي لم يفصح عنه الامام الأكبر فهو أنهم قتلوا حرقا^(١)
ليعيد للأذهان قصة أصحاب الأخدود .

« النار ذات الوقود اذهم عليها فعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد^(٢) » .

(١) وقد أراد شيخ الأزهر أن ينشر بيانا في الصحف من تلك المناسبة . . لكنه لم يسمح
له بذلك .

(٢) البروج ٥ - ٨ .

المبحث الثالث

كيف يعملون الآن في العالم الاسلامي

وننقل هنا عن مجلة كومونيست السوفيتية الصادرة في أول يناير سنة ١٩٦٤ •

أن بين الاشتراكية العلمية والأديان السماوية صراعا مستمرا •

لقد أوصانا لينين منذ البدء بأن إعادة التنظيم الفكري للعقيدة الدينية ومفاهيمها إنما هي بمثابة (التنقيح للدين) وتحدياته للاشتراكية العلمية •

ثم تقول :

ستظل العقيدة الاشتراكية في نزاع مع العقيدة الدينية ولن يستقر التحول الاشتراكي الصحيح الا بسيادة الاشتراكية على الدين ••

ثم تقول :

واذا اقتضت مراحل التحويل الاشتراكي تعايشا مع العقيدة الدينية أو اظهار الاهتمام بها في بعض الحالات ، كما هو الحال في المناطق الاسلامية ، فإن هذا الاهتمام هو من قبيل التدبير المؤقت •

ثم تقول :

وفي بعض النظم الاشتراكية الجديدة نجد جماعات من أصحاب المسؤوليات وهم اشتراكيون فكرا واقتناعا — يمارسون الفروض الدينية ويشجعونها وهم يفعلون ذلك للسيطرة على زمام المعامل الدينية لئلا تتهددهم وترى مرحلة التحويل الاشتراكي مرحلة قاسية ، ونحسن في الاتحاد السوفيتي لجأنا الى هذا الأسلوب أيضا في مناطقنا الاسلامية •

كما يلجأ اليه أقطاب الحزب الشيوعي في ايطاليا الكاثوليكية •

وتضيف المجلة :

ففى مثل هذه المناطق الاسلامية وجدنا أن ممارسة الطليعة الاشتراكية للفروض الدينية يساعدنا كثيرا على مرحلة التحويل الاشتراكي هناك^(١) لأن العبادة العلنية فى الوسط الاسلامى تعبر عن احترام الطليعة الاشتراكية للمشاعر المحلية ، وبالتالي تقتزع هذه الطليعة من هذا الوسط الاسلامى الاحترام والطاعة للقيادة الاشتراكية .

وتضيف :

ولكن من الضرورى أن يأتى وقت تقرر فيه القيادة الاشتراكية قرارا حازما بألا مبرر بعد للهدنة مع الميراث الدينى وأصحابه والا أدت هذه المهادنة الى بعث دينى فيه خطر على التجربة الاشتراكية .

وفى النهاية :

« مكافحة الدين وروابطه لا تكون بنفس الدين ومعابده كليا من حياة الناس فلا تحطم الفأس ما فى الضمير^(٢) » .

ولكن مهمة الالحاد العلمى أن تتركز الدعوة الاشتراكية على الترويج لشعار الثورة والتركيز على خلق وعى مادى كالدعوة الى العلم فى نفوس الجماهير لينفروا من الدعوة الروحية التى هى من طبيعة الايمان وليس من الضرورى أن تهزأ من قصص الأنجيل والقرآن والكتب الدينية التقليدية وأن تقول المواعظ والصلوات بضاعة لا تصلح الا للأطفال فهذا النوع من الدعاية الاشتراكية ضد الأديان لا يفيد كثيرا ، وانما علينا أن نعيد تفسير قصص الدين وسيرة رجاله ومواعظهم وأحاديثهم وأقوالهم بقبالب اشتراكي ، فاذا قلنا أن يسوع نائر يطلب الحق للفقراء فهذا تفسير اشتراكي . .

وبمثل هذا تقول عن محمد وغيره :

(١) حرص السيد/خالد محيى الدين فى مصر على أداء مريضة الحج والامسلان من ذلك كما حرص على الاعلان أنه يؤدى الصلاة ويؤمن بالاسلام عقيدة (وطبعاً لا يؤمن بها شريعة . لأنه يؤمن بالنظام الماركسى أو كما يسميه الاشتراكية العلنية) راجع مقالا له فى جريدة الاخبار فى ١٩٧٦ وراجع مؤلف الدكتور عبد الحليم محمود ... الفصل الخامس المنهج الشيوعى . . . (٢) هذا يدل على نكائهم اخرا ومههم لطبيعة العقيدة الدينية السلبية (كالعقيدة الاسلامية) . ومراجعتهم لخطتهم السابقة .

وحسبنا ذلك بغير تعليق^(١) .

وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وعن كتاب صدر في موسكو سنة ١٩٦٧ وأعيد طبعه عام ١٩٧٤ م .

عن معهد الاتحاد العلمى بأكاديمية العلوم الاجتماعية التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى^(٢) . يشير الى بعض وسائل نشر الاتحاد ومحاربة الدين .

نقتطف منها جزءا .. لنرى أى حرب توجه ضد الدين رغم الدعاية الكاذبة بتعايش الشيوعية مع الدين ..

ولنرى أن وسائل الاتحاد .. هى وسائل التبشير القديمة .. تعيد نفسها مرة أخرى وان حاولت أن تتجنب أخطاء التبشير واقتربت من وسائل التغيير الاجتماعى يقول كتاب نشر الاتحاد الصادر في روسيا ..

والآن من ذا الذى يعتبر أهلا للقيام بنشر الاتحاد بين معتقى الاسلام ؟ ذلكم سؤال هام وخطير .. اذا كان الداعية الملحد الذى سيحاول المسلم لا تربطه بالاسلام أى رابطة مشتركة من الناحية القومية ففى امكان المؤمن أن يفترض أنه انما ينقد الاسلام خاصة ولا يتعرض لدينه هو بشئ لذلك كان من السهل على الداعية الذى ينتمى والمؤمن الى قومية واحدة أن يجرى معه حوارا ، وخاصة اذا بدأ الحوار بينهما باللغة القومية المشتركة ، وان كان هذا لا يعنى ان علاقة المسلم بمن ينتمى الى قومية أخرى قائمة بالضرورة على عدم الثقة ..

وأيا كانت قومية الداعية فلا بد له من معرفة جيدة بالدين والعادات والتقاليد التى يتمسك بها المؤمن ، فخلال العمل بين المسلمين تعد مراعاة السن والجنس عند المؤمنين على جانب كبير من الأهمية ، ومن ثم كان

(١) في كتاب نحن والشيوعية في الونة الحاضرة — الدكتور سمعدون حجاوى دار الطليعة للطباعة والنشر — ملحق من موقف الحزب الشيوعى العراقى — كيمونج — من قضية فلسطين ص ٥٨ .

(٢) تام بالترجمة من الروسية الدكتور سعد مصلوح مدرس علم اللغة الروسية بجامعة القاهرة ونشرت بمجلة الدموه السمووية في عددها الصادر في ١٢ ربيع الثانى ١٣٩٦ ١٢ ابريل — ٧٦م بعض اجزاء اقتطفنا منها الجزء المشار اليه .

الحديث الى كبار السن أيسر بالنسبة لداعية متقدم في السن ، والغالبية العظمى من المسلمات يرفضن الحوار مع الأجنبي أما مع المرأة التي تقوم بالدعاية فانهن أفضل سلوكا الى حد كبير .

أضف الى ذلك أن نموذج المرأة النشيطة يؤثر تأثيرا قويا على كثير من النساء فالمؤمنات يتجهن الى محاكاة الصديقة الأكثر ثقافة أو ذات الشخصية الأكثر استقلالاً .

ويعين الداعية الى الالحاد في عمله الرأي العام الالحادي الذي هو مدعو لأن يقوم بتشكيله . ومن المعروف على سبيل المثال ان كبار السن يكتسبون نفوذاً غير عادى بين المسلمين . وهذه الخاصية يستغلها كذلك الداعية حين يلجأ الى مساعدة الشيوخ المتقدمين في السن والذين يكونون موضع الاجلال في المنطقة اذ يصغى الناس في العادة الى كلماتهم باهتمام خاص وباستعداد لتنفيذ أى رجاء يصدر منهم . وتمارس لجان الكبار التي تؤسس في مناطق السكنى والمؤسسات تأثيرا قوميا في تكوين رأى عام الحادى . ففي كولخوز « مير » في منطقة اشخاباد (عشق آباد) امتنع والد طالبة بالصف العاشر اسمها جولينا عطاييف عن ارسالها الى المدرسة وحاول ارغامها على الزواج وتكلم أعضاء لجنة الكبار عن الكولخوز مع والدى الفتاة أكثر من مرة وتوصلوا الى اعادة الطالبة الى المدرسة . وفي كولخوز « كيناس » يقوم أعضاء لجنة الكبار بعمل كبير اذ يزورون بانتظام البيوت التي يقيم فيها المؤمنون ، وقد توصل هؤلاء الأعضاء الذين اضطلعوا بمسؤولية دفن الموتى الى أن جعلوا تأثير الشيوخ الرسميين وغير الرسميين يتضاءل في هذه العملية الى حد كبير وفي نشر الالحاد بين المسلمين في دار الالحاد العلمى بموسكو يعمل الشيوخيون المتقدمون في السن مثل م. ش. شاجى أحمدوف وس. خ. اسماعيلوف وج. م. اختيافوف ، وكثير غيرهم ، وهم يزورون مساكن المؤمنين ويحادثونهم ويسدون اليهم النصيحة .

ويساعد الدعاة مساعدة كبيرة في صراعهم ضد التأثير الدينى ، ارتداد انسان ذى شهرة في قضايا الدين يصلح مثالا بالنسبة لبعض المؤمنين . وقد حقق المحدث قادربرزنيشوف من كولخوز كيسيلى بولدوزاخ جمهورية تركمانيا نجاحا كبيرا في نشاطه الالحادى عندما دعا جماعة من أكثر المؤمنين تعصبا ثم ارتدوا عن الدين ليخطبوا أمام غيرهم من المؤمنين

وصار الذين ارتدوا عن الاسلام في هذا الكولوخوزعونا للداعية يمارسون نشر الالحاد بين أفراد المؤمنين •

ويكتسب العاملون في ميدان الطب نفوذا كبيرا بين المسلمين وفي نقط العلاج الطبي يستقبل الأطباء مرضاهم للعلاج الصحي والاجتماعي ، وهكذا يقدم الأطباء المساعدة الطبية ثم يدور الحديث حول موضوعات العلوم الطبيعية • وقد حققت نقط العلاج الطبي هذه فوائد جمة لقضية تربية السكان تربية الحادية في مدن أوزبكستان وقراها • ولذا ، فان الطبيب ومساعدته من أجود المرشحين لممارسة الالحاد بين أفراد المسلمين ••

ويختص المعلمون في المدارس بدور كبير في الدعاية الى الالحاد فالبداية الاولى للتعرف الى الطفل تجعل في امكان المعلم تحديد التأثير الديني للعائلة • ومهمته الاولى حينئذ هي اقناع الاباء بالامتناع عن تربية الاولاد تربية دينية ويمكنه في الوقت نفسه أن — يؤثر تأثيرا الحاديا كبيرا على الاباء انفسهم باقامة اتصال مباشر بينه وبين أسرة التلميذ ••

كثير من المعلمين لا يقصرون دورهم على تنشئة تلاميذهم بحيث يشبون غير متدينين بل انهم يربون فيهم رسوخ العقيدة في الالحاد والقدرة على مساعدة المؤمنين على التحرر من اغلال الدين • وقد نشرت صحيفة الكوسمولى الاوزبكستاني واقعة طريفة عن رجل عميق الايمان اسمه غلام آكا أحضر الى طشقند ماء مقدسا من بخارى وكم حاول اقاربه أن يقنعوه بان هذا الماء لا يحوى أى شئ مقدس فلم يقتنع العجوز • غير أن ابنته كانت تلميذة في الصف العاشر وضعت نقطة من الماء المقدس تحت الميكروسكوب ودعت أباهما أن •• يحدد النظر ، فقال الرجل في دهشة ما هذه الديدان ان نقطة الماء اكبر بمئات المرات ، يا الهى لم اكن اتصور على الاطلاق أن في الماء المقدس يمكن أن يوجد مثل هذا العدد من الميكروبات انها معدية •• ميكروبات •• ألقى هذا الماء يا أبنتى على الأرض في الحال •• هذه تجربة بسيطة قامت بها تلميذة أدت النتيجة المرجوة ولم تفلح في تحقيقها محاولات الاقناع والشروح المسهبة •

وتؤدى اللجان النسائية دورا كبيرا في ممارسة نشر الالحاد بين الافراد من النساء المؤمنات وقد أثرت تأثيرا طيبا في كثير من مناطق سمرقند حين نظمت اللجان النسائية في فهار رمضان حفلات الشاي

للنساء الصائمات في الشقق والنوادي ، ولم يكن المؤمنات يرفضن الافطار في مثل هذه الاحوال وبذلك كن يخطون الخطوة الاولى في سبيل الانعتاق من الدين .

ومن الأمور التي لها أهمية في نشر الالحاد بين النساء تكوين رأي عام ضد الحجاب وضد تزويج صغار السن من البنات ، وضد المعاملة المهينة للمرأة ، ففي كولخوز الاتو في جمهورية كيرغيزيا يتحدث الملاحدون الى الرجال امام الزوار الاخرين قبل بداية أى اجتماع أو عرض سينمائي يقولون لهم على سبيل المثال يا حسن قل للناس لماذا آتيت الى الحفل بدون زوجتك وانت ياموزا أيضا بين للناس لم فعلت ذلك ؟؟ وهنا كان بعض الرجال يصمتون ولكن كثيرا منهم كانوا يخرجون ثم يعودون ومعهم زوجاتهم . . وهكذا استطاع الملاحدون ان يجعلوا كل الرجال يحضرون الى اماكن الاجتماعات العامة ومعهم زوجاتهم . .

وربما كان عميق الايمان من المسلمين أكثر عزوفا عن حضور الامسيات والمحاضرات والمحادثات الالحادية من اتباع أى نظام ديني آخر ذلك ان القرآن يستنكر تناول الدين بالنقد . . لذلك كانت المناقشات المضادة للدين والكلمات العامة عنه لا تجدى نفعا ، ذلك أن أى طعن على الاسلام يعتبر اهانة صارخة لانسان رضع من لبن امه التصورات الدينية التي يشاركه اياها اجداده واجداد اجداده . . وفي مثل هذه الاحوال نجد مثل هذا الانسان اما أن ينغلق على نفسه وأما أن يعبىء كل ارادته وعقله من اجل المقاومة ولكنه لن يميل الى قبول حديث عن الالحاد فليس سهلا على الانسان أن يتخلى عن العقيدة التي نشأ عليها . . .

لهذا كله لا يمس الدعاة المجربون الدين مسا مباشرا في محادثاتهم أثناء ممارستهم نشر الالحاد بين افراد المؤمنين ولكنهم بعد أن يمهّدوا باثارة فضول المؤمن يتحولون الى نقد الدين . . وها هوذا مثال نسوقه للمعلمة ب. . وليفا من كولخوز « أكتوبر » في ضواحي سمرقند . . ففي المنزل عندما تجرى هذه المعلمة محادثات مع المتدينات حين يفدن عليها كل مساء لشرب الشاي والاسترواح وذلك دون أن تشعر أيا من المشتركات في الحديث انها دعوة لكى تنبذ دينها . . ويدور الحوار في يسر وبلا تكلف عن أحداث العالم وأنباء الكولوخوز لكن ربة المنزل هي التي تحدد لون الحديث ثم توجه الكلام تدريجيا ودون أن تلاحظ الاخريات الى الموضوع

المقصود فتطرح الأسئلة ثم تولى هي بنفسها الاجابة وحينما يستولى موضوع الحديث على الباب المؤمنات حينئذ فقط تبدأ في الكلام بحرارة واقناع عن ضرر الرواسب الدينية ..

وهذه قصة يرويها ملحد من موسكو يسمى ل.ح. جومиров ، تمكن من اخراج العاملة رحيمة بارانجلوفا من دينها ، يقول الملحد « أخذت بصفتي ملحدا أزور شقة العاملة المتدينة رحيمة .. وكنت أحادثها طويلا وأقرأ الكتب جهرا .. وكانت رحيمة تصمت في أكثر الحالات ولكنها كانت تصغى الى باهتمام .. وكان واضحا أن هذه القصص تجذب اهتمامها .. من العسير أن تتصور الأمر .. لقد سمعت عنى لأول مرة عن الإبطال من الفناء السوفيت وعرفت لأول مرة أسماء المشتغلات بالعلم من السوفيت .. وتكلمنا معها عن غزو السوفيت للفضاء ..

وقد أزعجها كثيرا هذا الموضوع .. وأذهلها على وجه الخصوص أن رجال الفضاء لم يخافوا الله بل ربما خافهم الله ما دام لم يحل بينهم وبين أن يصعدوا الى مثل هذا الارتفاع .. وكان على ل. ح جومиров أن يحادثها طويلا الى أن خلعت رحيمة ربقة الدين من عنقها نهائيا ..

ومن الأيسر على الداعية الى الالحاد أن يحقق النجاح عندما يكون الرأي العام بين المجموع مكيفا على نحو لا يفخر فيه الناس بتعليق آيات القرآن في منازلهم بل يكون مدعاة للخجل أن يعلقوا الايات أو أن يقسموا المنزل نصفين .. نصف للرجال ونصف للنساء أو أن يرفضوا الغذاء في نهار رمضان ، أو أن يقوموا بختان أولادهم ... الخ ..

والملاحظ نفسه يشكل الرأي العام الى حد كبير .. يقص علينا أ.ب. افكسينتوف وهو أحد الملحد في شمال القوقاز أن عليه جاجير زونفا شيبزوخوفا وهي من المشاركات في النشاط الاجتماعي كانت أول من امتنع عن اقامة المراسم الدينية في زواج ابنتها وقد وجدت لها في الحال أتباعا .. ويدلنا هذا على أن تلك المراسم قد فات أوانها منذ زمن بعيد .. وما أسرع ما انتشرت الأنباء في المنطقة عن زيجات جديدة تتم بمشاركة الأوساط الاجتماعية وبدون مراسم دينية ، وهكذا انتهت مثل هذه الزيجات الدينية في اركينخالكي وغيرها من المناطق ..

ولا بد في العمل على نشر الالحاد بين المؤمنين المسلمين من أن تستغل في براعة اللهفة الى المعرفة ، ذلك أن الاسلام اذ يقوم على أساس

القرآن انما يضيق اهتمامات معتنقيه ويحددها لكى يثبت الجهل .. ولا بد أن نضع الاسلام من ناحية والعلم والحضارة من ناحية أخرى كطرفي نقبض .. اذ أن العلم والحضارة وحدهما هما الكفيلان بحق بتلبية رغبات السوفيت في المعرفة ..

وليس من قبيل المصادفة تلك النتائج الايجابية التي حققتها أحاديث الملحد قادر بيرنييسوف وهو من كولخوز كيزيل يولدوز في جمهورية تركمانيا مع المتدينين .. لقد استطاع أن يستخدم انجازات العلم في تفنيد التصورات الدينية .. أما الملحد رحمن خوجا ميردييف — وهو مدير مدرسة كيرفا في جمهورية أوزبكستان فقد سمع مرة أحد عمال الكولخوز واسمه رسول جمعايف — يقول في حوار معه « لا قدر الله علينا بنزول البرد .. وهكذا تبين مدير المدرسة أن المتحدث اليه رجل مؤمن .. أدرك هذا ولكنه لم يعر الأمر اهتماما وأجرى الحديث معه لا عن الله بل عن ظواهر الطبيعة وعن ماهية المطر والبرد .. وكان يتكلم بطريقة مشوقة جذبت انتباه عامل المزرعة فأخذ هذا يرجو أن يزوره ضيفا .. وشرع الملحد يزور عائلة جمعايف ، وكان بيرهن للعائلة باستعمال أمثلة من الحياة بسيطة سهلة الفهم على عدم وجود قوة ما فوق الطبيعة تمنح الانسان خيرات الحياة وأن الانسان نفسه هو خالق سعادته وهكذا قطع «رسول» علائقه بالدين وقد أجرى ب . خوجا ميردييف أحاديث مع أحد المشايخ واسمه «تور» كانا يتقابلان عشرات المرات وفي هذه اللقاءات كان يحدثه عن سفن الفضاء كما كان يحدثه عن المجتمع الشيوعي ثم ان الملحد أطلعه على الجوهر الطبقي للاسلام وفي مصلحة من كانت عقيدة القضاء والقدر .. وهنا أعلن الشيخ «تور» في اجتماع عام لعمال الكولخوز أنه لا يريد بعد الآن أن يعيش هذه الحياة الطفيلية وأنه بالرغم من كبر سنه يود أن يعمل في الكولخوز .

وهكذا تعمل الماركسية ضد الدين .. في روسيا وفي خارج روسيا وان زعمت غير ذلك ...

الباب الثالث

الصهيونية « اليهودية العالمية »

الفصل الأول :
التعريف بالصهيونية ومنشؤها

الفصل الثاني :
مقومات الصهيونية

الفصل الثالث :
مناهج الصهيونية ووسائل تنفيذها

الفصل الرابع :
المنظمات الصهيونية

الفصل الأول :

التعريف بالصهيونية ومنشؤها

المبحث الأول

التعريف بالصهيونية

لا جرم أن الصهيونية أخطر المذاهب الدينية والسياسية التي منيت بها البشرية ، بما تفرض من قهر سياسى ، وقسر فكرى ، وتمايز عنصري ، واحتكار للقوى المادية والفكرية على مستوى البسيطة ، وبما تنزع بين البشر أبدا بالشحناء والبغضاء ، تنزع بهم كل منزع فى الاحن والكيد والملاحاة ، وترين على الكون غاشيات مدلهمة تنبهم فى قناتهما معالم الانسانية ، وتستغشى القيم الأخلاقية التي تواضعت عليها الديانات السماوية ، والمذاهب الفكرية ، والفطرة البشرية على السواء . فهي ليست قاصرة على افتعال دولة يهودية فى فلسطين ، وانما هى تستهدف سيادة الدنيا بأقطارها قاطبة ، واسترقاق شعوبها كافة ، واخضاعها لنير اليهود والشرائع اليهودية .

فالصهيونية فى جوهرها ومناطها : عقيدة دينية متطرفة ، يدعن لها أشتياعها ، يسوقهم التعصب والغرور العنصرى قسرا ، بلا وعى ولا ارادة ، وأساسها فى زعمهم تعاليم التوراة التي تنص على أن الله سبحانه وتعالى قد وعد اليهود بملك عالمى أبدي واستخلفهم فى الأرض خالصة لهم من دون الناس .

وطريقهم الى تحقيق السيطرة على العالم مخوفة مفكرة ، كما رسمتها مناهجهم العملية فى بروتوكولات صهيون ، فهي تعتمد أساسا على تقويض أركان المجتمع العالمى ، وبث عناصر الانحلال تعبت فى خلاله وتستشرى فى أوصاله ، وإشاعة الفوضى الاجتماعية والفكرية الغامرة ، حتى اذا تداعت قيمه ، وفقد مقوماته ، فتهاوى خائرا مستسلما فى خواء فكرى وفراغ سياسى .

انبعث اليهود من غمار الفوضى التي يتردى فيها العالم ليمسكوا

بزمَام حكمه ، ويقيموا دولة عالمية تضم أطراف الدنيا يكون قوامها من طبقتين :

اليهود الشعب المختار يتربعون على عرش السيادة وفي يدهم صولجان الحكم ، ومن دونهم من الناس قاطبة عبيد لليهود يخضعون لحكمهم ..

تلك هي الصهيونية الداء الوبيل الذي يهدد العالم ويقض مضاجعه ، وليست الصهيونية فكرة حديثة — وان لم تتكشف سماتها وتتضح للعالم الا في القرن الماضي تحت اسم : اليهودية العالمية ، بل هي عقيدة قديمة ما برحت تجول في أفكار اليهود منذ العصور اليهودية الباكورة ، ويتناقلونها جيلا بعد جيل في كتمان شديد ، خورا وقصورا وتحينا للفرص ، ويعملون لها مصابرين مستوفزين ، لا يفتأ أحبارهم وكهنتهم يذكرون جذوتها أنا فأنا ، فلا تخبو بين جوانحهم ولا تفترو ..

وفي مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجري (أواخر القرن التاسع عشر الميلادي) وانتهم الفرصة ، فدعا (هرتزل) لعقد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ (١٣١٥ هـ) بمدينة بال بسويسرا وكانت مقرراته هي الدستور العملي لهذه المرحلة من الآمال الصهيونية ، ثم حدد هرتزل في كتابه (الدولة اليهودية) فلسطين باعتبارها أرض الميعاد ، وقد عمل الصهيوونيون على تحقيق حلمهم في خطوات ومراحل زمنية يتم من خلالها استيعاب أطراف أرض الميعاد التي تشمل المناطق الممتدة من النيل الى الفرات ، وتضم أقليم الوجه البحري من مصر وسيناء وفلسطين وشرق العراق الغربي وسوريا ولبنان وبادية الشام والأردن وشمال الحجاز حتى المدينة المنورة ..

وفي عام ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) أعلن اليهود — بالتواطؤ مع الدول الكبرى — قيام دولة اسرائيل ، وقال بن غوريون حين ذاك : « ان الصهيونية قد حققت هدفها في ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقا عليه وبفضل قوات (الهاجاناه) * وليست هذه نهاية كفاحنا ، بل اننا اليوم قد بدأنا ، وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل الى الفرات » ويعنى بن غوريون أن الدولة اسرائيل قامت على مساحة أكبر مما منحها مشروعات التقسيم لفلسطين بين العرب واليهود *

وقد استمرت اسرائيل في الاعداد لتحقيق توسعها واستغلت
انشغال الدول العربية عنها حتى تمكنت من احتلال سيناء والجولان
وجميع اراضي فلسطين .

البحث الثانى منشأ الصهيونية

تنسب الصهيونية Zionism الى جبل صهيون بفلسطين ، وهو
أحد جبال أربعة أقيمت عليها مدينة اورشليم (أى مدينة السلام) وهو
الاسم القديم لبית المقدس . ويعتقد اليهود أن الهيم (يهوه) يقيم
في جبل صهيون ، وفي رحابه يظهر (المسيح المخلص) الذى ينتظره
اليهود ، بشيرا بغفران الله وتوبته عليهم ، وخلصهم مما يقاسون
من بأس واعنات ، بعد تطهرهم من أدران الموبقات والمعاصى التى ظلوا
عليها عاكفين أمدا طويلا .

والصهيونية مذهب دينى استعمارى متطرف جدا يتمذهب به غلاة
اليهود ، تهدف الى السيطرة السياسية على العالم بتقويض النظم
السياسية للمجتمع الدولى بأسره ، واخضاعه لنير اليهود وحكمهم ،
ويزعم اليهود أن الله استخلفهم فى الأرض وأورثهم أقطارها وشعوبها
حقا مقدسا مقضيا ، وأن الدول القائمة كافة دعية معتسبة وأن على
اليهود المجاهدة لاسترداد حقهم فى فلسطين أرض الميعاد ، تحت امرة
ملك من نسل داود ، فاذا استتب لهم الأمر فيها عملوا على تنفيذ
الشق الثانى من الوعود الالهية ، واتخاذ ملكهم فى فلسطين قاعدة للحكم
العالمى السرمدى ، وقسر الحكومات والدول على التسليم لهم ،
والاستسلام لمشيئتهم المستمدة من مشيئة الله . وينتهى الأمر بظهور
المسيح المنتظر الذى أفاضت التوراة فى ذكره .

ويستند اليهود فى دعواهم العودة الى أرض الميعاد فلسطين بأن
ذلك ثابت من أحداث التاريخ فى :

محاولة موسى — عليه السلام دخول فلسطين مع الأسباط
الهاربين من مصر .

ثم غزوة يوشع لتخوم فلسطين . ثم تأسيس مملكة اليهود الأولى
فى عهد شاول .

ثم عودة اليهود من بابل بعد السبى بزعامة زرو بابل .

- ثم ثورات اليهود في فلسطين ضد حكم البطالسة والرومان .
- ثم محاولات اليهود في العصور الحديثة شراء أراض في فلسطين .
- يمارسون فيها حياة الاستقرار .
- وأخيرا انشاء دولة اسرائيل الحالية .
- ويزعمون أن هذه كلها حركات صهيونية خالصة ..

وبالنسبة للشق الثاني من الوعود الالهية — على زعم اليهود — فان من الحركات الصهيونية البهتة حركة سبتاي زيفي الذي قام في سالونيك عام ١٦٦٦ م مدعيا أنه المسيح المنتظر ، ابتغاء تجميع اليهود تحت زعامته لتحقيق نبوءات التوراة .

وعلى هذا فان جذور الصهيونية تمتد الى أعماق التاريخ اليهودي ، والطابع الديني هو السمة الأصلية لنظرية الصهيونية ، ويعترف الدكتور سلومون شختر^(١) بهذه الحقيقة حيث يقول : « حيثما يكون الصهيونيون عاملين نشيطين تكون اليهودية حية عاملة » .

وعلى أثر الثورة الاسلامية العربية في فلسطين عام ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) ضد المؤامرات الاستعمارية والصهيونية فيها ، شكلت حكومة الانتداب البريطاني اللجنة الملكية البريطانية لعلاج مشكلة فلسطين .. وكان هدفها تقسيم البلاد بين العرب واليهود ، وقد صرح زعيم الصهيونيين (وايزمن) أمام هذه اللجنة أن مبنى حق اليهود في فلسطين انما هو وعد الله بأرض اسرائيل ، وهذا هو سند اليهود الوحيد الذي لا سند سواه لجأ اليه وايزمن بعد أن خذلته سائر المزايم والاسانيد النطقية والقانونية . وتأبيداً لذلك يقول : (داغيد بن غوريون) مؤسس دولة اسرائيل : ان الصهيونية الحقيقية لم تبدأ بهرتزل ومؤتمر بال ، ولا بوعد بلفور ، ولا بقرارات الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ م ، لكنها بدأت يوم وعد الله أبانا ابراهيم وعده ..

وقد ظلت دعوة اليهود لاهياء آمالهم في العودة الى أرض الميعاد مستخفية طوال ثمانية عشر قرناً ، الا ما كان من بعض حاخاماتهم مثل (سبتاي زيفي) الذي سبقته الإشارة الى حركته في ظلال ما أتاحه الحكم الاسلامي المتسامح لليهود في سالونيك التي كانت مدينة تابعة لدولة الخلافة العثمانية .

وفيما يلي وثيقة نشرتها مجلة (فرنسا القديمة) ، تكشف عن طرف من نشاط اليهود وتديرهم الخفى^(١) :

« في عام ١٨٨٠ نشرت مجلة الدروس اليهودية التي تتقاضى نفقاتها من جيمس روتشيلد استنادين يوضحان أن حكماء صهيون يعملون منذ القرن الخامس عشر [التاسع الهجرى] في سبيل الفتح اليهودى .

ففى ١٣ كانون الثانى سنة ١٤٨٩ م كتب شامور ربانى مدينة ارل (من أعمال مقاطعة البروفنس الفرنسية) الى المجمع اليهودى العالمى القائم فى الآستانة [وهى اسلامبول عاصمة العثمانيين] يستشيريه فى بعض حالات حرجة ، قال : ان فرنساوىي اكس و آرل ومارسيليا ، يتهددون معابدنا فماذا نعمل ؟ فورده الجواب الآتى :

أيها الاخوة الأعزاء بهوسى ، تلقينا كتابكم ، وفيه تطلعوننا على ما تقاسونه من الهموم والبلايا ، فكان وقع هذا الخبر شديد الوطأة علينا ، واليكم رأى المرازبة [الحكام] والربانيين :

● بمقتضى قولكم ان ملك فرنسا يجبركم أن تعتنقوا الدين المسيحى فاعتنقوه ، فانه لا يسعكم أن تقاوموا ، غير أنه يجب عليكم أن تببقوا شريعة موسى راسخة فى قلوبكم .

● بمقتضى قولكم انهم يأمرؤنكم بالتجرد من أملاككم ، فاجعلوا أولادكم تجارا ليتمكنوا رويدا رويدا من تجريد المسيحيين من أملاكهم .

● بمقتضى قولكم انهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم أطباء وصيادلة ليعدموا المسيحيين حياتهم .

● بمقتضى قولكم انهم يعتدون على حياتكم فاجعلوا أولادكم وكلاء دعاوى ، وكتبة عدل ، وليتدخلوا دوما فى مسائل الحكومة ليخضعوا المسيحيين لغيركم فتستولون على زمام السلطة العالمية ، وبذلك يتسنى لكم الانتقام .

سيروا بموجب أمرنا هذا فتتعلمون بالاختبار أنكم من ذلكم وضعفكم تتوصلون الى ذروة القوة والعظمة .

فى ٢١ كاسلو (تشرين ثانى) ١٤٨٩

التوقيع : امير اليهود

V.S.S.V.F.F.

(١) من كتاب مؤامرة اليهود على المسيحية تأليف اميل الفورى ص ٤٠ - ٤٢

الفصل الثاني

مقومات الصهيونية

المبحث الأول

المقومات الدينية

أولا — امتلاك فلسطين والأقطار المجاورة لها :

يعتقد اليهود أن ملك فلسطين حق مشروع لهم ، حيث وعد الله به ذرية ابراهيم عليه السلام في التوراة : « واجتاز ابرام في الأرض الى مكان شكيم الى بلوطة هورة ، وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض ، وظهر الرب لابرام ، وقال : لنسلك أعطى هذه الأرض ، فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له ^(١) » •

ثم وجه هذا الوعد ، ولما يتحقق بعد ، الى اسحق بن ابراهيم ، عليهما السلام : « وكان في الأرض جوع غير الجوع الأول الذي كان في أيام ابراهيم ، فذهب اسحق الى أبيمالك ملك الفلسطينيين الى جرار ، وظهر له الرب وقال : لا تنزل الى أرض مصر ، اسكن في الأرض التي أقول لك ، تغرب في هذه الأرض ، فأكون معك ، وأباركك ، لأنني لك ولنسلك أعطى جميع هذه البلاد ، وأنى بالقسم الذي أقسمت لابراهيم أبيك ^(٢) » •

ومفهوم هذا النص أن الله قد اختص اسحق عليه السلام ونسله بجماع ما وعد به أباه ابراهيم ونسله ، فيما عدا مصر التي أمره بعدم النزول فيها ، والتي ينبغي أن تؤول بناء على هذا الى اسماعيل عليه السلام ، لولا أن الله قد استثناه من ذرية ابراهيم عليه السلام فيما وعدها به — كما يزعم محرفو التوراة •• : « وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك ، فقال الله : بل امرأتك تلد لك ابنا وتدعو

(١) الاصحاح الثاني عشر من سفر التكوين ٦ ، ٧
(٢) الاصحاح السادس والعشرين من سفر التكوين ١ — ٣

اسمه اسحق ، وأقيم عهدي معه عهدا أبديا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثميره وأكثره كثيرا جدا .
أثنى عشر رئيسا بلد ، واجعله أمة كبيرة ، ولكن عهدي أقيمه مع اسحق
الذى تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية^(١) » .

ثم وجه هذا الوعد مرة أخرى الى يعقوب ثم اسحق عليهما السلام
في صورة حلم تراءى ليعقوب وهو نائم في أرض حاران ، وورد ذكر
تمليك أرض كنعان لموسى وهرون عليهما السلام^(٢) . وبعد وفاة موسى
وجه الله وعده الى خليفته يوشع بن نون في صورة أكثر تفصيلا :
« موسى عبدي قدمات ، فالآن قم اعبر هذا الأردن ، أنت وكل هذا
الشعب الى الأرض التى انا معطيها لهم [أى لبني اسرائيل] . كل
موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته ، كما كلمت موسى ، من البرية
ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات ، جميع أرض الحثيين والى
البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخومكم^(٣) » .

وجاء الوعد الالهى أخيرا الى داود عليه السلام ونسله على لسان
نathan النبي^(٤) ، وتكرر ذكر الوعد الالهى في أسفار شتى ، كما رددته
المزامير في أكثر من موضع ، ومن ذلك : « لأن الله يخلص صهيون ،
ويبنى مدن يهوذا ، فيسكنون هناك ويرثونها ، ونسل عبيده يملكونها ،
ومحبو اسمه يسكنون فيها^(٥) » .

هكذا تكررت الوعود الالهية بملك اليهود لفلسطين ، وكأنما وجهت
متتالية لمجرد التشويق والاثارة لا للتنفيذ ، فهي توجه لهذا تارة ولآخر
تارة أخرى من غير أن تتحقق لا لهذا ولا لذاك .

ثانيا - فكرة المسيح المنتظر :

يعتقد اليهود أن عودتهم الى أرض الميعاد سوف تتم على يدي
المسيح المنتظر ، Paraclet ويقصد به المنقذ أو المخلص ، إذ سوف
يبعثه الله من صهيون من نسل داود ، لينقذهم من المحن والشدائد

(١) الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين ١٨ - ٢٢

(٢) في الأصحاح الرابع عشر من سفر اللاويين ٣٣ - ٣٤

(٣) الأصحاح الأول من سفر يشوع ٢ - ٢

(٤) الأصحاح السابع سفر صموئيل الثاني ٤ - ٦ و ١٢ - ١٦

(٥) المزمور التاسع والستين .

والهوان ، جزاء عصيانهم أوامر الله ، ومروقتهم عن طاعة انبيائه ، وامعانهم في الآثام والموبقات ، وينتقم لهم من جميع الشعوب ، ويفرض عليها سلطان اليهود .

وجاء في التوراة^(١) : أنه ظهر في مملكة اسرائيل في عهد الملك اخاب ابن عمري النبي ايليا التشبى داعيا الى تطهير البلاد من أدران الوثنية والمفاسد الخلقية التي تردى فيها المجتمع الاسرائيلي ، الا أن دعوته صادفت ازورارا وانكارا فصعد الى السماء في غمار عاصفة عاتية ، مستقلا مركبة نارية . . تجرها خيل من نار كذلك . .

ويعيش اليهود على أمل هبوط النبي ايليا من السماء ، بشيرا بمقدم المسيح المنتظر هاديا ومخلصا . .

ثالثا — اخضاع العالم لسلطان اليهود — شعب الله المختار :

حرص اليهود على اخفاء أطماعهم الاستعمارية الخيالية ، وتكتموا الأسباب التي يعززون اليها حقهم في حكم العالم وسيادة البشر ، فلا يتناجون بها الا في خاصة مجالسهم ومجتمعاتهم ، متخافتين حتى لا يستثيروا السخط العالمي ، ويواجهوا عداوة . ولهذا يادر الصهيونيون الى انكار دستور اليهودية العالمية (بروتوكولات صهيون) ، متبرئين منها فور اماطة اللثام عنها ، وحاولوا احراق الطبقات الأولى منها قبل تداولها وذيوعها ، ولكنهم فشلوا ، اذ تكرر طبعها في أنحاء العالم بمختلف اللغات .

وقد سار الصهيونيون في تحقيق أهداف البروتوكولات الخطيرة — رغم انكارهم لها — مترسمين تعاليمها ومناهجها بدقة واصرار ودأب متصل ، وكان الزعيم الصهيوني الكبير (هرتزل) قد صرح في عدة بيانات أصدرتها اللجنة الصهيونية في عام ١٩٠١ م (١٣١٩ هـ) أن بعض الوثائق الخطيرة قد سرقت من قدس الاقداس ، وما كان ينبغي لها أن تنشر قبل الأوان ، مشيرا بذلك الى تلك البروتوكولات دون ريب ، وكان أمرها قد افترض للعالم مما أثار الرأي العام العالمي ضد اليهود .

ويستند اليهود في ادعائهم حق السيطرة على العالم الى ما جاء

(١) الاصحاح الثاني من سفر الملوك الثاني .

في التوراة من أنهم شعب الله المختار الذي فضله الله على العالمين ، واستخلفه في الأرض ، ومن ثم كان من حقه السيطرة على شعوب الأرض والقوامة على حكوماتها ، ومما جاء في التوراة : « ويوقف الأجانب ويرعون غنمكم ، ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميتكم ، أما أنتم فتدعون كهنة الرب تسمون خدام الهنا ، تأكلون ثروة الأمم ، وعلى مجدهم تتأمر^(١) » .

وفي التوراة أيضا : « اني أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لي : أنت ابني ، أنا اليوم ولدتك ، اسألني فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصي الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزف تكسرهم^(٢) » .

وقد كان الكاهن (عزرا) يعتقد أن العالم قد خلق من أجل بنى اسرائيل شعب الله المختار ، وأن ماله الى الخضوع لحكمهم ، وأن بنى اسرائيل يمرون في ذلك الوقت من عصر عزرا بمرحلة تمهيدية ضرورية للوصول بهم الى الملك العالمى الموعود .

والعجيب أن هذه المرحلة التمهيدية لم تنته بعد ، رغم مرور أكثر من أربعة وعشرين قرنا من الزمان .

ونكتفى بالرد على أوهام الصهيونية بقوله تعالى : (واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال : انى جاعلك للناس اماما ، قال : ومن ذريتى ؟ قال : لا ينال عهدى الظالمين^(٣)) .

التعاليم السرية في التلمود والكتاب :

هذا ولا تقتصر النصوص الدينية لدى الصهيونيين على أسفار التوراة فحسب ، فالصهيونية تنتمى بعقيدتها الى طائفة اليهود الربانيين الذين يؤمنون بالتلمود كتابا مقدسا ، ويعتقدون أنه منزل من عند الله على موسى عليه السلام كاللوراة سواء بسواء ، ولا يختلف عن التوراة الا في أنه أنزل على موسى مشافهة ، بينما كتبت نصوص التوراة على لوحين حجرين بيد القدرة الالهية ، وأكمل موسى عليه السلام تدوينها في كتاب .

(١) الاصحاح الحادى والستين من سفر اشعيا - ٤ - ٦

(٢) المزمور الثانى ٧ - ٦

(٣) سورة البقرة ١٢٤

ولئن نسب كثير من تعاليم التلمود الى حاخامات اليهود الربيين ، فان ذلك مما يؤكد قداستها في عرفهم ، لأن كلام الحاخامات كما يقول التلمود هو كلام الله وله عند الله المقام الأسمى ، حتى أنه سبحانه وتعالى يستشيرهم كلما أعضلته مشكلة مستعصية^(١) .

[تعالى الله عما يقولون] **

ومبنى تعاليم التلمود أن بنى اسرائيل صفوة الخلق ، اصطفاهم الله على العالمين ، واستخلفهم في الأرض يملكونها ويسودون أهلها ، حقا مقضيا لهم ** وقد بشر التلمود اليهود بملك العالم في قوله : « كل مكان تطؤه أقدامكم يكون لكم ، كل الأماكن التي تحتلونها فأنها لكم ، فأنتم سترثون الجوييم (أى الكفرة والأنجاس غير اليهود) المستكبرين في الأرض ، وبعد ذلك كل مكان بعد أرض اسرائيل التي يجب أن لا تكون نجسة تحت أقدام الجوييم ، انكم بعد أن تحتلوا أرض اسرائيل يحق لكم أن تحتلوا غيرها » .

وجاء في التلمود أيضا : « يجب على كل يهودى أن يسعى لأن تظل السلطة على الأرض لليهود دون سواهم ، وقبل أن يحكم اليهود نهائيا باقى الأمم يجب أن تقوم الحرب على قدم وساق ، ويهلك ثلثا العالم ، وسيأتى المسيح الحقيقى ويحقق النصر المرتقب ، وحينئذ تصبح الأمة اليهودية غاية في الثراء ، لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعا ، ويتحقق أمل الأمة اليهودية بمجى اسرائيل ، وتكون هي الأمة المتسلطة على باقى الأمم عند مجى المسيح » .

ويلحق بالتلمود — وهو كتاب اليهود السرى المقدس — كتاب سرى آخر يعرف بالكبالا لا يقل عنه خطورة ، بما يثير من التعصب العنصرى العنيف ، ويروج له بغلظة ووحشية .

والكبالا كتاب يتوارثه اليهود منذ القدم ، يعالج التصوف اليهودى عن طريق السحر الذى يمثل شطرا من الطقوس الدينية التي يمارسونها خفية خشية اطلاق أحد من الشعوب الأخرى عليها ، لمسا فيها من التقنن في الكيد لتلك الشعوب والتحريض على اغتيالها لاستنزاف دمائها ، واستخدامها في ممارسة هذه الطقوس ، ويحقق الكبالا لليهود الأهداف التالية :

(١) كتاب الكثر المرسود في قواعد التلمود للدكتور روهنج ترجمة الدكتور يوسف نصر الله ص ٣٢ و ٣٣

١ — الحفاظ على مبادئ اليهود العدوانية المتطرفة حيال الشعوب الأخرى ، بإيجاد المناخ النفسى الملائم لتعيش فيه هذه المبادئ ، وذلك بإشعال نار الحقد والتعصب العنصرى فى صدور اليهود بما تتضمنه من فنون الكيد والانتقام ، التى تحضهم عليها كشعائر دينية مقدسة .

٢ — اشباع ثائرة اليهود العدوانية ، وشفاء غليلهم باستنزاف دماء أعدائهم ، واستخدامها فى الطقوس السحرية الدموية .

٣ — يحس اليهود فى ممارسة تعاليم الكبالا طمأنينة وراحة نفسية عميقة ويستشعرون أنهم إنما يمارسون شعائر مقدسة تقربهم من الله وترفع عنهم ما حاق بهم من غضب الهى منذ الحقب الخالية .

وقد كانت تعاليم الكبالا نواة للنشاط السرى الهدام الذى توفر عليه اليهود دائبين متمثلا فى مختلف الجمعيات والمؤتمرات التى سعوا من خلالها الى تحقيق آمالهم وأطماعهم ، كما كان لتلك التعاليم تأثير مباشر فى صياغة أفكار اليهود الصهيونيين على الصورة الشائنة القائمة ، والأسلوب الدموى الجانح الذى يمارسه الصهيونيون الآن^(١).

(١) فى كتاب « اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية » للاستاذ ايليا أبو الروس تفصيل وقائع محددة عن ممارسة اليهود طقوسا وحشية تقوم على تقديم الضحايا البشرية بقتلهم بنفوس من التعذيب والوحشية بقصد استخدام دماهم المسفوحة فى أغراض دينية تقربا الى الله . . وقد ورد فى الكتاب المذكور كثير من الوقائع التى أوقعها اليهود فى أقطار العالم الشرقية والغربية وكشفت عنها التحقيقات الرسمية التى أجرتها الحكومات المختصة . وكذلك أورد عبد الله التل فى كتابه (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية) كثيرا من الوقائع المشابهة .

المبحث الثانى

المقومات السياسية

لم يفصح اليهود عن نواياهم الاستعمارية ، لأن مقوماتها دينية محضة ، ومبناها على نصوص التوراة وتعاليم التلمود والكبالات ، كما رأينا ، ومن تلك المصادر الدينية ، وضعت الصهيونية الحديثة قواعد دستورها المعروف بـ بروتوكولات حكماء^(١) صهيون . وقد كانت هذه التعاليم من أسباب تأليب الرأى العام الأوروبى على اليهود ، وما أصابهم من اضطهاد وتعذيب ، لما تضمنته من أطماع عدوانية وتعاليم فاسدة جانحة تثير الحقد والبغضاء وتعيث فى الأرض بالفساد والخراب .

وفى القرن الماضى استغل اليهود رواج النظريات القومية وتفجر الحركات الاستقلالية فى أوروبا ، فالتمسوا الذرائع التى توسلت بها الشعوب لتحقيق مطالبها القومية ، وقد ساعد اليهود فى الوصول الى هدفهم ما ظفروا به من حرية فى ظلال الحكومات الكبرى كبريطانيا وفرنسا ، أسوة بسائر الشعوب المهضومة الحقوق ، وبذلك تمكن اليهود من الجهر بمطالبهم ، واستدراار الشفقة والعطف عليهم بعد ما عانوه من صنوف الذل والاضطهاد .

وقد استهدف الصهيوونيون فى حركتهم العلنية مطلباً يعتبر بالنسبة لأطماعهم الأصلية متواضعاً محدوداً ، اذ اقتصر على السماح لهم بالهجرة الى فلسطين باعتبارها وطناً قومياً لهم ، يمارسون فيه حقوقهم القومية بمنجاة من ويلات الاضطهاد والتعذيب .

وقد استندوا فى تبرير هذا المطلب الى دعوى القومية اليهودية الخاصة التى يزعمون أنهم يتمتعون بها ، ويدين بها كافة اليهود فى بقاع الأرض ، وأن من حق هذه القومية اليهودية التوطن فى فلسطين بالذات ، لما لهم فيها من حقوق دينية وتاريخية رددتها كتبهم المقدسة ، ومن

(١) لفظ حكماء جمع حكم يقابل : اخنايات جمع اخنام باللغة العبرية ، وما ابعد تلك التعاليم من الحكمة .

شأن هذا الوطن القومي أن يعصمهم مما يحيق بهم من اضطهاد عنصري
لاحقهم على مدى التاريخ .

وكان موسى هيس^(١) اليهودي الألماني أول من نادى بالقومية
اليهودية ، يحاول أن يربط بها بين أشتات اليهود أينما استقروا ، وجعل
منها الدعامات السياسية للحركة الصهيونية .

والمسوغات الاجتماعية والسياسية التي استحدثها اليهود الصهيونيون
للاستيلاء على فلسطين تتلخص في ثلاثة أنواع رئيسية من الحقوق :

١ — حق القومية اليهودية في التوطن في صعيد واحد يجمع شمل
اليهود .

٢ — حق اليهود التاريخي في العودة الى فلسطين وطن أسلافهم
الذي شردوا منه .

٣ — الحق الانساني في تجنب اليهود ما يلاقون من اضطهاد
عنصري أينما استقر المقام بأوزاعهم في فجاج الأرض .

والأسباب السياسية والاجتماعية التي يدعيها اليهود الصهيونيون
لم تكن هي دعامة النظرية الصهيونية وعمادها ، وإنما هي تعلات محدثة
ومسوغات طارئة غير أصلية . ابتدعوها تكأة يعتمدون عليها في الاسفار
عن دعوتهم . وقناعا تبدى به للعيان ظاهرة الجرم مستخفية المعالم
المريبة . ثموه به أطماعها الخفية ، وقد استمدت المسوغات السياسية
والاجتماعية اعتمادا على :

١ — ما قررته الثورتان الأمريكية والفرنسية من حقوق طبيعية
للإنسان حفز اليهود على المطالبة بحقوقهم الفردية والجماعية المسلم
بها والتي تواتر اعتراف الدول بها لمواطنيها ، تلك الحقوق التي منحتم
حرية الرأي . وشجعتهم على انشاء الجمعيات الخاصة وتنظيم الحملة
الدعائية المركزة التي وطأت لهم أذهان العالم والضمير العالمي واستمالت
الرأي العام على أوسع نطاق .

(١) ١٨١٢ — ١٨٧٥ .

٢ — نشاط الحركات القومية خلال القرن التاسع عشر الميلادى (الثالث عشر الهجرى) وتقرير حق المصير للثورميات المختلفة ، مما وجدت فيه الصهيونية مسوغا لادعاء حقوق قومية لهم أسوة بالقوميات الناهضة .

٣ — قيام المذابح اليهودية فى شرق أوربا وفى روسيا القيصرية خاصة ، وانتهاز فرصة انفعال الرأى العام فى أوربا عطفًا واشفاقًا على اليهود ، مما أتاح لهم المبرر لطلب التجمع فى وطن قومى يلودون به .

ولم تكن الأهداف الاقليمية اليهودية مرتبطة بفلسطين بالذات ، فقد كان هدف اليهود المضطهدين تجميعهم فى دولة يهودية يتمتعون فيها ، ويمارسون فيها حياتهم العنصرية بمنجاة من الاضطهاد ، أيا كانت هذه الدولة ، دون التقيد باقليم معين ، غير أنهم ما أن استشعروا تعاطفا من المجتمع الدولى حتى ظهرت رغبتهم الدفينة فى امتلاك فلسطين ، وفشلت كل المشاريع والعروض فى جعل وطنهم القومى فى الأرجنتين أو كندا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو جنوب أفريقيا أو استراليا أو أوغندا ... الخ .

وكان تيودور هرتزل قد اقترح أن يجمع شتات اليهود من أرجاء العالم فى الأرجنتين أو فى فلسطين ، ولكن المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقد فى مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ م قرر تخصيص فلسطين ، وقد حاول هرتزل عام ١٩٠١ م اغراء الخليفة العثمانى السلطان عبد الحميد ببيع فلسطين لليهود ، ولكن السلطان رفض التنازل عنها بأى ثمن ، وأصدر أمرا بحظر دخول اليهود الى فلسطين ، ولما كرر الصهيوونيون المحاولة برئاسة هرتزل وبخ السلطان عبد الحميد رئيس ديوانه لسماحه بدخول هرتزل عليه ، وطرده شر طردة .

وبعد سنوات قليلة قام أعوان اليهود من ضباط حزب الاتحاد والترقى بالانقلاب على السلطان عبد الحميد كما هو معروف . . وقام الحكام الذين خلفوا عبد الحميد من الاتحاديين — ومعظمهم من أعضاء المحفل الماسونى أو من الدونمة^(١) بفتح باب الهجرة لليهود الى فلسطين وعملوا على الاسراع فى تصفية الدولة العثمانية والغاء منصب الخلافة . .

(١) هم طائفة من اليهود الذين نزلوا بدينة سلاطيك فى الدولة العثمانية وتظاهروا باعتناق الاسلام نفاقا ليتكثروا من الهمم من الداخل .

الفصل الثالث

مناهج الصهيونية ووسائلها

البحث الأول : مناهج الحركة الصهيونية

يعتمد اليهود في تنفيذ سياستهم الاستعمارية على ركائز أربعة :

١ — السيطرة الفكرية :

وسبيلها الدعاية العريضة المنظمة عن طريق أجهزة الاعلام الفعالة لتهيئة الأذهان وتطويعها لأهوائهم ، سواء كانت هذه الأجهزة منظمات يهودية مسافرة ، أم منظمات اجتماعية مموهة ، سرية كانت أم علنية ، كالجمعيات الماسونية ، وفرسان المعبد وجماعات الصليب الوردى وشهود يهوه والكبالات وغيرها من الهيئات والمنظمات والجمعيات التي بثوها في أقطار العالم مكان لهم ، يعملون فيها على وأد الشعور الدينى والوطنى لدى المنتسبين اليها من شتى الأجناس والأديان ، ومبائات لعملائهم الذين سخروهم عيونهم وأرصادهم ، ثم سائر وسائل الاعلام الصحفية والدعائية كالاذاعة والسينما ووكالات الأنباء التي أخضعوها لنفوذهم المالى ، يشنون بها على أعدائهم حربا نفسية شعواء ، توهينا لقواهم ، وتصديعا لشملهم ، واضعافا لروحهم المعنوية ، بإثارة الفتنة ، وإشاعة الفوضى الفكرية ، والبلبلة الذهنية ، وافساد العقائد ، وافقاد الثقة بالنفس ، وبالقيم الأخلاقية .

وهم يمارسون نشاطهم الاعلامى بدهاء وحذق ، فلا يكتفون باذاعة وجهات نظرهم في اطار مغر مدو ، وانما يترصدون بحرص شديد ما يذاع في الصحف ووسائل الاعلام الأخرى فيحولون بكل الطرق المشروعة وغير المشروعة — من ضغط وتشهير ورشوة واغراء — دون اذاعة ما يسيىء اليهم أو يخالف وجهة نظرهم ، أو ما يشيد منه أعداؤهم بوجه عام .

ويعتمد الصهيونيون اعتمادا كبيرا على وسائل الاعلام ، ويرون في الدعاية المصاحبة المدوية مفاعلا أبلغ تأثيرا وأقوى نفاذا ، يقول هرتزل في مذكراته « الضجة هي كل شيء ، والحق أن الضجيج يؤدي الى الأعمال الكبيرة » وذلك لأنها تستلقت الأنظار ، وتعبيء الأنصار ، وتضعف الأعداء ، وتنقل المعركة الى جو عالمي تتوفر لها فيه مزايا ماضية حاسمة .

٢ - السيطرة المالية :

ونتحقق عن طريق البنوك وبيوت المال ، التي يهيمن عليها اليهود ، ويوجهون بها النشاط الصناعي والتجاري لمصلحتهم ، ويتحكمون في الاقتصاد الفردي والاقتصاد الجماعي بما يدعم نفوذهم السياسي ، فيبتزون بها الثروات الخاصة والعامة ، ويمتصون الأموال من المجالات الحيوية ، وهي عصب الحياة في المجتمع حتى ينحطم وينهار ، وذلك عن طريق الاحتكار والمضاربات المالية والأقراض بالربا الفاحش ، وإشاعة الفقر والدمار والافلاس ، وشراء ضمائر الساسة والحكام توصلا الى ما يبتغون من مآرب وأطماع .

ووسيلتهم الى احتكار الأسواق العالمية اغراق الأسواق الجديدة بالمنتجات بسعر يقل عن سعر التكلفة ، على أن يعوضوا خسارتهم برفع الأسعار في الأسواق التي تم لهم احتكارها من قبل ، مما يعرض منافسيهم للكساد والافلاس ، حتى اذا ما خلا لهم الجو الاحتكاري في السوق الجديدة ، رفعوا الأسعار فيها الى درجة فاحشة تجزل لهم الربح أضعافا مضاعفة .

والمال اليهودي سلاح خطير ، فان سيطرتهم على مصادره وموارده مكنتهم من مخانق الاقتصاد والسياسة معا ، كوسيلة للتهديد والافلاس وانهيار الاقتصاد الخاص والعام . مما يؤثر على كيان الدولة ذاته . . وهو من ناحية أخرى سبيل للاغراء تستمال به الدول عن طريق القروض ابان الأزمات والحاجة الى تمويل المشروعات الاقتصادية والحربية ، . وأخيرا فالمال في أيدي اليهود أداة فعالة لشراء الذمم والضمائر والأصوات في المجتمعات المحلية والمحافل الدولية .

٣ - السيطرة السياسية :

وسبيلهم اليها التغلغل في الأوساط السياسية . واكتساب التأييد الدولي ، وضم كبار الساسة والمسؤولين الى صفوفهم بثنى الطرق المشروعة وغير المشروعة ، فتراهم في الدول الرأسمالية يمالئون النظام الرأسمالي ليكونوا من دعائمه وزعمائه . ثم هم في روسيا الشيوعية دعائها المتحمسون رواد الثورة البلشفية الحمراء .

ورغم حرص اليهود على اعتزال الحياة الاجتماعية والسياسية واقتنار نشاطهم على شؤون المال والاقتصاد التي توفرها عليها ، وتخصصوا فيها ، وملكوا زمامها . فانهم لا يظهرون على مسرح الحياة الدولية العامة الا في وظائف السلطان التي يتسللون اليها بدهاء خارق ، وفقا لسياسة مرسومة ، حتى تتاح لهم السيطرة على دفة الحكم فيوجهوها الوجهة التي يبتغون . والتي تحقق مآرجهم الصهيونية ، سواء بتسخير سلطات الدولة لتأمين الحياة الرخية لليهود ، وتوفير الطمأنينة لهم ، أو بافساد مجتمع الجوييم . واشاعة الانحلال في أوصاله ، تمهيدا للسيطرة اليهود وسيادتهم . فكانوا يتسللون عبر التاريخ الطويل - الى المناصب الادارية العليا . والمراكز السياسية المرموقة . سواء في الدول الاسلامية أو المسيحية . في المشرق والمغرب ، فكان منهم خواص الأطباء في بلاط الملوك والأمراء . وكان منهم المستشارون والسياسيون والخبراء الماليون . . . وقد استطاعوا عن طريق رجالهم الذين وصلوا الى المناصب الدولية الهامة أن يحصلوا من الحكومة البريطانية على وعد بلفور بقيام وطن قومي لليهود في فلسطين . وأن يهيئوا لأنفسهم في ظل احتلال بريطانيا فلسطين الدعامات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي قامت عليها دولة اسرائيل . .

واستطاعوا بعد ذلك أن يحصلوا - وعن طريق رجالهم وعملائهم أيضا - على تأييد الولايات المتحدة الأمريكية لكل مشروعاتهم وسياساتهم وأن يظفروا بأصوات الكثرة من أعضاء هيئة الأمم المتحدة . . حين طرح عليها الاعتراف بدولة اسرائيل المغتصبة .

٤ - السيطرة العسكرية :

وهي المرحلة الأخيرة في مآرج الحركة الصهيونية ، ومؤداها العمل

على اعداد جيش يهودى مزود بأحدث الأسلحة والعتاد الحربى لحماية دولتهم ، والتوسع العدوانى بالغزو المسلح .

وقد بدأت الصهيونية بالاعداد لتكوين الجيش ابان الحرب العالمية الاولى عندما شكلت فيلقا يهوديا من تسعمائة جندى انضم الى فرق النقل فى الجيش البريطانى وعرف باسم فرقة البعالة الفلسطينية ، واشتركت فى عملية غاليلوى فى تركيا . ثم سرحت سنة ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) وعلى أثرها انضم آلايان من اليهود الى فرقة حملة البنادق الملكية البريطانية ، كما انضمت فصائل من اليهود الى جيوش اللورد اللبنى التى غزت فلسطين فى نهاية الحرب العالمية الاولى .

وكانت الظروف مواتية لهم أثناء الحرب العالمية الثانية حين غزا الجيش الألمانى الشرق الأدنى بقيادة روميل ، فشكل اليهود سنة ١٣٦٠ هـ (١٩٤١ م) فرقة عسكرية من عصابة هاجاناه وأطلق على الفرقة اسم البالماخ أى الصاعقة ، لتساعد فى المقاومة خلف خطوط القتال فى حالة احتلال الألمان لفلسطين ، وينتسب الى هذه الفرقة كثير من زعماء اسرائيل مثل : موسى ديان ، واسحق رابين ، وحاييم بارليف كما ساهمت القوات اليهودية مع الجيوش الانجليزية والفرنسية الموالية للحلفاء فى غزو سورية ولبنان . . . وأنشئت فرقة يهودية أخرى ألحقت بالجيش البريطانى واشتركت فى غزو ايطاليا .

وهكذا أتيح لليهود المبرر الرسمى لتكوين كتائب عسكرية مدربة تدريباً حديثاً ، ومزودة بالسلاح والعتاد ، وتمكنوا فى ظلال الاحتلال الانجليزى لفلسطين من تحويل مستعمراتهم فيها الى ثكنات عسكرية يحميها حرس يهودى ، وسمح الانجليز لليهود بتشكيل منظمات عسكرية تحمل طابعا اجتماعيا أو رياضيا أو كشافيا ، مثل : المكابى ، والترميلد ، وشباب اسرائيل ، والطلائع ، وأبناء صهيون بالاضافة الى المنظمات العسكرية : هاجاناه ، وأرجون زفاى ليومى^(١) وثترن^(٢) .

وحين انسحبت بريطانيا من فلسطين سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) وأعلن اليهود قيام دولة اسرائيل ، كان لديهم جيش مدرب ، ومستعمرات محصنة ، وعصابة من الدول الاستعمارية تؤيدهم وتعترف بهم ، ومازال

(١) أى التنظيم القومى الحربى ، وهى مشكلة من اليهود الاوربيين .
(٢) وهى مشكلة من اليهود الشرقيين .

الجيش الاسرائيلي موضع الحذب والرعاية من دول الغرب — وخاصة أمريكا — تمده بأحدث الأسلحة وبكميات ضخمة جدا ، بحيث يتفوق بمعداته على الدول العربية المحيطة بإسرائيل مجتمعة * . كما تمده روسيا الشيوعية بالطاقة البشرية من المحاربين والخبراء ممن يرغب في الهجرة من اليهود المقيمين في روسيا * .

المبحث الثانى

وسائل تنفيذ المناهج الصهيونية

من أبرز خصائص الصهيونية الالتزام بوصايا التوراة التزاما حرفيا ، والايمان المطلق بتعاليم التلمود ، ولهذا فهي تمعن في الشر ، وتغرق في العنف والتتكيل والولوغ في الدماء بضراوة ووحشية ، تبتغى من ذلك أولا القضاء على كل مقاومة ، وابداء أعدائها ، ثم اشاعة الهلع وبث الرعب في القلوب لتفتت القوى المعنوية : ودفعها للاستسلام ، فان عجزت الصهيونية عن ممارسة هذا الأسلوب من العنف ، اصطنعت الختل والتفاق والغدر والغيلة ، وهى أسلحة خبيثة لا يلجأ اليها الا الضعيف المخدول .

واليهود هم أول من وضع قواعد الفلسفة الميكافيلية الوصلية ، التى تبرر كل وسيلة لتحقيق الهدف ، دون اعتداد بالقيم الخلقية أو الفضائل الانسانية ، كما يظهر ذلك من مطالعة تاريخ اليهود في أسفار التوراة ، فالصفة المميزة لهم هى الاجترار على كل قيمة مشروعة في سبيل مصالحهم ، وكل وسيلة مهما كانت دامية ، أو ملتوية ، أو مشينة مزرية ، فهى مشروعة ، يطمئن اليها الضمير اليهودى . بل يسبغ عليها البركة ..

ولقد تبلورت قاعدة الغاية تبرر الوسيلة في البروتوكولات التى سنعرض لها قريبا ، وكان الاغراء النسائى أقدم الوسائل التى سجلت التوراة - المحرفة طبعا - على العبرانيين استغلالها لتحقيق مآربهم ، ونسبت الى ابراهيم عليه السلام - وحاشاه - استغلالها . فقد روت التوراة مع التأييد والاعجاب في الاصحاح الثانى عشر من سفر التكوين ، كيف تخلى ابراهيم عليه السلام ، عن شهامته وغيرته عن طيب خاطر ، لقاء أجر .. اذ قدم زوجته سارة الى فرعون مصر ، وأغراها بقبول التضحية بعرضها وأمرها أن : « قسولى انك أختى ، ليكون لى خير

بسببك ، وتحيا نفسى من أجلك .. فأخذت المرأة الى بيت فرعون ،
فصنع الى ابراهيم خيرا بسببها .. وصار له غنم وبقر وحمير واماء
وأتن وجمال » ..

وينسب اليهود فيما سطره في التوراة الى أنبيائهم كل مخزية
من الصفات والأعمال ، مما هو معروف ، كما تضمنت التوراة نصوصا
تدعو الى البطش ، بأعدائهم والتتكيل بهم ، والتخلى عن الرحمة
والشفقة في معاملتهم ولو كفوا أيديهم عنهم واستسلموا لحكمهم :
« حين تقترب من مدينة لكى تحاربها استدعها الى الصلح ، فان أجابتك
الى الصلح وفتحت لك ، فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ،
ويستعبد لك . وان لم تسالك بل عملت معك حربا ، فحاصرها ، واذا
دفعها الرب الهك الى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، واما
النساء والأطفال والبهاائم ، وكل ما فى المدينة ، كل غنيمتها فتغنمها
لنفسك ، وتأكل غنيمة أعدائك .. وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة
جدا التى ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التى
يعطيها الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما (١) » ..

ولا يتسع المقام لذكر فظائع اليهود التى سجلها التاريخ ، ويكفى
أن نشير الى ما قام ويقوم به اليهود من العدوان الصهيونى على
الفلسطينيين ، الذين طردوهم من ديارهم شر طردة ، ونهبوا أموالهم ،
وانقضوا عليهم غيلة وغدرا فى مجازر مروعة فى دير ياسين سنة
١٣٦٧ التى ذبح بها مائتان وخمسون من الرجال والنساء والأطفال ،
وفى قرى : ناصر الدين وبلد الشيخ وسكرير ، وعيلوط وغيرها . وفى
سنة ١٣٧٤ أعادوا الكرة فى مدينة غزة ، وفى سنة ١٣٨١ أباد
الصهيونيون قرية الثوافيق بمن فيها وقرية السموع وبعد ذلك استمرت
الغارات الصهيونية على الجليل والجولان ومدن منطقة قناة السويس
وعلى معسكرات اللاجئين الفلسطينيين ، حيث فتكت بهم ودمرت
أكواخهم ، وبعثرت أشلاءهم مستخدمة أشد الأسلحة الحديثة فتكا (٢) .

(١) الإصحاح العشرين من سفر التثنية ١٠ - ١٧ .

(٢) سجلت اللجنة الدولية للصليب الأحمر فى تقريرها سنة ١٩٦٧ م (١٣٨٦ هـ) التى
حبلها عنف الصهيونية وخرأوة وحشيتها الى اذاعة التقرير الذى سجلت فيه تلك الفظائع
الرمية . راجع خلاصة هذا التقرير فى كتاب (الصهيونية بين الدين والسياسة)
ص ٧٧ - ٧٨ .

بروتوكولات صهيون :

أشرنا فيما سبق الى البروتوكولات التي تعتبر دستور الحركة الصهيونية العملية ، وهي تمثل المبادئ الصهيونية المبعثرة مصاغة في تبويب موضوعي مركز ، وذلك هو القدر المتيقن من أمر البروتوكولات الذي لا مجال للجدل أو الشك فيه ، بعد أن ظهر تنفيذه في خطوات الصهيونية التي نفذتها بعد المؤتمر الصهيوني الأول ، وحتى الآن .. وهذه خلاصة ما جاء في البروتوكولات :

١ - اشاعة الفوضى الشاملة :

جاء في البروتوكول الخامس : (اننا نقرأ في قاموس الأنبياء أن الله اختارنا لحكم العالم ، وقد وهبنا الله العبقرية لنقوم بهذا العمل) ، وقد تركزت هذه العبقرية - مع الأسف - في الافتتان في وسائل الفساد والتخريب ، وفساد الحكومات والمجتمعات ، وتخريب الدول والنفوس ، وعلى هذا الأساس فصلت البروتوكولات المناهج العملية لتقويض الحكم القائم في شتى الدول ، واقامة حكومة يهودية جامعة على أنقاضها : (أروع النتائج التي - يمكن الحصول عليها في سبيل حكم العالم يتحقق باستخدام العنف والتهديد لا بالمناقشات الأكاديمية) .. (وان الذي يحكم ، يجب أن يلجأ الى الحيلة والنفاق ، وفي السياسة تستحيل الصفات الانسانية من أمانة وصدق الى رذائل تؤدي الى سقوط الملك عن عرشه) .. (يجب أن يكون شعارنا : جميع وسائل القوة والنفاق يتحتّم أن يكون البطش هو المبدأ ، والحيلة والنفاق هما القاعدة لدى الحكومات التي لا تريد أن تخضع تاجها تحت أقدام أعوان أي حكم جديد .. وهذا الشر هو السبيل الوحيد لبلوغ الخير ، فعلينا أن لا نتردد ألام شراء الذمم والغدر والاحتيال اذا كان ذلك يخدم قضيتنا) .

وتنشأ عن هذه الخطط والوسائل الصهيونية اشاعة الفوضى في العالم والتسلل اليهودي من خلالها ، وهذا ما تعانيه البشرية اليوم : فوضى عاتية جائحة : سياسية وفكرية وروحية واجتماعية واقتصادية .

٢ - اثاره الفتن والوقعية بين شعوب العالم ودوله :

كشف الحاخام عمانوئيل رابينوفيتش عن خطة الصهيونية في خطابه بمؤتمر الربانيين بمدينة بودابست سنة ١٩٥٤ م (١٣٧٣ هـ) حيث

قال : « هل تذكر حملاتنا الدعائية الناجحة عام ١٩٣٠ ، لقد أثارت الحقد على الأمريكيين في ألمانيا والألمانيين في أمريكا . وهذا هو ما أدى الى نشوب الحرب العالمية الثانية : وقد شرعنا في شن حملات مماثلة في سائر أنحاء العالم . فآثرنا في روسيا موجة من الحقد ضد الولايات المتحدة ، وفي نفس الوقت آثرنا في الولايات المتحدة شعورا بالخوف والتوجس ازاء الشيوعيين ، وتؤدي هذه الحملات الى دفع الدول الصغيرة الى تحديد موقفها اما مع روسيا واما مع أمريكا » .

وهذا تطبيق لما رسمته البروتوكولات صراحة : ففي البروتوكول العاشر : (يجب بث الاضطرابات بصفة مستديمة في العلاقات القائمة بين الشعب والحكومات ، واشاعة الأعمال العدوانية والاحقاد ، وحتى عذاب الجوع والحاجة والأمراض : لدرجة لا يرى معها غير اليهود مخرجاً للأرزاء التي تحل بهم سوى اللجوء الى أموالنا والى سيادتنا المطلقة) .

وفي البروتوكول الحادي عشر : (غير اليهود كقطيع من الأغنام أما نحن فأننا الذئب ، وهل تعلمون ما تفعل الأغنام اذا اقتحم الذئب حظيرتها ؟ انها تنمض عينيها ، وسندفعهم الى ذلك) .

ويتضح في البروتوكول الخامس عشر كيف يعمل الصهيوينيون لتحقيق أهدافهم : (واذا ما تولينا السلطة بما نكون قد أعدناه من انقلابات تحدث في جميع الدول في وقت واحد — بمجرد أن يعلن رسميا عجز حكومات تلك الدول عن حكم الشعب ، وقد يمضي على ذلك وقت طويل ربما يبلغ قرنا — سنبدل كل جهننا لمنع المؤامرات ضدنا) .

واعمالا لهذه التعاليم نلاحظ أن اليهود دائما ضالمون مع كل حركة تخريب في العالم ، فقد كانوا وراء الحرب العالمية الأولى ، يظاهرونها ويذكون أوارها انتقاما من روسيا التي تصدت لليهود وانتقمت منهم .. وقد استغل اليهود تلك الحرب الضروس لفائدتهم المالية باقراض الدول بالربا الفاحش ، وترويج تجارتهم في مواد القتال التي يحتكرونها ، والقضاء على شعوب أوروبا وتقويض دولها .

كما حاول اليهود استغلال الثورة البلشفية في روسيا وفرضوا وصايتهم عليها ، لتحقيق مآربهم العنصرية التي فشلوا في تحقيقها في عهد القيصرية .

وقد نجحت العناصر الصهيونية في حكومة البلاشفة في ممالة اليهود والتستر على ما قد يسيء اليهم ويفضح نواياهم ، فلما طبعت البروتوكولات في روسيا سنة ١٩١٧ باللغة الفرنسية صودرت هذه الطبعة رسميا ولم يسمح بطبعها بعد ذلك .

٣ — الارهاب الفكرى وافساد الرأى العام :

يشرح البروتوكول الخامس كيفية افساد الرأى العام وبلبلة الأفكار فيقول : (ولكى نطمئن الى الرأى العام يجب أن نربكه تماما ، فنسمعه من كل جانب ، وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود الطريق) .. ويوصى بـ : (مضاعفة الأخطاء التى ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية فى البلاد لدرجة يتعذر معها على الناس التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى ، وهكذا يكف الناس عن فهم بعضهم بعضا .. وسوف تساعدنا تلك السياسة على بث الفرقة بين جميع الأحزاب ، وعلى حل الجماعات القوية ، وعلى تشبيط عزيمة كل عمل فردى يمكن أن يعرقل مشروعاتنا) .

وفى البروتوكول السابع : (يجب أن نقوم بالتأثير على الحكومات غير اليهودية عن طريق ما يسمونه الرأى العام الذى هيأناه عن طريق أعظم قوة وهى الصحافة التى — فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية التى لا قيمة لها — توجد كلها فى قبضتنا) .

وفى البروتوكول الثامن : (لا يتيسر اسناد المناصب الرئيسية فى الحكومة الى اخواننا اليهود ، فاننا سنسند المناصب الهامة الى أناس من ذوى السمعة السيئة حتى تنشأ بينهم وبين الشعب هوة سحيقة ، أو الى أناس يمكن محاكمتهم والزج بهم فى السجون اذا ما حالوا دون تنفيذ أمرنا) .

ولقد بلغ من جرأة اليهود أن استباحوا جلال العلم لاشباع حقدهم ونزواتهم . بافساد العقول والأخلاق ، والعبث بالقيم والفضائل الانسانية غابتدعوا نظريات علمية تسوغ لهم ما يبببتون من مكر وكيد وما ينفثون من آراء هدامة .. فاليهود وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية وترمى الى هدم القواعد التى يقوم عليها المجتمع الانسانى ، فاليهودى : كارل ماركس وراء الشيوعية التى تهدم قواعد الأخلاق والأديان ..

واليهودى دركيم وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة ، ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب ، واليهودى سارتر وراء الوجودية التى جنح بها الى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بآفات السقوط والانحلال^(١) .

وفى البروتوكول الثانى : (.. نحن الذين هيأنا دارون وماركس ونيتشه ، ولم يفتنا تقدير الآثار السيئة التى تركتها هذه النظريات فى أذهان غير اليهود) .

٤ - اشاعة الفوضى والفساد فى المجتمع :

رسم البروتوكول الأول لليهود كيف يكيدون لساثر شعوب الأرض ، ويبذرون الفوضى والانحلال فيقول : (ان الشعب لدى المسيحيين أضحى متبلد الذهن تحت تأثير الخمر ، كما أن الشباب قد انتابه العته لانغماسه فى الفسق المبكر الذى دفعه اليه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتى يعملن فى بيوت الأثرياء ، والموظفين والنساء اللواتى يعملن فى أماكن اللهو ، ونساء المجتمع المزعومات اللواتى يقلدنهن فى الفسق والترف) .

وفى البروتوكول التاسع : (لقد أتلفنا الجيل الحاضر من غير اليهود وأفسدنا خلقه بتلقيه المبادئ والنظريات التى نعلم أنها مبادئ ونظريات فاسدة وعملنا على ترسيخها فى ذهنه ، ودون أن نعمل على تعديل القوانين القائمة فعلا أمكننا التلاعب بها وتفسيرها التفسير الذى لم يخطر على بال واضعها للحصول على نتيجة فعالة) .

٥ - افتعال الأزمات الاقتصادية :

يفصل البروتوكول الثالث السلاح الاقتصادى الذى يستعين به اليهود على تقويض الحكومات : (وسنعمد الى خلق أزمة اقتصادية عالية بكافة الطرق الملتوية الممكنة بواسطة الذهب الذى يجرى بين أيدينا) .

وفى البروتوكول الرابع : (يجب أن نقيم التجارة على أسس

١. العقاد : الصهيونية المالية) .

المضاربة ، ويكون نتيجة ذلك منع غير اليهود من الاحتفاظ بالثروات التى انتجتها الأرض وعن طريق المضاربة تدخل تلك الثروات خزائنا) •

ويوضح البروتوكول السادس كيف يعمل اليهود على الاضرار بالانتاج : (وسنعمل على تقويض الانتاج من أساسه عن طريق نشر الفوضى بين العمال وتحريضهم على شرب الخمر ، كما أنه لابد من استخدام جميع الوسائل الممكنة لطرد الأذكيا من غير اليهود من وجه البسيطة) •

٦ - القضاء على الأديان :

في البروتوكول الرابع عشر : (عندما تصبح أسياذ الأرض لانسمع بقيام دين غير ديننا •• من أجل ذلك يجب علينا إزالة العقائد ، وإذا كانت النتيجة التى وصلنا إليها مؤقتا قد أسفرت عن خلق الملحدين ، فان هدفنا لن يتأثر بذلك ، بل يكون ذلك مثالا للأجيال القادمة التى ستستمتع الى دين موسى ، هذا الدين الذى فرض علينا مبدأه الثابت النابه وضع جميع الأمم تحت أقدامنا) ••

وفي البروتوكول السابع عشر : (لقدس عنيانا عناية خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود ، والخط من قدرهم في نظر الشعب ، وأفلحنا كذلك في الاضرار برسالتهم التى تنحصر في تعويق أهدافنا والوقوف في سبيلها حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأيام ••

وان حرية العقيدة معترف بها اليوم في كل مكان ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية الا بضخ سنوات ، وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك ، ولكن الوقت لم يحن بعد لمناقشة هذه المسألة ••

وسنعمل على أن يكون دور رجال الدين وتعاليمهم نافها ، ونجعل تأثيرهم في نفوس الشعب فائرا الى حد يجعل أثر تعاليمهم عكسيا) •

ومن هنا كان الاسلام بعد المسيحية المجال الرئيسي الذى كرست له الصهيونية نشاطها للنيل منهما بدأب حثيث ، وكانت محاربتهما هدفا لليهود منذ أزمان سحيقة ، ففي التلمود : (حيث أن المسيح كذاب وحيث أن محمدا اعترف به ، والمعترف بالكذاب كذاب مثله ، فيجب أن نقاتل الكذاب الثانى كما قاتلنا الكذاب الأول^(١)) •

(١) د. محمد الزعبي : (دلائل النفسية اليهودية) ص ١٢٨ .

وقد جاهر حاخام اسرائيل في الحفل لوضع الحجر الاساسي للمحفل الماسوني في تل أبيب سنة ١٣٧٧ هـ بقوله : (اننا نعمل جميعا لهدف واحد هو العودة لكل الشعوب الى أول دين محترم أنزله الله على ظهر هذه الأرض ، وما عدا ذلك فهي أديان باطلة ، أديان أوجدت الفرقة بين أهل البلد الواحد ، وبين أي شعب وشعب ، ونتيجة لجهوداتكم سيأتى يوم يتحطم فيه الدين المسيحي والدين الاسلامي ، ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم المتعفنة ، ويصل جميع البشر لنور الحق والحقيقة) •

وينبغي الا ننسى أن الحاخام يوجه خطابه ويوعز بتحريضه الى أعضاء المحفل الماسوني الذي تزعم تقاليده أنه بنجوة من التعصب الديني ، وأنه يتحلى بالحياد تجاه العقائد •

محاربة الصهيونية للاسلام :

حرصت دولة اسرائيل على محاربة الدين الاسلامي في نطاقها المحلي ، تطبيقا للمبادئ التي نص عليها البروتوكولان السابقان ، فعمدت الى اجبار التلاميذ المسلمين على دراسة اللغة العبرية والديانة اليهودية وحفظ التوراة ، ومنعتهم من حفظ القرآن الكريم ودراسة التاريخ الاسلامي •

وتناولت اسرائيل على القرآن الكريم قطعت في عامي ١٣٨٠ و ١٣٨٨ هـ نسخا مزورة من المصحف الشريف • اسقطت منها بعض الألفاظ أو بعض الآيات وأحيانا سورة بحذفها ، أو تناولت بعض الألفاظ بالتحريف — تبتغى بذلك تحريف بعض المعاني القرآنية والتشكيك في سلامة كتاب الله — بيد أن المسلمين كانوا بالمرصاد حريصين على تعقب كل ما يصدره أعداء الله من طبعات محرفة من المصحف والحيلولة دون تداولها •

ودأب اليهود ، منذ ظهور الاسلام على محاولة افساد شرائعه ، وتشويه مصدر أحكامه ، فدسوا كثيرا من البدع المضللة ، ومنهم من انتحل الاسلام نفاقا ورياء ليفتري على الاسلام مزاعم ما أنزل الله بها من سلطان ليكيد بها الاسلام ويثير الفتنة بين جمهرة المسلمين ،

وقد عرفت هذه الزيوف عند المسلمين بالاسرائيليات ، وهى كل ما دسه اليهود على تفسير القرآن الكريم أو الحديث النبوى من تأويلات فاسدة وأساطير خرافية فيها اغراب وزيف عن المعنى المقصود ، قصد بها التضليل والأرجاف والبلبله واثارة الشبهات بتشويه حقائق الاسلام الناصعة^(١) .

ومن دهاة اليهود عبد الله بن سبأ الحميرى (ابن السوداء) الذى ترجع اليه طوائف غلاة الشيعة ، وهو القائل بمذهب الرجعة ومذهب الحلول (يزعم أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل عليا ، وإنما المقتول شيطان تصور للناس فى صورة علي ، أما علي رضى الله عنه فقد صعد الى السماء على أن يرجع الى الأرض بوصفه [المهدي المنتظر] حيث يفتقم من أعدائه ويقيم العدل والحق ..

(١) من ذلك تفسير الروح فى قوله تعالى : (نزل الملائكة والروح فيها) بأنه ملك هائل هو القيم "سموت السبع" والأرضى السبع ، كفت له لقمة واحدة . وكذلك ما ورد فى قصة عوج بن عنق . وغيرها ..

الفصل الرابع : المنظمات الصهيونية

جاء في التوراة أن الله أوحى الى موسى عليه السلام أن يتخذ مجلسا من سبعين شيخا من شيوخ بني اسرائيل^(١) ويسمونه [مجمع السنهدرين] ، وهو يتألف من حاخاماتهم بزعامة الكاهن الأكبر . وقد ظل مجمع السنهدرين قائما حتى انقضى عام ٧٠٠ بعد الميلاد . بعد تدمير هيكل سليمان ، وتمزق اليهود وتشقتهم في شعاب الأرض . ولكن حلت محله هيئات سرية ترعى شئون اليهود ، وتعمل مستخفية .

وفي عام ١٨٠٧ م حاول نابليون بونابرت احياء السنهدرين القديم في هيئة تضم الحاخامات والعلمانيين لجمع شمل اليهود تحت لوائه ، بغية الافادة منهم في تحقيق مشروعاته الاستعمارية في الشرق خاصة ، غير أن اخفاقه في تحقيق أطماعه أحبط تلك المحاولة .

وأخيرا تولت الكيبيلا قيادة اليهود — ومعناها في العبرية : المحكمة العليا — وهي تضم أقطاب اليهود من رجال الدين والفكر والمال والسياسة ، وتشرف على كافة الأنشطة اليهودية التي تقوم بها المنظمات المختلفة في العصر الحديث ، فتتلقى منها ما تستجمع من بيانات ومعلومات وتتولى التنسيق بينهما ومتابعتها واستغلالها ، وتعرف هيئة الكيبيلا حاليا بالمؤتمر اليهودي العالمي ، الذي يعمل على احتواء اليهود في أقطار الأرض والتوفر على تحقيق ما وعدت به التوراة من سيادة اليهود لشعوب العالم ، وسيطرتهم على أرجاء المعمورة باعتبارهم شعب الله المختار .

ويعترف الحاخام دراها باننظام الهيئات اليهودية السرية المختلفة تحت شعار واحد ، وهدف موجد ، أيما كان نشاطها ، وأينما باشرته حيث يقول في كتابه (التناسق) : « ان جميع الجمعيات السرية موسومة

(١) الاصحاح ٢٤ من سفر الخروج .

بطابع واحد ، اذ كلها تعمل بقيادتنا (١) » .

منظمات يهودية علنية :

بعد أن ظفر اليهود بحقوق المواطنين في القرن الثالث عشر :
(الثامن عشر والتاسع الميلاديين) سارعوا بإنشاء جمعيات يهودية سافرة
في عدة أقطار ، مثلاً جمعية عشاق صهيون التي أنشئت في أوديسا
سنة ١٨٨٢ م (١٢٩٨ هـ) ، وحركة التنوير (الهاسكالا) في ألمانيا ،
التي أنشأها موسى مندلسون ، وجمعية الاستعمار اليهودي التي أنشأها
البارون آدموند دي هيرش ، وجمعية كاديנاتخ النمسية التي كان يرأسها
ناتان بيرنباوم ، وجمعية صهيون النمسية التي تولى رئاستها تيودور
هرتزل .

وبمجهود هرتزل التأم أول مؤتمر عالمي في مدينة بال بسويسرة في
٢٩ أغسطس ١٨٩٧ ، يضم أقطاب اليهود من أقطار الدنيا حيث توافروا
على توحيد جهودهم ، والسعى لتحقيق آمالهم .

وبالنظر لنجاح هذا المؤتمر من وجهة النظر الصهيونية فقد تقرر
عقده بصفة دورية ، وأنشئت المنظمة الصهيونية العالمية في ألمانيا لتنفيذ
لقرار ذلك المؤتمر ، وهذه المنظمة هي أعلى سلطة تشرف على النشاط
الصهيوني بمختلف صوره وأدواته ، وتتولاه بالتوجيه والتمويل والمتابعة ،
دعماً لإسرائيل باعتبارها محور هذا النشاط وهدفه الأول .

والى جانب هذه المنظمة يقوم المؤتمر اليهودي العالمي ويمثل الهيئة
العليا التي تتولى شئنا اليهود بالرعاية ، وتهبىء لهم السيطرة على أنحاء
المعمورة ، وتعمل على إنشاء الحكومة اليهودية العالمية .

وقد باشرت المنظمة الصهيونية مهمتها الى عام ١٣٤٨ هـ (١٩٢٩ م)
حيث تكونت الوكالة اليهودية في فلسطين وحلت محلها ، فلما أعلن قيام
دولة إسرائيل سنة ١٣٦٧ هـ (١٩٤٨ م) تكونت الحكومة اليهودية
من بين أعضاء الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية .

ومن المنظمات اليهودية السافرة : منظمة بناي بريث ومهمتها

(١) دفائن النفسية اليهودية للزعيم من ١٥٨ .

الدعوة الصهيونية وجمع التبرعات لإسرائيل ، ومنظمة الهداسا النسائية الصهيونية ومقرها نيويورك ولها فرع في مدينة القدس . ويشمل نشاطها الشئون الطبية وتقوم بالإشراف على جمع التبرعات لتمويل النشاط الصهيوني ، ومثلها المنظمة الصهيونية النسائية العالمية المعروفة باسم ويزر التي تنتشر فروعها في شتى أنحاء العالم * والمجلس القومي لجماعة شباب إسرائيل وقد اعتمدته هيئة الأمم المتحدة بوصفه منظمة غير حكومية للشباب اليهودي ، ويمتد نشاطه إلى الأمريكتين فضلاً عن إسرائيل * واتحاد عمال إسرائيل (الهستادروت ومنظمة سندات إسرائيل في نيويورك لتمويل المشروعات الصهيونية) *

المنظمات السرية :

من المنظمات الصهيونية السرية الخطيرة التي اكتشف أمرها :
الماسونية والبهائية ، وجمعية شهود يهوه ، ونادى الصليبان المزدهرة ،
ونوادى الروتاري * ونكتفى بالامام بالمحافل الماسونية *

المحافل الماسونية :

هي من أقدم المنظمات اليهودية التي بثها اليهود أينما حلوا في أقطار الأرض ، لتكون مئوى اجتماعاتهم التي يتناقشون فيها ويتبادلون الرأي والمعلومات * ويكفى لبيان الصلة الوثيقة بين الماسونية والصهيونية أن بروتوكولات صهيون - الدستور الصهيوني - قد صدرت مذيلة بأعضاء ثلاثمائة من كبار الماسونيين الحائزين للدرجة الثالثة والثلاثين الماسونية *

ولا يزال منشأ الماسونية طى الكتمان ، بل لغزا من الألغاز الغامضة^(١) * ورغم ذلك فإن تاريخ الماسونية الذي نتداوله معارف الماسونيين ينبىء عن أصالتها الدينية اليهودية ، فهم يزعمون أن الملك سليمان (عليه السلام) كان الأستاذ الأعظم في محفل القدس ، كما عثر على مخطوطة يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر الميلادي

(١) كتاب (كيف انشأ المحفل الأكبر الوطنى ، السورى اللبنانى) تأليف جسين الملاز
واحيد مختار نجاه ص ٢٨ .

يستدل منها على أن الماسونية دخلت إنجلترا على يد اليهود في مصر
والقدس^(١) .

شعار الماسونية :

والماسونية أو جمعية البنائين الأحرار منظمة اجتماعية عالمية
شعارها الذى يتسم به نشاطها الظاهر العدل — الاخاء — الحرية
وهدفها : التعاون الانساني بين أفرادها على أوسع مدى ، وقد اتخذت
من صناعة البناء وأدواته كثيرا من شعاراتها ورموزها ، فالبركار
والزاوية هما الرمز العام للماسونية .

وعلاوة الأستاذ الأعظم : البركار والقوس وصورة العين المشعة
داخل مثلث ..

وعلاوة المنبه الأول الأعظم : ميزان البناء ..

وعلاوة المنبه الأعظم : خيط الشاقول ..

وعلاوة المهندس الأعظم : البركار ..

ويشار الى الله (سبحانه وتعالى) باسم : مهندس الكون الأعظم
ويسمى كل تنظيم ماسونى محفلا ، يجتمع فيه الأعضاء ، ويضم
المحفل الأكبر مجموعة من المحافل ، وتتبع المحافل المقامة فى مجموعة
من الدول محفلا عاما يسمى : شرقا .. وتتكون الماسونية من طبقات
ثلاثة متدرجة :

الطبقة الأولى :

وتعرف بالماسونية الرمزية العامة ، وهذه الطبقة متاحة لجميع
الأجناس والأديان ، ويقسم أعضاؤها الى ثلاث فئات : المبتدئين أو
الاخوة ، ثم الأساتذة ، ثم الأساتذة الأعظم الذين يرأسون محافلها .
وتتكون المراتب الماسونية فى هذه الطبقة الرمزية من ٣٣ درجة تتدرج
صعودا حتى مرتبة الأستاذ الأعظم .

(١) المرجع السابق .

الطبقة الثانية :

وتعرف بالماسونية الملوكية أو العقد الملكى . ويسمى العضو فيها رفيقا كما يعرف رئيس المحفل بالرفيق الأعظم وكان أعضاؤها جميعا من اليهود ، ثم سمح للأساتذة العظام للمحافل الماسونية الرمزية العامة بالاندماج فيها ، على ألا يتجاوزوا فيها مرتبة الرفيق ، وهى أدنى مراتبها ..

الطبقة الثالثة :

وتعرف بالماسونية الكونية ، وتتكون من رؤساء محافل العقد الملوكي ، وهى محفل واحد جميع أعضائه من اليهود ، ولا يعرف مقره ولا رئيسه الملقب بالحاخام الأعظم ، غير أن المشهور أن الماسونية الكونية يديرها المحفل الأمريكى المؤلف من اليهود الصهيونيين الرومانيين .

ولكل درجة من درجات الماسونية رموز خاصة ، وشارة خاصة ، وتحية معينة ، وأسرار محددة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو الى درجة أعلى ، وتختلف باختلاف طبقات المحافل ، ولا يجوز لدرجة أن تطلع على أسرار وتعاليم الدرجة التى تعلوها .

ولا يقبل العضو الجديد فى أدنى درجات الماسونية الا بعد تركية عضوين له ، وثبوت جدارته بما يجرى حوله من التحريات السرية التى تبعث على الاطمئنان اليه ، ونجاحه فى اختبار نفسى عسير يجرى فى غرفة مظلمة رهيبه حيث يمكث فترة طويلة فى تابوت من توابيت الموتى بين الجماجم والهيكل العظمية ، ثم يتم قبوله فى حفل تكريس تجرى فيه طقوس غريبة على مشهد من جميع أعضاء المحفل .

ولا يرقى الماسونى الى درجة أعلى حتى يمر باختبارات وتجارب قاسية تثبت جدارته ، بالترقية وتلقى أسرار الدرجة الجديدة ، وتتفاوت هذه الاختبارات فى الدقة والقسوة بتفاوت الدرجات المكرس لها العضو بحيث تمنع فى القسوة كلما علت الدرجة .. والقصد من ذلك التأكد من قدرة العضو على تحمل أنواع التعذيب والأذى الذى قد يتعرض له فى سبيل كتمان أسرارها ..

وقد اتخذت الماسونية سئارا لأغراضها الحقيقية — وهي خدمة الصهيونية — تلك النشاطات الانسانية والاجتماعية ، باعتبارها تعمل للبر والتعاون الاجتماعى وتنفى عن نفسها التعرض للمباحث الدينية والأمور السياسية .. فالماسونى يلقي دائما من صفوف المعونة والمساعدة ما قد يحتاج اليه ، سواء كان ذلك فى وطنه أو البلاد الأخرى ، حيث يقابل من أخوانه الماسونيين المنتشرين فى جميع الأقطار بمزيد البشر والترحاب ، والاستعداد لخدمته ، والعمل على راحتته ، حالما يلتقى بهم ويتعرف اليهم بمقتضى الاشارات المصطلح عليها فيما بينهم ، وكلمات السر المضمنون بها على غيرهم .. بل يزيد الدعاة فى نشر الدعوة الماسونية بقولهم : ان الموظف الماسونى لابد أن يلقي من عناية الرؤساء الماسونيين بأمره ما تقربه عينه ، حيث تكون ماسونيته خير مؤهل للترقى وتخطى الأقران .. واذا أجرم الماسونى ثم حوكم أمام القاضى الماسونى فان البراءة مضمونة له ، حالما يظهر له الاشارة الماسونية .. وهكذا التاجر ورجل الأعمال (١) .

ومعلوم أن الماسونى يقسم عند التحاقه بالعشيرة الماسونية أمام الرئيس المحترم — خليفة الملك سليمان — أن يتخذ من اخوانه الماسون أولياء له فى جميع أموره ، وأحواله ، وأن يأتمنهم كذلك على أعراضه ، وأن يتخذ القومية الماسونية دون سواها شعارا له مدى الحياة (٢) .

وقد أفصح البروتوكول الثالث من بروتوكولات صهيون عن الدور الجدى للمحافل الماسونية فى سبيل انشاء الدولة اليهودية العالمية التى يدين لها سكان المعمورة ، ويخضعون لسلطانها حيث يقول :

ان المحافل الماسونية تقوم فى العالم أجمع — دون أن تشعر — بدور القناع الذى يحجب أهدافنا الحقيقية ، على أن الطريقة التى ستستخدم بها هذه القوة فى خطتنا ، بل فى مقر قيادتنا لازالت مجهولة من العالم بصفة عامة .

وفصل البروتوكول الحادى عشر : الأهداف التى ترمى اليها الصهيونية من افساح المجال لغير اليهود للانضمام الى المحافل

(١) (الجمعية الماسونية حقائقا وخفاياها) للدكتور احمد غلوش الرئيس السابق للمحفل الاكبر الماسونى بالاسكندرية والحائز على الدرجة ٣٣٠ من ٤ .
(٢) المرجع السابق ص ٨ .

الماسونية العالمية ، فقد جاء فيه : ما هو السبب الذى دفعنا الى أن نبتدع فى سياستنا ، ونثبت أقدامها عند غير اليهود ، لقد رسخناها فى أذهانهم دون أن ندعهم يفقهون ما تبطن من معنى ، فما هو السر الذى دفعنا الى أن نسلك هذا المسلك ، اللهم الا أننا جنس مشنت و ليس فى وسعنا بلوغ غرضنا بوسائل مباشرة ، بل بوسائل غير مباشرة فحسب . هذا هو السبب الحقيقى لتنظيمنا الماسونية التى لم يتعمق هؤلاء الخنازير من غير اليهود فى فهم معناها ، أو الشك فى أهدافها ، اننا نسوقهم الى محافلنا التى لا عداد لها ولا حصر ، تلك المحافل التى تبدو ماسونية فحسب ، ذرا للرماد فى عيون رفاقهم .

وفى البروتوكولات نصوص كثيرة تبين دور المحافل الماسونية فى العمل لخدمة الصهيونية منها ما جاء فى البروتوكول الخامس عشر : يلتحق غير اليهود بالمحافل الماسونية مدفوعين بمجرد الفضولية أو أملا منهم فى الحصول على المزايا التى توفرها لهم ، ويلتحق بعضهم بهما لكى يتمكنوا من مناقشة أفكارهم السخيفة أمام جمهور المستمعين ، ويتوق غير اليهود الى ضروب الانفعالات التى يهيئها النجاح والهناجات ، وها نحن نوزعها عليهم دون حساب ، ولذلك نتركهم يحرزون نجاحهم ، ونفيد من الرجال الذين يمتلكهم الغرور ، والذين يستسيغون أفكارنا وكلهم ثقة فى عصمتهم وفى أنهم وحدهم قادرون على التفكير وغير خاضعين لغيرهم .

وهكذا كان الماسونيون أكبر معاون للحركة الصهيونية فى شتى الأقطار يعملون على تحقيق أهدافها السياسية والاستعمارية بحماس ودأب ، ومنهم على سبيل المثال [ونستون تشرشل] الذى عمل على تأييد الحكومة الانجليزية للمطامع الصهيونية فى فلسطين ، وكان [هارى ترومان] رئيس الولايات المتحدة ماسونيا أعظم . وقد أكدت ذلك مجلة شيكاغو افنجر فى عددها الصادر فى ١٣ يوليو ١٩٥٥ م ، وهو الذى سارع الى الاعتراف بدولة اسرائيل ساعة ولادتها المشؤومة .

وتعزى الحركات الثورية العاتية ، والفتن المخربة التى اندلعت فى شتى الدول فى العصر الحديث الى النشاط الماسونى الهدام ، كالثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، والانقلاب العثمانى

سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٧ م) وغيرها^(١) .
سنة ١٣٣٧ هـ (١٩١٧ م) والثورة الشيوعية في روسيا سنة ١٣٣٦ هـ

(١) . يمكن أن نرغب في المزيد من التفصيل الرجوع الى الكتب التالية :
اسرار الماسونية للجبرال جواد رفعت آتلقان ، الماسونية في العراق للكتور علي الزعبي .
والكتاب النفيس الذي صدر اخرا : (الصهيونية بين الدين والسياسة) للاستاذ
عبد السميع الهراوي ، وعليه عولنا في هذا البحث .

اللبس الرابع

إتجاهات إسلاميّة

• إتجاهات قاصرة

• إتجاهات أصيلة

اتجاهات اسلامية

نحن نتحدث عن العالم المعاصر ...

ومن ثم فاننا نتحدث عن القرن العشرين ...

ولئن كنا أوغلنا قرنا أو بعض قرن حين تحدثنا عن الاتجاهات الدخيلة : غربية وشرقية فذلك لنبين جذورها .. ليعلم قومنا .. ان ما هم فيه .. ليس قصدا الى تدميرهم ولا الى رقيهم .. انما هو عروة من عرى حرب ضروس شنها أعداؤهم عليهم ... فلما لم تفلح حرب السلاح ... لجأوا الى حرب الفكر والعقيدة ..

وكانوا في الثانية :

أخبث

وانجح

بيد أنهم ... وان نجحوا ... فان نجاحهم محدود ...

محدود .. كما .. فلا تزال القاعدة العريضة من المسلمين بعييدة عن تأثيرهم .. لا تزال الفطرة في البادية وفي الريف .. هي الغالبة برغم كل ما بذله الغرب والشرق من فساد وفساد ...

وهو كذلك محدود كيفا :

فان ما غيروه ... قليل الى جوار .. ما بقى .. حتى في نفوس أتباعهم

ولا يزال الاسلام في كل يوم يضم الى صفوفه ... كثيرين ممن كانوا عندهم روادا ...

وهذا محمد حسين هيكل ... يعلن عودته لحظيرة الاسلام .

وهذا طه حسين ... يتجه في أخريات حياته الى الاسلام ...
وان بقى فكره مشوبا بكثير من المؤثرات الأولى .

وهذا جلال كشك ، ومصطفى محمود .

وغيرهم ... كثير ...

يفتح الاسلام ذراعيه .. فرحا بهم .. أشد فرحا من فرحة الأم
بعودة وحيدها الغائب .. أو أشد فرحا من ظاعن بالصحراء وجد بعد
لأى بعيره الشارد .. وهذا النجاح .. لا يأمن بعد ذلك رد الفعل ...

ان لم ينتهوا .. ويتركوا .. أرض الاسلام .. وأبناء الاسلام ..
وبعض الذى سنقدم ان لم يكن أكثره .. كان رد الفعل .

وقد بدأ أو بدأ أثره قاصرا .

لكنه يوشك باذن الله أن يعرف طريقه ... وان يبلغ غايته ...
ليتم الله نوره .. ولو كره المشركون ...

ونحن نكتفى في الحديث عن الاتجاهات الاسلامية .. بما كان
منها في هذا القرن الرابع عشر الهجرى .. لأن هذا هو معنى المعاصرة
الذى نقصد اليه .. ولن نشغل أنفسنا ولا نشغل الناس بالحركات
التي لبست ثياب الاسلام وهي تضرر له الشر .. وتحمل له الحقد ..
فان صبغها بصبغة الاسلام خطأ كبير^(١) .

لكننا قد نشغل أنفسنا ونشغل الناس بالحركات والاتجاهات
القاصرة .. لأنها وان كانت لا تمثل الاسلام الصحيح .. فانها خطوات
اليه .. حسب أصحابها منها حسن النية ، وحسبهم اجتهادهم وان
اخطأوا فلهم الاجر ان شاء الله .. ثم لابد من دراستها لنتبين ما فيها
من خير فنستثمره .. وما فيها من سوء فنرفضه .. ثم لندعو أصحابها
ان هلموا الى الاسلام الصحيح .. (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم .. يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه^(٢)) ..

ونبدأ باذن الله بهذه الاتجاهات .

ثم ثنى باذن الله بالاتجاه الصحيح .

والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم ..

(١) مثل القاديانية .. التي قامت في الهند عملية للاستعمار البريطانى ... محاولة تحريف
المقيدة الاسلامية ... وهي وغيرها من الحركات المشبوهة موضع دراسة مادة الاديان والفرق
(٢) آل عمران ١٠٥ ، ١٠٦

الفصل الأول: إتجاهات قاصرة

مقدمة :

وفي حديثنا عن الاتجاهات القاصرة قد نغفل تسمية أصحابها ..
ليس خوفا منها .. ولا ملقا لغيرها ..

فيعلم الله .. ان خوفنا منه .. ورجاعنا اليه .
— ولكنه .. أدب

علمنا اياه الرسول صلى الله عليه وسلم حين كان يصعد المنبر ..
فيقول .. ما بال أقوام فعلوا كذا وكذا .
— ثم هو بعد ذلك دعوة ..

لأولئك .. الذين احبوا الاسلام .. وان لم يفهموه الفهم الصحيح
أو المتكامل دعوة اليهم .. من غير جرح لمشاعرهم .

فهم اقرب الينا من الذين شردوا .. وهم اعز علينا منهم ..
بل قد يكونون أعز علينا من أنفسنا ..

وأول هذه الاتجاهات القاصرة .. ما اقتصر على العقيدة ..
وغالى فيها ..

وثانى هذه الاتجاهات القاصرة .. ما اقتصر على النسك ..
وغالى فيه ..

وثالثها .. ما اقتصر على محاولة اصلاح بعض المؤسسات ..
ولم يستطع .. حتى ان يغالى فيه .. ونكتفى بهذه الاتجاهات ..
لنجمع تحتها .. كثيرا من الحركات .. التى ظهرت فى هذا القرن ..
ولنجمع تحتها كذلك كثيرا من الجمعيات التى حملت اسم الاسلام ..
أو جزءا من اسمه ..

وكل ذلك بغير تسمية كما أشرنا ..

المبحث الأول

اتجاهات نحو العقيدة

لا شك أنها نقطة بداية صحيحة :

ان نبدأ من العقيدة ..

فإنها الأساس ..

لكن .. الخطأ والخطر ..

ان نقف عندها ..

أو أن نتغالى فيها ..

وقبل أن نبين الخطأ والخطر فيها .. نبين الصواب فيها مشيرين
الى ظروف نشأتها فهذان بحثان باذن الله

أولا : صواب البدء بالعقيدة

البدء بالعقيدة عين الصواب •

لأن الاسلام يقيم بناء له أساس ..

وأساسه العقيدة ..

وبناء الاسلام .. ليس من حجارة ولا من صخور .. وان كان بعد
قيامه اثبت من الرواسي وأصلب من الصخور ..

انه بناء معنوى ..

بناء قيم ومثل ..

بناء شريعة ..

أساسها عقيدة ..

وهذا البناء لا يقام فى فراغ •

ولا يقيم كذلك على جماد .

لكنه يقيم على أكرم ما خلق الله .. على الإنسان .

ثم هو يقيم في أعز مكان في الإنسان وأعلى قطعة فيه ..

انه يقيم في قلبه ..

« التقوى .. ها هنا .. وأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى قلبه » (١) .

« الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله . واذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب » (٢) .

والذين أقاموا الحضارات غير الاسلامية ...

أخطأوا نقطة البدء ... بل أخطأوا مكان البناء نفسه .

فأقاموا بناء الحضارة خارج الانسان .. من الآلة .. والمصنع ..
وناطحات السحاب .. وهم حتى حين نظروا الى الانسان .

نظروا الى .. أخطئىء فيه .. غرائزه ..

فكانت حضارتهم اشباعا لهذه الغرائز .. واثارة لها .. حتى
شقى الانسان بحضارتهم ايما شقاء .

وأهملوا في الانسان .. اعز شئ فيه .. وأعلى قطعة منه ..
أهملوا قلبه .. !

وهذا هو الفارق بين حضارتهم وحضارة الاسلام .. !

والظروف التى دعت للنداء بالعقيدة :

قريبة من الظروف التى دعت الاسلام للنداء بها أول مرة .

فكثير من المجتمعات الاسلامية خلال القرنين الثانى عشر والثالث

(١) من حديث طويل رواه الشيخان .

(٢) رواه البخارى في كتاب الايمان ٣٩ ومسلم وابن ماجه .

عشر ، وبعضها لا يزال حتى القرن الرابع عشر الحالى .. يتنازعها تقاليد ،
وأفكار .. ان لم تكن هى الشرك فهى قريية منه .. بل ان بعض هذه
المجتمعات أو شك يوما .. ان يعبد شجرة .. أو مكانا حاطه البعض
بشئ من التقديس ..

ولا يزال كثير مما يحدث حتى اليوم فيما يسمى بالموالد .. له شكل
الشرك .. ولا ينقصه الا النية .. والله أعلم بالنوايا ..

وبرغم أن أصحاب هذه « الموالد » برءاء مما أحدث الناس ..
بل ان بعضهم لو كان على الحياة لحرق كثيرا من أولئك الضالين ..
كما فعل على بن أبى طالب رضى الله عنه بمن ألوهه من دون الله
سبحانه وتعالى ..

وبرغم ما يقال من ان احياء هذه « الموالد » احياء لمبادئ وقيم
أصحابها وتذكير بها ..

فان ما غلب عليها من « بدع » وما يرتكب فيها أو باسمها من
آثام « كفيل بالانتهاء عنها ..

فان من أسباب تحريم الخمر والميسر .. قول الله .. يسألونك
عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من
نفعهما ..

فضلا عن ان درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة ..

وسد الذرائع كفيل بترك ما لا بأس به خشية أن يكون به بأس ..

طواغيت :

والطواغيت التى أمرنا الله ان نكفر بها ليصح إيماننا ..
ليست .. ولم تكن ، الاوثان والأصنام فحسب ..
ان تلك الاوثان والأصنام .. مجرد صورة واحدة ، أو مثل واحد ..
لكن صور الطواغيت كثيرة :

معتقدات ..

مبادئ ..

افكار *

أشخاص ..

عواطف ومشاعر ..

سلوك ..

صور للتفكير ..

وجماع هذه جميعا .. ان تعطيها أو تعطى شيئا منها .. بعض
صفات الله أو بعض أفعاله التي اختص بها وحده سبحانه ..

ولا يهم أن تفرد بها بهذا العطاء ..

أو ان تشركها مع الله فيه ..

فمن أعطى شخصا .. أو هيئة .. مبدأ .. صفة « الحكم » أي
وضع القواعد والتشريعات ابتداء .. وهذا خالص حق الله سواء في مجال
العقيدة ، أو الاخلاق ، أو العبادات أو المعاملات : اقتصادية ، وسياسية ،
 واجتماعية ..

فقد اتخذ الشخص أو الهيئة أو المبدأ .. طاغوتا ..

فان أفرد به هذه الصفة .. فقد اتخذ طاغوتا من دون الله .

وان اشركه مع الله في هذه الصفة .. فقد اتخذ طاغوتا مع الله .

وفي الحالين ان توافرت له الارادة فقد انتفى عنه الايمان ..

((ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل
من قبلك ، يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به
ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا)) ..

الى قوله تعالى : (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما^(١)) .

(١) النساء ٦٠ و ٦٤ -

فلينظر الذين يقولون ••

« أنا مسلم العقيدة ماركسي المذهب »

فان العقيدة لا تصح حتى يسقط كل طاغوت •• يعطيه الانسان
بعض حق الله •

(فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى ^(١))
ولذا كان النفي في شهادة التوحيد سابقا على الاثبات ••

لا اله الا الله •• ا

العقيدة الصحيحة :

والعقيدة الصحيحة •

ليست قاصرة على نطق اللسان : لا اله الا الله محمد رسول الله •

انها قبل ذلك علم القلب وعمله ••

وهي ليست قاصرة بعد ذلك على عمل الجوارح •

انها ان اقتصرنا على الاولى : شهادة اللسان •• وانتفتت الثانية :
كانت نفاقا ••

وان اقتصرنا على الثانية دون الاولى •• كانت كفرا ••

وان اقتصرنا على الاولى والثانية دون الثالثة •• كانت فسقا ••

ثم :

انها ليست قاصرة على جانب من صفات الله دون الجانب الآخر •

انها كما تشمل الاعتقاد بان الله خالق ••

تشمل كذلك الاعتقاد بانه رازق ••

تشمل كذلك الاعتقاد بانه : حكم أو حاكم ••

(١) البقرة ٢٥٦ •

والإخلال في جانب من هذه .. كالأخلال بالجانب الآخر سواء
بـسواء^(١) ..

ثانيا : خطأ و خطر

الذين نادوا بالعقيدة على ذلك النحو .
أصابوا كل أصابة ..
لكنهم أخطأوا من جانبيين .
انهم وقفوا عندها ..
أو أنهم غالوا فيها .. أو فعلوا الخطأين معا ..

أما خطؤهم في الوقوف عندها :

فإن العقيدة أساس ..
لا يقوم بناء بغيره .. وهذه أهميتها ..
لكن ...
أيصح لعائل أن يقيم الأساس .. ويكتفى ؟ ..
فلا يقيم بعده البناء ؟ ..
وما يجديه الأساس .. أن أصابته حرارة الصيف أو مسه برد
الشتاء ؟ ..

وأما خطأ المغالاة فيها :

فقد جاء من اعتبارهم الائتثار بالأمر والانتها عن النهي جزء من
العقيدة ، وترتيبهم نفس النتيجة التي تترتب على تخلف الأجزاء الأخرى
كشهادة اللسان أو اعتقاد القلب . واعتبار « العمل » بتفصيله السابق
جزءا من الإيمان صحيح .

(١) تفصيلا لذلك .. بحثا منفصلا (الإيمان الحق : شهادة وعقيدة وعبادة) - للدكتور
على جويشة - دار الشروق الطبعة الأولى - سبتمبر سنة ١٩٧٥ م - والمراجع المشار
إليها في هذا البحث .

لكن ترتيب نفس النتيجة عليه غير صحيح •
ذلك ان للايمان درجات •• كما ان في الجنة درجات •
والكفر درجات •• كما أن في جهنم درجات !

أو هو كالكائن الحي •• لا يستوى فصل رأسه مع فصل رجله
أو يده •• ومن ثم فلا يستوى في شرع الله تارك الشهادة : لا اله الا الله
مع تارك اطعام المسكين ••

ولا يستوى من داس مصحفا •• أو انكر شيئاً ما فيه •

مع من اغتاب ، أو سعى بالنميمة ، أو حتى قتل ! •

والقرآن سمى تارك «الهجرة» مؤمناً «والذين آمنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شيء»^(١) •

وسمى من قاتل اخاه «مؤمناً» •• «وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا فأصلحوا بينهما»^(٢) •

وتداعى الناس وتتابعهم في المعاصي •• لا يدفعنا الى خطأ آخر ••
هو تكفيرهم ••

انما ينبغي على المسلم ان يمسك في احلك الظروف بالميزان الدقيق •
يزن به الافعال والاشخاص •• «الله الذي أنزل الكتاب بالحق
والميزان»^(٣)

(١) الانفال ٧٢ •

(٢) العنكبوت ٦ •

(٣) الشورى ١٧ •

المبحث الثانى الاقتصار على النسك

لا شك فى فضل شعائر الله •

ولا شك انها •• عمد هذا الدين •• لا يقوم بغيرها ••

ولا شك أن تعظيمها وتوقيرها من تعظيم الله وتوقيره •• من تقوى القلوب « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » (١) •

لكن هل نستطيع أن نقتصر عليها فقط ونقول هى الدين ؟
الرسول يرفض محاولة الاقتصار أو محاولة التغالى :

بعض الذين يقتصرون اليوم على الشعائر •• يقولون •• أنهم يتشبهون بالصحابه ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برءاء مما يقولون ••

فمنهجهم هو منهج الرسول عليه الصلاة والسلام •• الذى شجب مثل هذه المحاولات ليوضح سنته •• حين قال بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم أين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ••

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟

أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له ••

ولكنى أصوم وأفطر ••

وأصلى وأرقد ••

وأتزوج النساء ••

(١) الحج - ٣٢ •

فمن رغب عن سنتي فليس مني ..! (١) .

وهذا حنظلة الكاتب التميمي ، يقول : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكرنا الجنة والنار حتى كأنها رأى العين ، فقمت الى أهلي وولدي فضحكت ولعبت .. قال : فذكرت الذي كنا فيه فخرجت فلقيت أبا بكر رضى الله عنه فقلت : نافقت ، نافقت .. فقال أبو بكر : أنا لنفعله ، فذهب حنظلة فذكره للنبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .. رد المعلم .. الرؤوف الرحيم : « يا حنظلة : » لو كنتم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، (أو على طرفكم) ، يا حنظلة .. ساعة .. وساعة » (٢) .

وحين علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قد انقطع للعبادة .

قال : ومن يطعمه ويسقيه .

قالوا .. أخوه .

قال : أخوه أعبد منه .

ثم أعطى معنى العبادة حقها :

حين جعل « الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله » (٣) .

وحين قال : « ان من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصوم ولا الحج ويكفرها الهم في طلب المعيشة » ! وفي لفظ (عرق الجبين) (٤) .

الاستعمار يشجع فرق المتنتطين :

وحين جاء الاستعمار الأوربي الى أرض الاسلام .. حارب الدين .. وكل ما هو ديني .. الا فرق المتنتطين . رافعى الرايات .. وضاربى الدفوف .. والهائمين على وجوههم .. زاعمين أنهم من أهل الله يتكفون الناس .

(١) رواه البخارى ومسلم واحمد واللفظ للبخارى .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

(٤) رواه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية .

وكان من بين ما شجعه المستشرقون « التصوف »^(١) .

التصوف بهذا المعنى القاصر .

لأننا لا نود أن نظلم المتصوفة كلهم .

وان كنا نود لهم .. ما ارتضاه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له .. »

ولكنى أصوم وأفطر .

وأصلى وأرقد .

وأتزوج النساء

فمن رغب عن سنتى فليس منى » ا

هل صحيح بعد ذلك الاقتصار على النسك ؟

أظنه ليس بحاجة الى جواب .

الا أن تقول بصلاحية أعمدة تقوم .. لأن تؤوى أسرة .. فتقيها
حر الصيف وبرد الشتاء .

والا أن تقول .. بغير ما قال محمد عليه الصلاة والسلام .

أما المغالاة :

فلئن كان الاقتصار خاطئاً .

فالمغالاة أشد خطأ .. حتى ولو كانت بقصد كريم شريف .. فلا بد
مع القصد من الاتباع. لأن الافراط فى شئ .. تماماً كالتقريط فيه ..
كلاهما طرفا نقيض .. مذموم من الله سبحانه وتعالى « والذين اذا
أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »^(٢) .

وفي موضوعنا نصوص كثيرة « واعلموا أن فيكم رسول الله لو
يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم »^(٣) .

(١) راجع ما سبق عند الكلام عن الاستشراق .

(٢) الفرقان ٦٧ .

(٣) الحجرات ٧ .

عليكم من الأعمال ما تطيقون .. فان الله لا يمل حتى تملوا^(١) .
« ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض الى نفسك
عبادة الله ، فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى »^(٢) .
« ان لربك عليك حقا ، ولنفسك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ..
فاعط كل ذي حق حقه »^(٣) .

وبعد ذلك ..

فان الاغراق في جانب واعنات النفس فيه ..
يؤدى بغير شك الى الملل والسأم مما يفضى بعد ذلك الى الانقطاع !
أو يرتد بالنفس الى التقيض الآخر ..
أو يؤدى الى خلل فى الجسم أو العقل أو المال .

(١) الموانع ج ١ ص ٢٢٢ .

(٢) رواه أحمد والبيهقي .

(٣) رواه البخارى وسرمدي .

المبحث الثالث

مدارس العقل والعقلاء

مدارس العقل والعقلاء... نشأ أكثرها في فترة الاحتلال الأجنبي
وفي أوج قوته ..
لها فلسفتها :

اننا لسنا بقادرين على مجابهة قوة الاستعمار العسكرية .. ومن ثم
فلنؤجل الجهاد .. ولنعمل العقل لانقاذ ما يمكن انقاذه .. أو باستعارة
التعبير « ما لا يدرك كله لا يترك كله » .

اتهام ننفيه :

ونحن — على عكس كثير غيرنا — نحسن الظن بأصحاب هذه
المدارس ولا نقبل أن نسميهم « عملاء »^(١) .

وان بدا منهم لون من الاتصال أو التعاون مع العدو المستعمر ..
ذلك أن هؤلاء القوم .. كما نقول .. صدروا في فلسفتهم الحركة
لهم .. عن ضعف استشعروا فالاستعمار قهرهم .. وقهر من كان أشد
منهم قوة وأعز نفرا !
فكيف بهم أن يقفوا في وجهه .. ؟

سذاجة :

لكننا وان نفينا عنهم « العمالة » فلا نستطيع أن ننفي عنهم
« السذاجة » انهم ظنوا أنهم يستطيعون أن يضحكوا على الاستعمار
ويمكروا به فاذا به أشد مكرا .

(١) شن الدكتور محمد محمد حسين حملة شديدة على الشيخ محمد عبيد وشيخه الافغانى
في كتبه : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، الحضارة الغربية .. الخ .. وسار على
نفس النهج الأستاذ غازي التوبة في بحثه القيم الفكر الاسلامي المعاصر وفعل ضيره
كذلك ..

ظنوا أنهم يستطيعون أن يمتطوه ليسخروه لصالح الاسلام
وامتطاهم الاستعمار ليسخرهم لصالح التغريب ، والتغيير الاجتماعى ا

فبعضهم ظن أنه يستطيع أن يقنع الانجليز باصلاح التعليم الدينى
» ان أعظم فاعل فى نفوس المصريين أن يقال لهم : ان صاحب هذه
المنفعة ليس من دينكم وانكم مأمورون ببعضه « .. ثم يقول « الدين
الاسلامى الحقيقى (١) ليس عدو الألفة ، ولا حرب المحبة ولا يحرم
المسلمين من الانتفاع بعمل من يشاركونهم فى المصلحة ، وان اختلف عنهم
فى الدين ، وبالجمله فهو أفضل كافل لجعل الرعية صالحة لأن تكون بدنا
فى رأس أو آلة لعامل (١) .

وبهذه النية التى نحسن الظن بها .

ألف صاحب مدرسة العقل جمعية التقريب بين الأديان .

فيها المسلمون

والنصارى

واليهود

ولعله لم يكن قد اطلع على توصيات المبشرين والمستشرقين فى
التقريب بين الأديان ولعله كذلك لم يدرك .. أن التقارب بين الاسلام
والمسيحية واليهودية .. لا يمكن أن يكون الا على حساب الاسلام ..
لأنه الوحيد الدين الصحيح وغيره محرف ولا بد فى التقريب من تنازل
وتنازل المحرف لا يضره ! .. أما تنازل الصحيح فانه يضره ويضره
كل الضرر ! !

ولعله لم يدرك أن المشركين حاولوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذلك التقارب حين قالوا له نعبد الهك يوما ، وتعبد آلهتنا يوما .

فأنزلها رب السماء والأرض قاطعة حاسمة .

» قل يا أيها الكافرون

لا أعبد ما تعبدون

(١) المرجع الاخير .

ولا أنتم عابدون ما أعبد

ولا أنا عابد ما عبدتم

ولا أنتم عابدون ما أعبد

لكم دينكم ..

ولى دين ..

ولا أدري هل قرأ « سيد العقلاء » ما كتبه أحد أعضاء جمعياته تحت عنوان « الاسلام والمدارس المحمدية » التى جاء فيها « واحسان المسلمين لمواليهم ، واثفاقهم على البهائم التى ترجع أيضا الى الرب ، واتفاقهم فى سبيل الخير ، والسذاجة التى هى من خصال المؤمنين الصادقين أخرى بأن تميلنا اليهم ، من أن نصيح « النبى الكاذب » .

وما أحسن عمل مبشرينا (١) لو جاهدوا فى التوفيق بين الاسلام والمسيحية توفيق أختين من أم واحدة (٢) وهكذا .. أعطى الامام من « السذاجة » ما يرغب فيه المبشرون !!

وقفسة :

ولسنا نحاسب «الامام» بعد ذلك على انضمامه للمحفل الماسونى الفرنسى فنحسب أنه فى ذلك التاريخ لم يكن من الناس كثير يدرك حقيقة الماسونية ، وحقيقة الدور الذى تلعبه ، ولم يكن .. نيلوس .. قد نشر « بروتوكولات حكماء صهيون » التى صرحت باستخدام الماسونية لتحقيق أهداف اليهود ، وان أدرك نشرها فى روسيا فربما لم يدرك نشرها فى انجلترا .. ولم تكن بالقطع قد ترجمت الى اللغة العربية .. لأن هذه الترجمة لم تتم الا بعد ذلك بكثير ..

لا نحاسب الرجل على هذه النقطة .. خاصة وأن الماسونية لا تكشف عن حقيقتها لأعضائها الا فى درجة سحيقة من درجاتها الثلاثة والثلاثين .

(١) للمبتشئ الانجليزى جى ديلو اينتر — بجريدة الديلى تلغراف اللندنية فى ٢ شباط ١٨٨٨ وراجع تعليقا على ذلك للاستاذ غازى التوبة — الفكر الاسلامى المعاصر — دراسة وقفوسيم .

ولا نحسب الرجل أشد حذرا من رئيس عربي .. ظل ينتسب لمحفل ماسونى حتى بعد أن صار « زعيم ثورة » و « رئيس دولة » .. فلمسا فاحت .. أمر بحل كل المحافل الماسونية في بلده !

وأما الذى نأخذه على الرجل العالم :

أولا : اقتصره من الاسلام على الاصلاح عن طريق التعليم فالاسلام — كما سنشير — ليس مجرد ثقافة فقط لكنه منهاج تربية ، ومنهاج حياة وليته في هذا الجانب استطاع أن يصلح !!

ثانيا : ان الرجل وهو في موضع القدوة للمسلمين مالا « الكافرين » الذين غصبوا الديار وما بعد الديار !

وانكار القلب ان كنا نكتفى به من الشيخ الامام .. يفرض مع الانكار « الاعتزال » والا .. فقد السلامة من الاثم والبراءة من الذنب . فليس وراء ذلك النوع من الانكار حبة خردل من الايمان .

ولا ندرى .. هل كان الامام يحفظ .

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالموودة ، وقد كفروا بما جاءكم من الحق ، يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، أن كنتم خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى ، تسرون اليهم بالموودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ، ومن يفعل منكم فقد ضل سواء السبيل .. »

ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ، ويبسطوا أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون « .. »

وهل قرأ غيرها من الآيات في نفس المعنى أم أن له فيه تأويلا كتأويله في الملائكة أو في سجودهم أو في معصية آدم أو في خلق عيسى عليه السلام أو في الجن ، أو في السحر .. أو غير ذلك مما أعمل فيه عقله (الكبير) .. ليقول « بالرأى في كتاب الله ؟ !! » .

لقد مضى الرجل الى ربه فنترك له حساب سره وعلايته .

لكننا ازاء الظاهر .

وعمره الذى أفنى فى محاولة اصلاح التعليم .. بلوغا الى مقاومة
الاستعمار أو الى النهوض بالاسلام .. لا نملك الا أن نتلو قول الله :

« قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا :

الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا

وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا^(١) !

ونترك من قبل ذلك .. ومن بعد ذلك حسابه على الله .. لكننا
نسوق ما نسوق ليعتبر أولوا الأبصار .. ويتذكروا أولوا الألباب ..

فلا تتكرر الصورة مرة أخرى .. !

(١) الكهف « ١٠٣ » و « ١٠٤ » .

الفصل الثاني محاولة لخط إسلامي أصيل

المبحث الأول ضلال وقصور

أولا : ضلال الاتجاهات الدخيلة :

لقد نقل « البعض » عن الغرب .. علمانية .. في التعليم والاعلام
وفي القانون ..

ونقلوا منه « تحرير المرأة » من بيتها ومن زيتها ..

ونقلوا عنه اضعاف دور الدين و اضعاف رجاله ..

وظنوا ذلك طريق المدنية والتحضر والنهضة *

فهل تحقق لهم ذلك .. ؟

ان المنطق أولا يرفض ذلك النقل « الآلى » *

ان شخصين قد يمرضان بمرض واحد .. ومع ذلك يعرضان على
طبيب واحد .. فيقضى لكل مريض منهم بدواء مختلف عن الآخر *

وان نباتا واحدا .. قد يزرع في أرضين .. كلاهما خصبة .. فتنتبت
الواحدة وترفض الأخرى وان شخصين .. في سن واحدة .. ودرجة
ثقافة واحدة .. قد يلقنان علما أو عقيدة فيورث أحدهما جهلا والآخر
علما .. ويورث أحدهما ايمانا والآخر كفرا 11

ان الشعوب تماما كالأشخاص .. لأنها مجموعة أشخاص ..

ما يطب شعبا .. قد يمرض شعبا آخر *

وما يعلم شعبا .. قد يورث الآخر جهلا *

وما يدفع شعبا الى الايمان .. قد يدفع الآخر الى الكفر والفسوق والعصيان !

بل ان النبات ليأخذ بالاختيار فيتخير من عناصر التربة ما يصلح له .

فما يختاره النخيل قد لا يختاره شجر البرتقال .. وهكذا ..

فهل يؤتى النبات « فطرة » الاختيار .. ويفقد الانسان الذى أوتى الارادة قدرة الاختيار ؟؟

ثم ان « الاصاله » ترفض ذلك النقل .

فالشعوب الأصيلة تستمسك بما لديها من « تراث » .. باعتباره أحد عناصر استقلالها ..

بل أهم عناصره .. وهى — حتى تحت الهزيمة قد تستمسك به ..

ولدينا مثل من الأمة الاسلاميه الاولى .

حين غلبت على أمرها أمام زحف التتار .. رفضت أن تأخذ بالياسق الذى وضعه الغالبون جزءا من شريعة جنكيزخان .. وجزءا من شريعة الاسلام وأجزاء من شرائع أخرى ..

ومثل من الأمة الألمانية .. والأمة اليابانية .. لم يفقدا برغم المهزيمة المرة العناصر المميزة لشعوبهما . ولم يذهبا الى نقل كل وارد من غير تمحيص .. وها هى الامتان .. تعودان أقوى مما كانتا .. نعودان لتقرضا أغنى دول العالم ، ولتنشرا على مستوى العالم كله منتجاتهما !!

والاسلام بعد ذلك يرفض ذلك النقل الأعمى .

لأنه هو الأعلى .. والأعلى لا يمد اليد لمسا هو أدنى .

لأنه الطيب .. والطيب لا يستبدل به الخبيث .

لأن عنده ما ينفع الناس .. ولا يستبدل بما ينفع الناس الزبد أو الغشاء .

ولا يتوسع المجال لندلل من النقل والعقل •

أن الاسلام هو الأعلى

وهو الطيب

وأن عنده ما ينفع الناس •

فنحسب أنه لا ينكر على الاسلام ذلك •• الا معاند •• أو جاهل ••
وفي الاعراض عن كليهما •• خير •• أى خير ••

والماركسية في منهجها الأخير تحاول أن تقيم صلحا بينها وبين
الاسلام ، والكفر والايمان لا يصطلحان •• والشر والخير •

لا يتقاربان ••

ولا يجتمعان ••

ومن ثم كانت دعوة مرفوضة •• غير مشكورة ••

ولتبحث لها عن دين آخر ••

يقبل الصلح أو التقارب أو الاجتماع •

فلقد شب أبناء الاسلام عن طوقهم •• ولم يعودوا يقبلون ذلك
« التغفيل » أو « التضليل » •• والماركسية بتراجعاتها الكثيرة في مجال
النظرية :

في التفسير الماسدى للتاريخ

وفي مفهوم المادة ذاته •

وتراجعاتها الأكثر في مجال التطبيق العملى :

بعد عدولها الجزئى عن إلغاء الملكية •

وبعدولها المرحلى عن إلغاء الأسرة •

وبعدول بعض أجزاءها الأوربية عن مبدأ دكتاتورية البروليتاريا •

وبعدولها المرحلى « التكتيكى » عن الهجوم على الدين •

وبأخذها عن « الرأسمالية » نظرة الحوافز •

وبمهادنتها للنظم الرجعية •• بل اعلانها الوفاق مع بعضها ••

كل ذلك ..

لم يعد معه من المقبول — علما ومنطقا — أن نقول بوجود « النظرية الماركسية » .

وأخيرا ..

فماذا فعلت الماركسية .. حين أعطيت لها « القيادة » في بعض البلاد الإسلامية هل حققت تقدما اقتصاديا ..

الواقع الأليم يحكم على الاشتراكية والاشتراكيين .. بالخراب .. كل الخراب .. هل حققت تقدما سياسيا ..

في ظل توجيهاتها العليا كانت أكبر محنة للشعب المسلم في المنطقة .. حين استذلته واستعمرت أرضه .. أذل أمة في الوجود .. هل حققت تقدما اجتماعيا ..

ليس .. سوى التمزق بين أبناء البلد الواحد ، بل بين أبناء الأسرة الواحدة .. من اتهامات باليمينية ، والامبريالية ..

وغيرها من الألفاظ والمصطلحات الرنانة ..

ثانيا — قصور بعض الاتجاهات الإسلامية :

ماذا فعلت بنا الاتجاهات الإسلامية التي عرضنا لها : من اقتصار على العقيدة الى اقتصار على النسك ، الى اقتصار على محاولة اصلاح التعليم ؟ ؟

كلها .. باقتصارها على جانب واحد أشبه .. بجيش جرار .. معه سلاحه وذخيرته لكنه يقف مكانه يحرك رجله ..

وليس له ثمة تقدم يذكر .

أنه يسير مكانه .. والعالم كله يسير الى الامام .

أو هي من ناحية أخرى .

تقيم جزءا من البناء .. وتهمل الباقي .

فما يتكون البناء المتكامل الذى يشد بعضه بعضا •
وما يكون نصيب الجزء الذى بنى الا أن تعشش فيه الغربان ••
وتأوى اليه الحشرات ••
فلا يلبث أن يبدو بعد حين كريها لكل ناظر ••
والاسلام أعز من ذلك وأكرم ••
اذن فأين الطريق ؟ ؟

المبحث الثمانى

ابن الطريق

من ابتغى نباتا طيبا .. فلا بد له من أمرين رئيسيين :
• تربة طيبة • وبذرة طيبة • والباقى عوامل مساعدة •
• والتربة الطيبة فى رأينا هى الانسان كله •
• والبذرة الطيبة — فى رأينا — هى شريعة الله كلها •
فاذا أحسن زرع البذرة الطيبة فى الأرض الطيبة • كان نبات
طيب ••

كانت حضارة ونهضة يسعدان الانسان ويسعدان العالم كله •
ونتحدث عن كل عنصر بما يسمح به المقام •

أولا : الانسان كله

أشرنا من قبل الى أنه اذا كانت حضارات القرن العشرين أو
بالأصح جاهلياته قد لجأت الى الآلة والى المصنع •• وجعلت الانسان
فى الدرجة الثانية •

فان حضارة الاسلام •• تجعل الانسان فى الدرجة الأولى ••
صانعا لها •• ثم هدفاً لها •• والانسان بلا شك — هو أكرم المخلوقات
فى هذا الوجود •

ومن ثم كانت حضارة الاسلام باعتبار الانسان صانعا لها ثم هدفا
لها •• أكرم حضارة فى الوجود وقضية تكريم الانسان وتفضيله على
غيره من المخلوقات قد تبدو قضية بديهية ، بالنسبة لعصرنا لكنه قد أتى
حين من الدهر لم يكن فيه الانسان شيئا مذكورا ••

حتى لقد استعبد فى فترة وخضع للبيع والشراء فى سوق
النفاسة •

واستعبدت المرأة في فترة وكان ينظر اليها على أنها متاع .. كسائر المتاع في البيت .. وكانت تورث من بين ما يورث من الأشياء .

ولا تزال المرأة في حضارات كثيرة مستعبدة وأن علقوا على رأسها لافتة الحرية .. لا تزال تباع وتشتري في سوق الرقيق الأبيض ، ولا تزال تعرض سلعة رخيصة في كثير من الأماكن تباع النظرة وتبيع البسمة .. وتبيع ما وراء ذلك بالدرهم والدولار !!

وفي زمن نظر الناس الى الملائكة على أنهم الجنس الأكرم .
ونظر آخرون الى الجن .

وجاءت كلمة الاسلام قاطعة .. « ولقد كرّمنا بنى آدم ، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » .

وقصة سجود الملائكة لآدم التي حكاهما القرآن .. ليست للتسلي ولا للتلهي « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب .. ما كان حديثاً يفترى » (١) .

لكن البعض قال فيها بغير علم ، وتناول صريح ألفاظها ودلالاتها ، بما يخرجها عن معناها وهدفها ..

« واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » (٢) .

وتكررت في أماكن أخرى بألفاظ أخرى لكنها كلها من الوضوح بما لا يصرفها عن معناها الظاهر الى معنى خفى أو ملتو .. الله أمر الملائكة بالسجود لآدم .. والملائكة كلهم سجدوا .. الا ابليس .. أبى واستكبر وكان من الكافرين .

وسجود الملائكة على هذا النحو .. فعل حدث وتم .. وهو يعنى التكريم الذى أشارت اليه آيات أخرى .. بل هو أبلغ درجات التكريم .. وتكريم الاسلام لآدم وبنيه .. ينصرف بلا شك الى الجنسین الذكر والأنثى .. وهذا التكريم يقتضى صيانة « الانسان » .. ولذا كانت صيانة « دمه » و « عرضه » و « ماله » .. بل يبلغ التكريم والصون

(١) يوسف ١١١ .

(٢) البقرة ٣٤ .

غايته ومنتهاه حين يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ناظرا لبيت الله المحرم الذى زاده الله تشريفا وتكريما « ما أعظمك » و « أعظم حرمتك » .. لحرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة بيته المحرم .. حضارة القرن العشرين شهدت على أيدي بعض أدعيائها ممن جعلوا حرمة المؤمن دون حرمة الكلاب .. فاهدروا جسده ، ودمه ، وماله ، وعرضه .. وحرموه من أدنى الحقوق بل أدنى الضرورات .. حرموه أن يقضى حاجته ، وحرموه أن يسد رمقه !! قد يقال .. وكل حضارات الدنيا لم تقم ولا يمكن أن تقوم بغير الانسان .

ونقول .. ولكنها لا تجعله من الدرجة الأولى .

ولا تنتظر اليه نظرة الاسلام .. كلا لا يتجزأ .. أشرف ما فيه قلبه ..

الانسان كله :

في هذا تفترق حضارة الاسلام عن سائر الحضارات .. انها لا تنتظر للانسان كجسد .. وحسب .. كما تفعل الحضارة المادية شرقية وغربية نزوعا الى ذلك المستوى الهابط الذى صور به فرويد الانسان مجموعة غرائز تتحرك .. أو نزوعا الى ذلك الأصل الهابط الذى تدرج به دارون الى أن يجعل أصل الانسان قردا أو ما وراء ذلك ..

حضارة الاسلام .. لا تغفل واقع الانسان أنه جسد ..

لكنها لا تغفل الجانب الآخر من الواقع .. ان له روحا ..
ان له عقلا .. وقلبا ..

وهي تبدأ مع الانسان .. وفي هذا تفترق — عن سائر الحضارات من أعز مكان فيه وأشرفه .. من قلبه .. فتودع فيه العقيدة والايمان .. وبهذا تكون نقطة التحول للانسان .

بهذا يبدأ الانسان معراجه .. الى حضارة المثل والقيم والأخلاق .. ولا تغفل بعد ذلك بقية القوى فيه ..

ان لربك عليك حقا

وان لبدنك عليك حقا

وان لزوجك عليك حقا

فما عطف كل ذي حق حقه

ويتحقق في الانسان « المسلم » التوازن المفقود عند غيره ..
فلا الجسد ولا حاجاته يطغى فينقلب الانسان الى حيوان تسيره
غرائزه ..

ولا العقل ومنطلقاته يطغى فينقلب الانسان الى خيال بعيد عن
الواقع والحياة .

ولا القلب وأشواقه يطغى فينقلب الانسان الى راهب ينقطع
عن الدنيا وما فيها .. وانما كل يسير بقدر .. كما أن كلا خلق بقدر .
كل يسير في فلكه المرسوم .. كما تسير الكواكب في فلكها المرسوم .
« لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار
وكل في فلك يسبحون » (١) .

أما القدر الذي يسير قوى الانسان
وأما الفلك المرسوم الذي يسير فيه
فهو هذه الشريعة التي أنزلها الله له
وفيها هذا النظام الرائع المحبوك .. الذي لا يقل روعة عن نظام
هذا الكون المتناسق الغريب ..

وحين تختل القوى أو تطغى .. ففى توجيهات هذه الشريعة وأوامرها
ونواهيها .. ما يرد الأمر الى توازنه .. ليعود كل يسير بقدر .. وليعود
كل الى فلكه المرسوم بغير طغيان ولا خسران .. بغير افراط ولا تفريط .

ثانيا : الشريعة كلها

الانسان هو التربة الطيبة
والشريعة هى البذرة الطيبة
ومنهما .. يكون النبات الطيب باذن ربه ..
ومنهما .. تكون حضارة المثل والقيم والأخلاق ..

(١) يس ٤٠ .

ومحاولات النهضة الاسلامية السابقة .. لم تؤت ثمارها المرجوة .
اما لأنها اقتصرت على جانب في الانسان تقيمه وتركه ، وأهملت
بقية الجوانب .

وكما قدمنا .. فالانسان كل لا يتجزأ .. ومخاطبة جانب فيه يخل
بالتوازن الذي أودعه الله في هذا الانسان .. كما أودع التوازن في
الكون كله ..

« والسماء رفعها ووضع الميزان .. الا تطغوا في الميزان ، وأقيموا
الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان^(١) » .

وبالنسبة للشريعة فالذين اقتصروا على العقيدة كما قدمنا اقتصروا
على أساس وتركوا بقية البناء .

والذين اقتصروا على الفسك .. اقتصروا على أعمدة وتركوا بقية
البناء .

والذين اقتصروا على التعليم .. أخذوا جانباً وتركوا بقية الجوانب .
وشريعة الله بناء متكامل يشد بعضه بعضاً .

أساسه : عقيدة

وأخلاق

وعمده : شعائر ونسك

وبقية أركانه وجوانبه : أوامر ونواه وتوجيهات تشمل جميع
الحياة .

ونشير في ايجاز لهذه الجوانب .. ثم نشير الى أنها لا تقبل التجزئة
ولا التفرقة ثم نختم بحثنا بتساؤل ..

كيف نقيم بناء الشريعة في النفس وفي الناس ؟؟

هذا ما نجيب عليه بمشيئة الله في الفصل الثالث تحت عنوان جوانب
شريعة الله .

(١) الرحمن ٧ - ٩ .

الفصل الثالث

جوانب شريعة الله

- كان من نتائج ابعاد شريعة الله عن حياة المسلمين، وابعادهم عنها ••
- ان اختلفت نظرة الكثيرين اليها •• حتى المخلصين الراغبين اليها ••
- وكان كل من قبس منها قبسا ••• ظن ذلك هو الاسلام أو ذلك هو الشريعة ••• فراح يعكف عليه وحده •• ويدعو اليه وحده ••
- بيد أن شريعة الله كل لا يتجزأ ••• قد نقبس منها قبسا •• لكننا لا نقف عنده • بل نحاول أن نحيط بالنور كله •• ليكون فيه الخير كله ••
- ولسوف نرى فيما بعد ان شاء الله ••• أن تجزئة شريعة الله •• قد تكون فتنة تماما كمنعها كلها ••• بل ربما أشد •••
- من هنا كانت أهمية محاولة الاحاطة بجوانب هذه الشريعة •
- وأولى هذه الجوانب وأشرفها هو العقيدة •
- وثانيها المكمل لها •• هو الأخلاق •
- ومن هذين يصطبغ المسلم بصبغة الايمان •••
- لكن لابد من عقله وتنمية هذا الايمان بالشعائر والنسك •
- ثم باتباع سائر أوامر الله في سائر جوانب الحياة •
- ونشير لكل جانب بكلمة :

المبحث الأول

العقيدة والأخلاق والشعائر

أولا - جانب العقيدة :

العقيدة أشرف جوانب الشريعة •

ولذا كانت تخاطب أشرف جزء في الانسان •• تخاطب قلبه •
وبقيامها في قلوب الناس ••• يقوم أساس هذه الشريعة متينا
قويا •

« ألهمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير : أمن أسس
بنيانه على شفا جرف هار » (١) ••

وقد أشرنا - في معرض الحديث عن الاتجاهات القاصرة - الى
أن عقيدة الاسلام متمثلة في الكلمة الطيبة : لا اله الا الله •
وهي بهذا كما أشرنا تتضمن نفيا ثم اثباتا •

نفيا يقتضى اسقاط كل صفات الألوهية والربوبية عن سوى الله
سبحانه وتعالى •• من طواغيت بشرا كانت أو حجرا •••

ولا نحسب الانسانية - بعد أن ثبتت عن طفولتها - تترد مرة
أخرى الى جاهليتها الأولى لتعطى بعض صفات الألوهية أو الربوبية
لوثن أو صنم ••

لكنها لا تزال - حتى اليوم - تتردى في اعطاء بعض هذه الصفات
للبشر •

فتعترف لهم بحق وضع « منهاج الحياة » •

كما اعترف الماركسيون بهذا الحق للماركس ومن جاء بعده •

(١) التوبة ١٠٩ •

ليفسروا لهم الكون ، والتاريخ ، والاقتصاد ... ويضعوا لهم منهج السياسة والاجتماع والاقتصاد .

وكما اعترف غيرهم بهذا الحق لبشر مثلهم .. يشرعون لهم «قيمهم» و « مثلهم » .

وقواعد مجتمعاتهم وسائر جوانب حياتهم .

وتردت من ورائهم الأمم الاسلامية .. تأخذ عن هؤلاء .. القيم والمثل والأخلاق والسلوك وسائر مناهج التعامل بين الناس وفي مقدمتها القوانين ...

ونسيت هذه الأمم انها بهذا تتخذ أربابا من دون الله تعطيها بعض صفات الله وبعض حقوقه تزعم انها آمنت بالله .. وهى تتحاكم الى هذه الطواغيت : من قيم ومبادئ وقواعد وتشريعات وإيمانها يقتضى أولا اسقاط هذه الطواغيت .

عقيدتها تقتضى أولا اسقاط هذا الحق .. عن تلك الطواغيت ... وإثباتا : يقتضى الاقرار بكل صفات الربوبية والألوهية لله وحده .

وبذا تقوم عقيدة الاسلام واضحة قوية فى قلوب المسلمين ... يقوم الأساس متينا .. ليصح من بعده ومن فوقه بقية البناء ...

ثانيا - جانب الأخلاق :

وهذا جانب يغفل عنه الكثير ... من المصلحين ومن الدعاة ... مع أنه فى ميزان الاسلام .. يقف الى جانب العقيدة ... ليقيم الأساس .

وكيف لا .. والرسول يجعلها غاية لابتعائه « انما بعثت لاثمم مكارم الأخلاق » (١)

وكيف لا .. وقد ظل الرسول صلى الله عليه وسلم يربى المسلمين عليها مع العقيدة أكثر من نصف حياته « الرسالية » .

(١) رواه مالك .

وكيف لا .. وبها انتشرت دعوة الاسلام في أكثر من نصف الأرض
التي فتحها الله على المسلمين .. لما رأى الناس من أخلاق تجار
المسلمين في معاملاتهم ..

وكيف لا .. وبها يصير المسلمون « مثلاً » تتحرك و « قيما »
تسعى على الأرض ويسعى نورها بين أيديها وبأيمانها ؟؟

وكيف لا .. وقد كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن ، وكان بهذا الخلق أشرف من خلق « وانك لعلى خلق
عظيم »^(١) .. « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته،
ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال
مبين »^(٢) .

وأمرنا أن نقفدى بهذا الرسول فى خلقه العظيم .
« لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم
الآخر .

وذكر الله كثيرا^(٣) » .

ولئن اختلفت مذاهب العالم فى الأخلاق واختلفت فيها اهتماماتهم .
فان السمة الواضحة فى هذه المذاهب وتلك الاهتمامات انهم
لا يضعونها فى المنزلة التى يضعها الاسلام .. أساسا مع العقيدة
للبناء كله .

ثم هى عندهم ليست نابعة عن عقيدة ولا متصلة بعبادة .
بينما هى فى الاسلام كذلك .

فأما نبعها من العقيدة .. فهناك أمثلة منها ..

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه^(٤) » .

« والله لا يؤمن (ثلاثا) قيل من يا رسول الله — قال — من
لا يأمن جاره بوائقه »^(٥) .

(١) العظم ٤ .

(٢) الجمعة ٢ .

(٣) الاحزاب ٢١ .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه البخارى .

« لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ... »
« انما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق »

• « والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل »
• ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب »
• « والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ... » (١)
• وأما اتصالها بالعبادة •
• فان اثباتها نفسه والاستمسك بها عبادة •
اسمع ان شئت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الرجل ليلبغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم » (٢) •
أقربكم منى منازل يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون
أكنافا ...

• ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن (٣) » •
ثم انها بعد ذلك تركو بالعبادة وتربو •
فالصلاة من بين غايتها تنمية النظام ، والطاعة ، والطهر والنظافة
والعفة ... (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (٤)) « لو ان بباب
أحدكم نهرا يغتسل منه في اليوم خمس مرات أبقى من درنه
شيء ... » (٥) •

وأداؤها في جماعة ينمى روح التعاون والتراحم والود والألفة
• • فيتحقق قول الرسول صلى الله عليه وسلم «مثل المؤمنين في توادهم
وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد • • اذا اشتكى منه عضو تداعى
له سائر الجسد بالسهر والحمى • • » (٦) •

(١) الرعد ٢٠ - ٢٢ •
(٢) رواه أبو داود •
(٣) رواه أحمد •
(٤) العنكبوت ٤٥ •
(٥) العنكبوت ٤٥ •
(٦) رواه الإمام أحمد ومسلم •

والصيام .. يزكى خلق الصبر ، والاحتمال ، والاحساس بالفقير
والعطف عليه .

وينمى فى الوقت نفسه مراقبة الله فى السر كمراقبته فى العلانية .
مما يولد التقوى (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ..) (١) .

والزكاة .. تطهير للنفس من شحها .

وتطهير للمجتمع من الأحقاد .

وتركية لآخوة الاسلام والمحبة فى الله بين الغنى والفقر .

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان
صلاتك سكن لهم .. » (٢) .

وهى .. حق فى مال الغنى ، وليست مجرد احسان ، ومن ثم ينتفى
فيها ما قد يجرح الفقير .. « والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل
والمحروم » (٣) .

وفى المال — بعد ذلك — حق سوى الزكاة ..

والحج .. فيه .. صبر .

وتطهر .. من الرفت والفسوق والجدال .

وفيه تنمية لروابط الآخوة بين المسلمين .

وتركية للوحدة .. على .. الله الواحد .

والقبلة الواحدة .

والغاية الواحدة .

« الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج ، فلا رفث
ولا فسوق ، ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا
فإن خير الزاد التقوى .. » (٤) .

(١) البقرة ١٨٣ .

(٢) التوبة ١٠٣ .

(٣) الماعز ٢٤ . و ٢٥ .

(٤) البقرة ١٩٧ .

- وهكذا .. وهذه مجرد نماذج •
- وأخلاق الاسلام بعد ذلك فيها الثبات •
- فهي لا تتغير بتغير الأزمنة •
- ولا تتأثر بالظروف ولا المصالح •
- وهي ترتفع بالمسلم الى مستوى من « المثل » لا تدانيه أية قيم أرضية أخرى •
- ومن هنا وجب أن يربى عليها المسلمون ، كما يربون على تقوى الله سواء بسواء ...

ثالثا — جانب الشعائر :

- العقيدة والأخلاق أساس •
- ويأتى بعد الأساس : العمد •
- والشعائر هي العمد •
- من هنا .. كانت صلتها وثيقة بالعقيدة وبالأخلاق •
- فهي كذلك استمداد من العقيدة •
- « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » (١) •
- ثم ان العقيدة تربو بالشعائر وتزكو •
- ومن هنا كان قول السلف .. الايمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي •
- وبينها وبين الأخلاق تأثير متبادل •
- فحسن أدائها .. تزكو به الأخلاق وتربو — على نحو ما أشرنا •
- كذلك الأخلاق تؤدى الى حسن أدائها •
- فمن كان ذا وفاء .. فهو مع الله أوفى •
- ومن كان ذا صدق .. فهو مع الله أصدق •
- ومن كان ذا أمانة .. حفظ أمانة الله أول ما يحفظ •
- وهكذا ..

(١) الحج ٣٢ •

المبحث الثانى

بقية الجوانب

وهى ما تعالج بعد العقيدة والأخلاق والشعائر .. جوانب الحياة توجيهها وتشريعاً ابتداء من الفرد ثم الأسرة ثم المجتمع .. وفى المجتمع كل نواحيه سياسية واقتصادية واجتماعية ولئن فصل الاسلام فى ثبات ووضوح جوانب العقيدة والأخلاق والشعائر فانه فى بقية الجوانب فصل ما لا يتغير .

وأجل ما يتغير .

فمن أمثلة ما لا يتغير .. جوهر الانسان وما يتصل به من زواج وطلاق وميراث .. فقد فصل كل ذلك تفصيلاً وافياً .. يعترف فيه بالواقع ثم يعرج بعد ذلك الى معراج المثل والقيم التى يحرص عليها وما يثيرونه حول هذه القضايا انما هى شبهات .. يثيرها جهل بالاسلام . أو حقد عليه .. وليس هنا مكان العرض لها ..

ومن أمثلة ما يتغير : الظروف السياسية والاقتصادية .

ولذا رسم الاسلام فيها الخطوط الرئيسية .

وليس معنى ذلك — كما يتفوه البعض — ان ليس للاسلام نظام سياسى أو نظام اقتصادى فان الاسلام يرسى المبادئ والاطار العام .

ويضع الخصائص العامة المميزة لهذا النظام الربانى .

ثم يدع لاجتهاد الانسان تبعاً لتغير الظروف تفصيل بقية الأحكام .

ولنأخذ النظام الاقتصادى والنظام السياسى كمثليْن نؤيد بهما قولنا السابق ، ونرد بهما رداً عملياً على أولئك الذين يستوردون لنا النظم السياسية الاقتصادية بمقولة ان الاسلام لا يتضمنهما .

النظام الاقتصادي الاسلامى

قد يحتاج النظام الاقتصادى الاسلامى الى حديث طويل * وقد يحتاج الى مقارنة مع أنظمة متعددة شرقية وغربية ** ليس من قبيل مقارنة المثل بالمثل ** ولكن قريبا من مقارنة الظلام والنور ، والظل والحرور ** وبضدها تتميز الأشياء لكن حسبنا فى هذا المقام أن نرسم الخطوط العريضة ** لندع للدراسة الواسعة المتأنيبة التفصيل بمشيئة الله *

ويكتفى بالحديث عن أمرين :

- ١ — خصائص النظام الاسلامى الاقتصادى *
 - ٢ — الخطوط الرئيسية للنظام الاقتصادى الاسلامى *
- وان كان الفصل بين الأمرين ** مجرد فصل نظرى **

أولا : خصائص النظام الاقتصادي الاسلامى

١ — نظام ربانى

بمعنى أن مصدره هو الله سبحانه بما جاء فى كتابه أو فى سنة رسوله *

أو ما أجمع عليه العلماء المسلمون *

أو ما كان سابقة ناجحة فى نظام الحكم الاسلامى ** لأنها مستقاة أولا من معين ربانى ، ولأنها ثانيا ** اجتهاد صحابة أو تابعين لهم باحسان ** يغنى عنها اجتهادنا لو بلغنا الى أفضل مما بلغوه !

وربانية النظام تجعل له سحرا آخر *

أولا : انه يستثير فى النفس وازعا لحفظه وحمايته أقوى من كل وازع * فلا تحتاج الى كثير من الأجهزة الثقيلة المعقدة التى أثقلت بها كواهل الشعوب ، وأثقلت بها ميزانيات الدول ، وثقلت بها صدور الناس !

ومن هنا ندرك الفارق بين حصيلة الزكاة على عهد عمر بن عبد العزيز

التي وفّت كل المحتاجين من الفقراء والمساكين ، ثم العاملين عليها ،
ثم بقية المصارف الأخرى حتى بلغت الى الغارمين ، فسددت الدولة عن
المدينين ديونهم •

ندرك الفارق بين مثل هذه الحصيللة ومجموع حصيللة الضرائب كلها
المتعددة التي لا تكاد تسد مصرفا واحدا من هذه المصارف !

ثانيا : تجعل احترامه والخضوع له من المحكوم ومن الحاكم على
السواء لأنه من مصدر فوق هذا وذاك وأعلى وأسمى •

ثالثا : يتحقق التكامل بين النظام الاقتصادي والنظام الاجتماعي
والنظام السياسي لأن الكل من مصدر واحد • • والتجزئة بينها غير
جائزة !

٢ - انتفاء الندرة

مشكلة المشاكل في النظم الاقتصادية المعاصرة هو ما يتناولونه تحت
عنوان الندرة ويقصدون به قلة الموارد بالنظر الى تزايد الناس أو
ما يصطلحون عليه بالانفجار السكاني •

وهذه المشكلة • • لا وزن لها بل لا وجود لها في النظام الاسلامي •

أولا : لأن هذا النظام تقوم عقيدة أصحابه على « ان الله هو
الرزاق ذو القوة المتين^(١) » ، وعلى أنه « وما من دابة في الأرض الا على
الله رزقها »^(٢) • • وعلى أن الله قسم الرزق كما قسم الأجل ، وان الرزق
ليطلب المرء كما يطلبه أجله •

ومن ثم فلا يمكن أن يأتى وقت أو يوجد مكان تحقق فيه الندرة اللهم
الا أن يكون الأمر عقابا من عند الله « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين
ونقص من الثمرات^(٣) » • وكلما أقبلت الأمة على الله • • كلما زاد لها
في رزقها •

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء
والأرض »^(٤) •

(١) الذاريات ٥٨ •

(٢) هود ٦ •

(٣) الانصاف ١٢٠ •

(٤) الامران ٩٦ •

« استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ،
ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا » (١) .

أصف اليها بعد ذلك قول الحكيم الخبير « وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها » (٢) . فنعمة الله ليست نادرة بل هي أعظم من أن تحصى .

ثانيا : من ناحية الواقع

فان واقع الأمة الاسلامية يؤكد أمرا هاما .. انها ان عادت أمة
واحدة ، وعادت الى ربها فلا يمكن أن نتحقق فيها ندرة أبدا ..

— ان المنطقة الاسلامية أخصب بقاع الأرض زراعيًا ..

— وأغنى بلاد الأرض بالمواد الأولية ، وفي مقدمتها أنفسها ،
الذهب واليورانيوم والبتروول .

— وهي أوسط بلاد العالم موقعا .. تجاريا واستراتيجيا . اذ
تشرف على منافذ البحار والمحيطات ويمكن لها أن تتحكم فيها ، وهي من
ناحية أخرى تقع في مكان وسط بين قارات العالم . وهي من ناحية ثالثة
أكثر البلاد اعتدالا وصلاحية لكل أنواع الانتاج .

ومن ثم فان صح أن توجد الندرة في الشرق أو في الغرب بذنوب
أهله وعصيانهم ، وبافتقار المكان الذي حبا الله به أمة محمد عليه الصلاة
والسلام .

— فانه لا يصح بالنسبة للأمة الاسلامية اذا عادت مرة أخرى أمة
الاسلام ؟

٣ — ابتفاء الآخرة .

وقد كان يصح أن تكون هذه هي الخصيصة الثانية .. لكننا فضلنا
أن نشير الى الربانية ثم الى الندرة .. باعتبار الأولى صبغة هامة عامة
وباعتبار أهمية الثانية عند أهل العصر ومخالفة الاسلام لها ..

(١) نوح ١٠ — ١٢ .
(٢) ابراهيم ٢٤ .

أما ابتغاء الآخرة فهي خصيصة هامة .. وتأخيرها لا يقلل من أهميتها .

وابتغاء الآخرة يخفف كثيرا من غلواء الأنظمة القائمة التي تتعامل وكأنه ليس في الحياة إلا المادة .

وكان ليس بعد الدنيا آخرة .. يحاسب فيها المرء « فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى .. وأما من خاف مقام ربه ، ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى »^(١) .

الدنيا .. إنما تصير الدنيا .. وسيلة لا غاية ، مرتقى وليست منتهى ، طريقا الى هدف وليست هدفا في ذاتها : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة »

ولا تنس نصيبك من الدنيا

وأحسن كما أحسن الله اليك

ولا تبغ الفساد في الأرض ان الله لا يحب
المفسدين .. »^(٢) .

وهكذا يتضح .. وضع الاقتصاد ..

ان الاهتمام به واجب

لكنه لا يلهي عن الآخرة

لأنه نفسه طريق الى الآخرة

واذا ابتغى الانسان الآخرة في اقتصاده .. فردا كان أو دولة
وسار على الطريق الذي رسمه الاسلام .

فانه بلا شك يؤدي عبادة من أجل العبادات .. لأن العبادة ليست
قاصرة على النفس والتعب .. إنما تشمل كل أنشطة الحياة وكل
مجالاتها^(٣) .

(١) النازعات ٣٧ — ٤١ .

(٢) القصص ٧٧ .

(٣) راجع الايمان الحق — للدكتور على جريشة .

٤ - التوازن :

وهذه الخصائص المتقدمة تقضى الى ما يسمى بالتوازن الاقتصادى .
وقد كان ذلك يكفى لنقول أن النظام الاسلامى الاقتصادى يقوم
على التوازن :

لكن الاسلام أكد هذه الخاصية بأكثر من سبيل :

فجعل التوازن أمرا ملزما للفرد :

« ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ، ولا تبسطها كل البسط »^(١) .
وجعلها بعد ذلك صفة للجماعة لازمة :

« والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما »^(٢)

ثم جعلها أخيرا صفة للأمة التى أوصى عليها الخيرية فى مكان آخر :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيدا »^(٣) . وهكذا تكتمل حلقة التوازن .. أمرا ..
وتوجيها .. ومن قبل ذلك نتيجة لازمة لخصائص أخرى !

وبهذا ينفرد النظام الاقتصادى .. عن أنظمة كثيرة تعاني انعدام
التوازن !

٥ - النظام الاقتصادى الاسلامى يرفض الترف :

قد كان يكفى أن نقول انه متوازن ..

فهو يعنى أنه يرفض الاسراف ، والترف قمته !

لولا أن الله ينص على الترف ..

جعله تمرين الفسق .. أو جعل الفسق نتيجته .. وجعل الهلاك
والدمار عاقبته . « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا
فيها ، فحرق عليها القول فدمرناها تدميرا »^(٤) ومعنى الآية الكريمة

(١) الاسراء ٢٩ .
(٢) الفرقان ٦٧ .
(٣) البقرة ١٤٣ .
(٤) الاسراء ١٦ .

أمرنا مترفيها •• أن يرجعوا ويلتزموا •• لكنهم أبوا وفسقوا •• فكان الهلاك والدمار •

وفي القراءة الأخرى بتشديد الميم •• تعنى معنى آخر • انه اذا كان الأمر الى المترفين •• فسلام على الأمة •• انها لا بد هالكة ! لأنه اذا اجتمعت السلطة مع الترف •• فانها لا تنتج غير الفسق ، ولا ينتج الفسق الا الهلاك والدمار^(١) •

ولقد يكون الهلاك والدمار في صورة آية من آيات الله التي أهلك بها أمما من قبل قال فيها « وكأى من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا ، فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا »^(٢) •

كما قد يكون بتسليط أعداء الله عليها •• ليذيقوها ألوانا من العذاب والهوان والاذلال أو لتقلب من الرأسمالية الطاغية التي يتحكم فيها الترف والمترفون •• الى النقيض من ذلك الى جحيم الشيوعية التي يتحكم فيها السفلة والكافرون !

ان الشيء اذا زاد عن حده انقلب الى ضده !

الترف يؤدي الى ضرر اقتصادي هام • انه اذا شاع أدى الى زيادة الاستهلاك على الانتاج وأدى الى التضخم •• وما يترتب على ذلك من اختلال التوازن الاقتصادي ، وحدوث الأزمات الاقتصادية • وذلك كله فوق الأضرار الاجتماعية الخطيرة التي يؤدي اليها • وفوق الأضرار السياسية •• وفي مقدمتها تمكن الشيوعية الكافرة من بلاد المترفين !

وجماع هذه الأضرار أو نتيجتها هو ما أكده القرآن : الهلاك والدمار • فليحذر المترفون •
وليحذر الساكتون على المترفين •

(١) ورد الحديث عن الترف في آيات أخرى « بأن جعلت المكذبين من المترفين •• وما أرسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون سبا ٣٤ » وبعضها جمل المترفين من أهل النار « انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرخون على الحنث العظيم » الواقعة ٤٥ ، ٤٦ •
(٢) الطلاق ٨ ، ٩ •

ان الهلاك والدمار يقترب منهم ..
فوق هلاك ودمار أشد وأكبر .. انه الجحيم يوم القيامة !
وخير للمتربين أن يضحوا بشيء .. قبل أن يحرموا كل شيء ..
وخير لهم أن يملأوا أنصاف بطونهم .. قبل أن تملأها الزقوم
وشراب الجحيم .. (كالمهل يغلى في البطون كغلى الحميم)^(١) .

* * *

وحسبنا هذه الخصائص الخمس لننتقل الى الحديث عن الخطوط
العريضة للاقتصاد الاسلامي فانها اذا أزلنا الحاجز النظري كذلك
خصائص !

* * *

ثانيا : الخطوط الرئيسية للنظام الاقتصادي الاسلامي

تتبع هذه الخطوط من التوازن الاقتصادي .. وصيغ الأنشطة
الاقتصادية المختلفة بالصيغة الربانية *
ونكتفي بخطوط ثلاثة رئيسية :
١ — ملكية متوازنة *
٢ — حرية اقتصادية متوازنة *
٣ — نظام مصرفي متوازن *
ونتناولها باذن الله على التوالي *

١ — ملكية متوازنة :

تملك الانسان أمر فطري .. حتى عدها علماء النفس إحدى
غرائزه *

والغريزة في علم النفس لا تقتل ، ولكن يتسامى بها ..
ومن ثم فلا سبيل الى قتل حب التملك في النفوس *
والنظام الذي يفعل ذلك يقتل نفسه !

(١) الدخان ٤٥ ، ٤٦ .

ومن هنا كان الخطأ الرئيسى فى النظام الشيوعى النظرى ..
الذى لم يستطع حتى الآن أن يطبق نظريته تطبيقاً عملياً كاملاً ، وأن
انتحل التعلات والمعاذير !

لكن اطلاق العنان لهذه الغريزة شأن اطلاق العنان لأية غريزة
أخرى .. يهلك الانسان ويحطمه ، كما يهلك النظام كله ويحطمه .. ومن
هنا كان خطر الرأسمالية الطاغية .. التى تطلق العنان للملكية حتى تغدو
لونا من الاقطاع يسلب الناس ويستعبدهم ويأكل أو يشرب .. ثمرات
جهودهم ، وقطرات جبينهم بل ويمتد الى قطرات دمائهم !

ومن ثم كان خطأ الرأسمالية أو المذهب الفردى ..
وبين هذا وذاك كان نظام الاسلام قواماً ، وكان كذلك قواماً .
والأمر أوسع من أن نعرض له فى هذه العجالة .
ان الملكية فى الاسلام معترف بها ..

لأن ذلك يؤدى قدراً كبيراً من انجاح النظام الاقتصادى ..

فان سلب العامل ثمرات جهوده بحرمانه من التملك — يجعله
والخامل سواء .. ومن ثم يركن النشاط الاقتصادى الى الركود ..
ويضعف الانتاج .. ويتهدد البلد .. البطالة والمجاعة .. ومن بعدها
الانهيار والهلاك !

وروسيا الاشتراكية مثل قريب .. فان انتاج روسيا لم يزد طوال
خمسین عاماً من الحكم الشيوعى القائم على اضعاف الملكية الفردية
والمنادى بالغائها — لم يزد عما كان عليه فى العهد القيصرى أكثر من ٤٪
فقد كان انتاجها فى العهد القيصرى ٤٦٪ من الانتاج الأمريكى ، وصار
انتاجها فى العهد الشيوعى وبعد خمسین عاماً من حكمه ٥٠٪ من الانتاج
الأمريكى^(١) .

فهل تستحق الـ ٤٪ الزيادة .. كل هذا الفناء والافناء الذى أحدثته
الحكم الشيوعى العاشم ؟ !

وبلوغ الانتاج الروسى مثل الانتاج الأمريكى .. حلم قصرت دون

(١) مقومات الاقتصاد الإسلامى — للاستاذ عبد السميع المصرى — مكتبة وهبة —
ربيع الثانى ١٣٩٥ — مايو ١٩٧٥ .

تحقيقه برامجها الاقتصادية المختلفة وخططها الخمسية والعشرية رغم
الأماني التي كانت تداعب ساستها وقادتها .. وكانوا يدغدغون بها
عواطف الشعوب اللهي .. والجوعى .. التي شقيت بفردوس الشيوعية
الكاذب 1

لكن هذه الملكية المعترف بها للفرد في النظام الاسلامي .. ليست
طبيقاً من كل قيد بل ان كثيراً من القيود تحوطها مما يحقق انضباطها ،
وبما يحقق أداءها لرسالة في المجتمع يتحقق بها التوازن بين الفردية
والجماعية .

- وإذا فالملكية تؤدي وظيفتين .
- وظيفة فردية .. بما تحقق للفرد من اشباع ..
- ووظيفة اجتماعية .. بما تحقق للمجتمع من فائدة .
- وأول قيود الملكية ما أشرنا اليه سلفاً من تحريم الترف .

ان الملكية المترفة مذمومة .. وإذا بلغت هذا الحد فاما انتهى صاحبها
من نفسه ، والا كان لولى الأمر أن يقومه والسوابق الاسلامية في ذلك
كثيرة .

- ودفع الفسدة في الاسلام مقدم على جلب المصلحة .
- وتلك بعض غايات التشريع الاسلامي الحكيم .
- ويلحق بالترف أمور أخرى حرمها الاسلام .. كالاختكار ، والغش ،
والتطيف في الكيل والميزان .

ويلحق به كذلك الربا وهو آفة نفرد لها الحديث عند تناولنا للمصارف
بإذن الله . وهذه كلها فيها آثار كثيرة ومشهورة .

وثاني هذه القيود ما أقامه الاسلام من ألوان الملكية الجماعية .

وهي مرافق كان الاسلام أسبق في تقدير جعل ملكيتها في يد الجماعة
لا الفرد .. لأن خيرها يعم الجميع ، وضرر تركها أو منعها كذلك يعم
الجميع ، ومن ثم كانت الجماعة — ممثلة في أولى الأمر فيها — أقدر
على ادارتها لتحقيق غايتها .

والمثل التقليدي في ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :
الناس شركاء في ثلاث :

الماء والكلأ والنار .

لكن علماء المسلمين قاسوا عليه كل مرفق تظهر حاجة الجماعة
اليه وأهمية ملكيتها له .

وثالث هذه القيود : نظام الميراث .

الذى قد يبدو لأول وهلة .. أنه نظام رأسمالى اذ يعتمد باللكية
وينقلها الى ورثة صاحبها لكن المتأمل فيه يجده قيذا على الملكية ..
اذا يجرى توزيعها وفق نظام دقيق يكفل :

١ — تفتيت هذه الثروة وانتقالها الى أيد متعددة بدلا من احتواء
يد واحدة لها .

٢ — أنه يجرى توزيعه تبعا للحاجة .. فاذ كانت حاجة الأولاد
أشد من حاجة الآباء باعتبار أولئك مقبلين وهؤلاء مدبرون .. كان نصيب
الأولاد أكبر .. واذ كانت حاجة الذكر أشد من حاجة الأنثى اذ يقوم
هو على عائلة بينما تكون الأنثى من بين عائلة يقام عليها — كان كذلك
نصيب الذكر أكبر .

٣ — فوق أن النظرة الاقتصادية السليمة .. تجعل وضع الملكية
في يد الأبناء وهم أنشط — أولى من وضعها في يد الآباء والأغلب أنهم
طاعنون في السن — كذلك وضعها في يد الذكر أجدى للنشاط الاقتصادي
من وضعها في يد الأنثى .

وهكذا يمضى نظام الميراث حكيمًا ليؤدى وظيفة اقتصادية عظيمة
عجز البعض عن ادراكها فراح يبدل كلام الله ، وينتهك حدود الله ..
ويسوى بين الذكر والأنثى في الميراث .. ليحقق بذلك الظلم وهو يحسب
أنه يحقق العدل ، فليس البشر مهما كان بأعدل من الله .. ولا هو أحنى
على البشر من رب البشر .. الحنان المنان ، الرحمن الرحيم ، الكريم
الودود .. !

• ورابع هذه القيود ما يجتله من حق في المال •

الزكاة بأنواعها ••

ولو أخذت هذه الزكاة ممن تجب عليهم ، ووزعها ولي الأمر على من تجب لهم •

لحققت لونا من العدل الاجتماعي لم يبلغه نظام آخر •

ولحققت كذلك لونا من التقارب والتآخي •• بل ولاقتربت بالنظام من التوازن الذي يحبه الله في كل شيء !

وقديما غطت حصيلة الزكاة — مع حياة الضمائر — غطت الفقراء والمساكين والعاملين عليها •• وأعتقت الرقاب ، وغطت كذلك المدينين الغارمين !

وفي المال حق سوى الزكاة •

قد يتمثل فيما يفرضه ولي الأمر المسلم من ضرائب •

وقد يتمثل فيما يراه علاجا للوضع الاقتصادي قد يبلغ في بعض الظروف الاقتصادية الاستثنائية الا يملك أحد شيئا •• وفي الذين كانوا اذا سافروا أرموا •• وفي امتداح الرسول صلى الله عليه وسلم لهم مثل عظيم !

• وخامس هذه القيود •• منع الضرر :

فملكيتك حق ••

وللآخرين حق ••

وحتى لا يطغى حق على حق •• وجب أن يمتنع المسلم عن الضرر أو الضرار •• حتى يقف عند حدود حقه فلا يعتدي على حق الآخرين •

وبهذا يمتنع تجاوز استعمال الحق •

لكن داخل استعمال الحق نفسه يمتنع لون من الاضرار كذلك هو ما اصطلح على تسميته باساءة استعمال الحق ••

ويوم اكتشفت هذه النظرية في مطلع القرن العشرين التفت العالم

كله الى مكتشفها .. ونسى الناس — في غيبة الدعوة وغفلة الدعاة — أن الاسلام صاحبها الأول •

فقد نص رسول الاسلام على قاعدة : « لا ضرر ولا ضرار » وهو أساسها القانونى وطبق الاسلام صورا عديدة لمنع اساءة استعمال الحق في مقدمتها : حق الشفعة الذى يؤكد هذا القول تأكيدا عمليا •

وبهذه القيود .. تتحقق للملكية وظيفتها الجماعية الى جانب وظيفتها الفردية فكلان الملكية عملة ذات وجهين أحدهما فردى والثانى جماعى •

وهذا غير ما تتابع^(١) فيه بعض الكتاب — جريا وراء التعبيرات الحديثة من أن الملكية الفردية في الاسلام ذات وظيفة اجتماعية .. أن لها الوظائف الفردية والجماعية ليتحقق بذلك التوازن لهذا اللون من النشاط •

٢ — حرية اقتصادية متوازنة :

تحدث الاقتصاديون عن الحرية الاقتصادية •
فزعم أبناء الغرب أنها تتحقق في النظام الفردى •

وأن هذا النظام أجدى لتحقيق وفرة الانتاج وجودته ، وأن القيود التى تفرض على الحرية الاقتصادية .. لا يجنى أصحابها الا قلة الانتاج وردائه وهرب رأس المال وبحثه عن أوطان أخرى غير وطنه ، ومن ثم يتأثر الاقتصاد القومى تأثرا بالغا بالاجراءات التى ترد قييدا على الحرية الاقتصادية •

وزعم أبناء ماركس .. أن الحرية الاقتصادية في الغرب أورثت أزمات البطالة .. والدورات الاقتصادية والاحتكار .. وغيرها من المساوىء •

ومن ثم فلا سبيل الا بالقيود الثقيل الذى فرضوه .. وهو أن تكون الحرية للجماعة لا للفرد ولل فرد « قدر حاجته ، ومنه قدر قدرته » •

والحق أن الغرب أخطأ اذ أطلق الحرية •
والشرق أخطأ اذ جعل القيد أصلا •

وفي الاسلام تتوازن الحرية الاقتصادية بين الفرد والجماعة

(١) أى تسلسل •

بما يحول دون طغيان طرف على طرف .. وبما يحقق للنظام الاقتصادي
أمثل ما يتمناه ، مع نبذ مساوئ كل طرف غالى في الحرية أو غالى في
القيود !

٣ — نظام مصرفي متوازن :

في الغرب شاع النظام المصرفي القائم على سعر الفائدة ..
وهو تعبير آخر عن الربا وأدرك الناس متأخرين .. أن اليهود كانوا
وراء هذا النظام .. وأن بيوت المال قد تجمعت مقاليدها في أيديهم ..
لما صارت النقود تلد النقود بغير جهد وبغير عمل !

وأدرك علماء الغرب ما في الربا من خطر .

وراح البعض يحمي أثر الربا .. وغيره من ألوان الاحتكار على
الجريمة في أمريكا حتى قالوا أن أربعة ملايين ونصف مليون جريمة
خطيرة تقع كل عام .

— جريمة قتل كل ٢٩ دقيقة .

— جريمة اغتصاب (زنى بالاكراه) كل ١٧ دقيقة .

— جريمة سرقة باكراه كل دقيقتين .

— جريمة سرقة سيارة كل ٤١ ثانية .

— جريمة سرقة منزل كل ١٧ ثانية .

وهكذا ..

وصدق الله سبحانه « الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما
يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل
الربا ، وأحل الله البيع وحرم الربا » .

« فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله » .

« ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » .

« يمحى الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم » .

الى أن حمل لنا الوعيد رعييا بعدها بآية :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين » .

« فان لم تفعلوا .. فأذنوا بحرب من الله ورسوله » .

« وان تبتم فلکم رعوس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون^(١) » .
ومع هذه الصراحة .. راح البعض يتأول قول الله .. لا تأكلوا الربا أضعاضا مضاعفة^(٢) .

بما يخرج عن مراد الآية الكريمة .. ويفرق بين ربا الاستهلاك وربا الانتاج .

والبعض الآخر راح يحل الربا للدولة .. ويحرمه على الأفراد !!

بحجة احتياج الدولة .. للخروج من أزمتها .. :

بينما قادتها يرفلون في ترف داعر ، ونعيم حرام ..

واشتري هذا الفريق من العلماء رضى الناس بغضب الله .. واستحق ومن وافقوه أو حرضوه أو سكتوا عنه حرب الله ورسوله !

وبدلا من أن يأمر بتحريم الحرام من ذلك الترف الداعر .

راح يأمر بتحليل الحرام من الربا علجا لأوضاع أوجدوها هم ولم يوجدها أحد غيرهم !!

ولقد كانت .. توصيات مجمع البحوث الاسلامية صريحة^(٣) :

١ — الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم ، لا فرق في ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكي ولا ما يسمى بالقرض الانتاجي — لأن نصوص الكتاب والسنة في مجموعها قاطعة في تحريم النوعين .

٢ — كثير الربا وقليله محرم لا تبيحه حاجة ولا ضرورة ، والاقتراض بالربا محرم كذلك ، ولا يرتفع اثمه الا اذا دعت اليه الضرورة ، وكل امرئ متروك لدينه في تقدير ضرورته .

٣ — أعمال المصارف من الحسابات الجارية وصرف الشيكات

(١) البقرة ٢٧٥ — ٢٧٩ .

(٢) آل عمران ١٣٠ .

(٣) المؤتمر الثاني المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٥ .

وخطابات الاعتماد والكمبيالات الداخلية التى يقوم عليها العمل بين التجار والمصارف فى الداخل .. كل هذا من المعاملات المصرفية الجائزة ، وما يؤخذ فى نظير هذه الأعمال ليس من الربا .

٤ — الحسابات ذات الأجل وفتح الاعتماد بفائدة ، وسائر أنواع الاقتراض نظير فائدة كلها من المعاملات الربوية وهى محرمة .
٥ — أما المعاملات المصرفية المتعلقة بالكمبيالات الخارجية فقد أجل النظر فيها الى أن يتم بحثها .

٦ — ولما كان للنظام المصرفى أثر واضح فى النشاط الاقتصادى المعاصر ، ولما كان الاسلام حريصا على الاحتفاظ بالنافع من كل مستحدث مع انتقاء أوزاره وآثامه فان مجمع البحوث الاسلامية يصدد درس بديل اسلامى للنظام المصرفى الحالى ويدعو علماء المسلمين ورجال المال والاقتصاد الى أن يتقدموا بمقترحاتهم فى هذا الصدد^(١) .

وفى مؤتمر الفقه الاسلامى المنعقد بالرياض ذى القعدة سنة ١٣٩٦^(٢) أصدر فى صدد الفائدة ما يلى :

— العمل على الغاء المعاملات الربوية ومنها الفوائد المحددة .. لأنها ربا صريح وهى ضارة بالنشاط الاقتصادى حيث لا يتم التوازن الاقتصادى الا بالغائها ..

— التوسع فى انشاء مؤسسات مصرفية غير ربوية ودعم القائم منها ، والعمل على تشجيع بقية المؤسسات المصرفية العاملة فى البلاد الاسلامية على تطوير نظمها بما يتوافق مع أحكام الشريعة الاسلامية .

النظام السياسى الاسلامى

لا ينتظرن أحد أن نقدم له منهجا مفصلا لنظام سياسى اسلامى .. فذاك لا يمكن قبل أن تقوم دولة الاسلام ، ولا ينتظرن أحد أن نقدم صورا من التاريخ الاسلامى .. فذاك موضع دراسة أخرى .

انما نقدم بمشيئة الله تخطيطا لنظام سياسى اسلامى يحوى خطوطه الرئيسية التى لا يصح ان تخلفت كلها أو بعضها أن يقال عن نظام ما أنه نظام اسلامى ..

(١) من ٤٠١ ، ٤٠٢ من كتاب المؤتمر الثانى للبحوث الاسلامية .

(٢) أكتوبر ١٩٧٦ .

- ونحن في هذا بإذن الله — نـ نقدم سيئاً بدرر دليل •
 وفي اعتقادنا •• أنه يلزم لنظام سياسى اسلامى ثلاثة خطوط :
 أولها : شرعية اسلامية تظله •
 ثانيها : أمة تحمله •
 ثالثها : سلطة تحميه •
 وفتناول كلا بكلمة :

أولاً : الشرعية الاسلامية

قد يظن أن هذا اللفظ مستعار من أنظمة أجنبية •• لكن المتأمل يجد أنه في الأصل لفظ اسلامى من ناحية اشتقاقه •• ثم من ناحية لاقته ••

- فنحن أسبق من غيرنا الى الشرعية ، وأرسخ قدما والحمد لله ••
 فالشرعية اشتقاق من فعل شرع •
 وبين الشرعية والشرعية جناس كامل من ناحية اللفظ •
 وكذلك من ناحية المعنى •
 ففي فقه الاسلام لا شرعية بغير شرعية •
 « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ، ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » (١) •

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » (٢)
 وحتى تظل الشرعية الاسلامية نظاما ما لا بد من ثلاثة شروط :

أولها : أن يكون لله الشرع ابتداء :

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك

(١) الجاثية ١٨ •

(٢) الشورى ٢١

وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه « (١) •

وَألا يشاركه هذا السلطان أحد من البشر والا كان الشرك والكفر •

« أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » (٢) •

ورد الشرع الى الله ابتداء لا يعنى الجمود عن الاجتهاد ••
فيما سكت عنه الشرع رحمة بنا غير نسيان ، أو فيما جاء ظنى الدلالة ،
وذاك أمر الله اليها « ولو ردوه الى الرسول والى أولى الأمر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم » (٣) •

والاجتهاد وان لم يكن شرعا ابتداء الا أنه شرع ابتناء لا ابتداء أى
استمدادا من شرع الله واستنباطا منه ••

ومن ثم ففى ظل دائرة الاجتهاد نحن كذلك فى ظلال الشرعية
الاسلامية •

الشرط الثانى : أن تكون شريعة الله هى العليا :

وشريعة الله لا تكون عليا الا حين لا تكون معها شريعة أخرى
ولا تكون فوقها شريعة أخرى وليست الشريعة كما أشرنا من قبل —
قاصرة على مجال الأحكام وإنما تمتد الى كل المجالات وتشمل جميع
الأنشطة •

ولقد حرص الكتاب على التنويه بجعل شريعة الله هى العليا فى أكثر
من موضع فقولته تعالى « وكلمة الله هى العليا » (٤) تعنى أن تكون شريعة
الله هى العليا •• لأن لفظ كلمة اسم جامع لكلمات الله وبكلماته نزلت
شريعته •

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قاتل لتكون كلمة الله
هى العليا فهو فى سبيل الله » (٥) تعنى نفس الشيء •

(١) الشورى ٤٣ •

(٢) الشورى ٢١ •

(٣) النساء ٨٢ •

(٤) التوبة ٤٠ •

(٥) رواه المسند

وقول الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله أن الله سميع عليم » .

« يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون »^(١) .

الآية الأولى تعنى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله .. أى لا يكن لكم رأى ولا شرع ولا نظام فوق شرع الله ورسوله .. وهو ما عنيناه بأن تكون شريعة الله هى العليا .

أما الثانية فهى تحرم رفع الصوت فوق صوت النبي .

وليس من المعقول أن يحرم رفع الصوت ماديا فوق صوت النبي ويجوز رفعه معنويا بجعل شرع أو رأى فوق شرع النبي صلى الله عليه وسلم .. بل يمكن أن نقول أن صوت النبي هو الشرع .. « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى »^(٢) .

ولقد يكون هذا الشرط غريبا على من قبلوا تطبيق شريعة الله .

لكن يبدو لازما بالنسبة لقوم نصوا فى بعض دساتيرهم على أن الشريعة الإسلامية مصدر رئيسى فأجازوا بذلك أن تكون معها شرائع أخرى .. أو آخرون جعلوا الشريعة الإسلامية مصدرا ثالثا بعد التشريع الوضعي والعرف فجعلوا فوق شريعة الله شرائع أخرى .. كذلك بالنسبة لمن يطبقون .. فقد يجعلون مع شريعة الله شرائع أخرى فى بعض المجالات التى يظنون أن الشريعة سكنت عنها وفى الحقيقة أنها لم تسكن ، مثل النظم المصرفية وكثير من النظم الاقتصادية والاجتماعية بل والسياسية !

من هنا كان لابد من التنويه بهذا الشرط لنقول أنه اذا لم تكن شريعة الله هى العليا لا شريعة معها ولا شريعة فوقها فانه لا شرعية للنظام الذى يزعم لنفسه أنه اسلامى .

(١) الحجرات ١ ، ٢ .

(٢) النجم ٣ ، ٤ .

الشرط الثالث — أن تطبق شريعة الله شاملة غير مجزأة :

وشريعة الله شاملة العقيدة والأخلاق ، وشاملة الشعائر والمعاملات
وهي بهذا الشمول لا تقبل التجزئة :

فطسرة :

لأنها بناء متكامل يشد بعضه بعضا ، ويتر بعض الشريعة كهدم
بعض البناء ان لم يؤد الى هدمه كله .. فعلى الأقل يعجزه عن أداء
وظيفته كاملة .

أو هي شفاء متكامل ، وترك بعض الدواء يؤدى الى عدم الشفاء
ان لم يؤد الى تفاقم المرض .

وهي لا تقبل التجزئة . شرعا لأن الله سبحانه وتعالى جعل
الاسلام هو هذه الشريعة المتكاملة ويتر جزء .. أو استبدال غيره به ..
لا نستطيع معه أن نقول انه هو الاسلام الذى رضىه لنا الله !
فضلا عن أن الله سبحانه حذرنا هذه الفتنة .

فقال : « واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك^(١) »
وعقب على هذه التجزئة بقوله « أفحكم الجاهلية بيغون ومن أحسن
من الله حكما لقوم يوقنون^(٢) » .

فالذى يأخذ كل نظامه من عند غير الله .. كالذى يأخذ بعض
نظامه من عند غير الله قد رضى حكم الجاهلية وأعرض عن حكم الله .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حالت شفاعته دون حد
من حدود الله فقد ضاد الله في حكمه^(٣) » فجعل تعطيل حد واحد من
حدود الله مضادة لله في حكمه ، ومحادة له في أمره .. فكيف بمن عطل
أكثر من حد ، ومنع أكثر من حكم ؟

وهكذا كانت تجزئة شريعة الله :

فتنة .

(١) المائدة ٤٩ .

(٢) المائدة ٥٠ .

• وجاهلية •

• ومحادة لله ورسوله •

• ومن ثم كانت مرفوضة غير مقبولة •

• وهكذا تكتمل للشرعية شروطها •

• اذا كان لله الشرع ابتداء •

• اذا كانت شريعة الله هي العليا •

• اذا طبقت شاملة غير مجزأة

قدم سليمان بن عبد الملك المدينة فأرسل الى أبي حازم .. فكان
مما قاله سليمان :

— يا أبا حازم : مالنا نكره الموت ؟

— لانكم خربتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فكرهتم أن تنتقلوا
من العمران الى الخراب ..

— فقال : يا أبا حازم : كيف القدوم على الله ؟

— قال يا أمير المؤمنين : أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله ،
وأما المسييء ، فالآبق يقدم على مولاه •

— فبكى سليمان وقال : ليت شعري ، ما لي عند الله ؟

— قال أبو حازم أعرض نفسك على كتاب الله ، تعالى حيث قال :
(ان الأبرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) •

— فقال سليمان : فأين رحمة الله ؟

قال : قريب من الحسنين ..

— ثم سأله بعد ذلك ؟ ما تقول فيما نحن فيه ؟

— قال أو تعفيني ؟ ثم قال : ان آباءك قهسروا الناس بالسيف ،
وأخذوا هذا الملك عنوة من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم ^(١) •

(١) تفصيل ذلك في تفسير القرطبي •

وقيام الشرعية الاسلامية على هذا النحو ، أو تطبيق الشريعة الاسلامية بهذه الشروط يستتبع ويستلزم للنظام الاسلامي .. أن توجد أمة تحمله وأن توجد سلطة تحميه ولهذه وتلك من السمات والشروط ما يحتاج لشيء من التفصيل .

ثانيا - أمة تحمل الحق :

« وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون^(١) » .

وهذه الأمة التي جعل الله لها الخيرية على سائر الأمم جعلها بحقها وشروطها وهي أن قامت فيها هذه الشروط كتب الله لها الخلود . ولقد بقيت الأمة الاسلامية رغم المحن والازمات ، ورغم تقلبات الحكم والحاكم . بقيت بحمد الله حافظة لكتاب الله محفوظة بعناية الله حتى لقد صرح ما قاله أحد الأئمة من أن العصمة في الاسلام للأمة لا للامام ، وصرح ما نقوله من أن الأمة الاسلامية كانت بعد الكتاب العزيز من أكبر آيات الله العزيز الحميد ..

فلو أن أمة أخرى تعرضت لما تعرضت له الأمة الاسلامية من كيد وبطش وعسف لما كان لها اليوم وجود .

وان الأمة التي أخرجت أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وعمر بن عبد العزيز من الحكام ، وأخرجت من العلماء العاملين : أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد بن حنبل ومن بعدهم الذين « صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا^(٢) » .

وحج الرشيد عاما فلقبه عبد الله العمري في الطواف .. فقال يا هارون قال لبنيك يا عم ، قال كم ترى هنا من الخلق لا يحصيهم الا الله .. قال أعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه ، وأنت واحد تسأل عنهم كلهم فانظر كيف تكون فبكي هارون وجلس فجعلوا يعطونه منديلا منديلا للدموع ثم قال له ان الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه .. فكيف بمن أسرع في مال المسلمين^(٣) .

(١) الاعراف ١٨١ .

(٢) الاحزاب ٢٢ .

(٣) سراج الملوك للعلامة ابي بكر محمد ابن الوليد طبعة سنة ١٢١١ ومملى مقدمة ابن خلدون ص ٦٦ .

والأمة الإسلامية وإن كانت اليوم تبدو مفككة ضعيفة .. فإنها
تحمل عناصر الابتعاث ..

وهي في ابتعاثها لا تحتاج الى وقت طويل ! وقد أدرك ذلك بعض
المستشرقين فقالوه وحذر منه •

ونحن بحاجة في هذه العجالة أن نشير الى سمات هذه الأمة وتكملها
أخرى أشرنا اليها في مكان آخر •

فهي أولا آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر :

ولا يمكن أن تأمر بمعروف ولا تأتية ، أو أن تنهى عن منكر وتأتية ،
ففاقد الشيء لا يعطيه فأمرها ونهيها يعنى أنها تقيم هذا المعروف وتلفظ
ذلك المنكر •

وكل ما أمر به الله ورسوله معروف بل هو أعرف المعروف •

وكل ما نهى عنه الله ورسوله منكر بل هو أنكر المنكر •

وهي ثانيا تؤمن بالله :

وايمانها بالله يعنى أنها تقوم على التوحيد ..

ولا تقارب بين توحيد وثلاث

ولا تقارب بين توحيد وشرك ..

ولا تقارب بين توحيد وغيره من العقائد الفاسدة ..

وهي ثالثا تقوم مع التوحيد على الوحدة :

« ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ^(١) » •

وهذه الجنسيات ، وهذه الحدود دخيلة عليها .. ليست من أمر

الله في شيء والأمة الواحدة .. هي التي انتصرت من قبل ..

ولقد رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم عصبية الجاهلية وقال

دعوها فإنها منتنة ، ورفض المناداة بالعصبية بين الأنصار والمهاجرين •

(١) الانبياء ١٢ •

حين نادى أحدهم •• يا لأنصار ونادى آخر ، يا للمهاجرين فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا وقال أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم ؟

ونزل الكتاب العزيز يؤكد قول الرسول الكريم « يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين ، وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله (١) » .

وهكذا كانت الفرقة والجنسيات والحدود •• جاهلية أو كفرا ••

وكانت الوحدة أخت الايمان : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون » واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا (٢) » .

وامتدح الرباط الذى وحد الأمة فى كتابه ، فقال عن المهاجرين « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » (٣) .

وقال عن الأنصار « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » (٤) .

وهكذا قامت دولة الاسلام الأولى تضم كل من قال لا اله الا الله بغير تفرقة لوطن أو جنس وبغير اعتراف بحدود أو جنسية .

وهكذا ينبغى أن نقوم مرة أخرى ا

ثالثا : سلطة تحمى الحق

قلنا لابد من أمة تحمل الحق وسلطة تحمى الحق • هذه السلطة لابد لها من أمرين : هوم بهما :

١ - اقامتها شريعة الله

وهذا أساس شرعيتها الأولى .

(١) آل عمران ١٠٠ و ١٠١ .

(٢) آل عمران ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٣) الحشر ٨ .

(٤) الحشر ٩ .

وبغيره تغدو سلطة غير شرعية يجب جهادها • وإقامتها شريعة الله
لا بد أن يكون على النحو الذي أشرنا إليه •

٢ - قيامها على رضى المسلمين بها :

والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها :

(أ) أن الرضى أساس المعاملات فى الاسلام •• « الا أن تكون
تجارة عن تراض منكم^(١) » • والامامة أو الخلافة عقد بين الخليفة
والرعية يلزم له الرضى •

(ب) أن الرضى لازم لصحة الامامة الصغرى •• امامة الصلاة
فوجب الرضى من باب أولى لصحة الامامة الكبرى امامة المسلمين •

(ج) لقول الله سبحانه « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى
الأمر منكم »^(٢) فدللت الآية فى الطاعة على الشرط الأول وهو اقامة
شريعة الله ، ودلت بلفظ منكم على الشرط الثانى وهو الرضى فانهم
لا يكونون منا بغير رضى منا •

(د) لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرص على غرس
هذا الأصل فى المجال السياسى بما فعله ببيعة العقبة الأولى والثانية
مع أنه رسول الله وما كان بحاجة الى رضى الناس •• لكنه حرص حين
مهد لاقامة الدولة أن تكون امامته ورئاسته لهذه الدولة برضى من
المسلمين •

(هـ) ثم ما فعله حين ترك تعيين خليفة من بعده ليتم اختياره برضى
المسلمين الأمر الذى حرص عليه الخلفاء الراشدون من بعده على تفصيل
ليس هنا محلّه •

(و) لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

« فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فانه لا بيعة له
ولا للذى بايعه تغرة أن يقتل » •

(ز) وهذا ما طبقه عمر بن عبد العزيز حفيد عمر بن الخطاب رضى
الله عنهما حين ولى أمر المسلمين فقال : « أيها الناس لقد ابتليت بهذا

(١) النساء ٢٩ •

(٢) النساء ٥٩ •

الأمر من غير رضا منى ولا مشورة من المسلمين وانى قد خلعت ما فى أعناقكم من بيعة فاختراروا لأنفسكم» *

فأعاد بذلك تصحيح الوضع الى ما كان عليه فى عهد الراشدين *

فاذا قامت السلطة على شريعة الله ثم على رضى المسلمين *

فلا يهم الشكل بعد ذلك :

لا يهم أن نسميها خلافة *

أو أن نسميها امامة *

أو نسميها امارة *

أو غير ذلك من الأسماء ما دام قد توافر لها هذان الركنان الأساسيان فان انهار أحدهما انهارت الشرعية التى تستند اليها السلطة وفى الأمر تفصيل ليس محله هذا المقام^(١) *

(١) راجع فى تفصيل ذلك نظرية الخروج — المروعة الاسلامية العليا : للدكتور على جريشة .

وبعد

● فتلك شريعة الله .. البذرة الطيبة .. التى تؤتى أكلها كل حين
بإذن ربها وهى كما أشرنا فى أكثر من موضع لا تقبل التجزئة .

● وواجب الدولة بالنسبة لكل جوانبها واجب مزدوج .. فهو
إيجابى من ناحية .. يرمى ويصون ويوجه ويدافع بالكلمة ، والصورة ،
والسيف !

وهو سلبى من ناحية أخرى .. يمنع ويحول .. دون أن يخدش
عقيدة ، أو خلقا ، أو شعائر أو نسكا بالكلمة المنشورة أو المتطورة .
وبالتربية فى المدارس والبيوت وبالحدود ، والقصاص ، والتعزير !

وذلك هو الفهم السليم .. لحراسة الدين وسياسة الدنيا به .
وهو تعريف الخلافة ، وتعريف كل حكم شرعى ، أو يريد لنفسه
الشرعية !

● ومن ثم :

● فعلمانية القانون .. عدوان على الشرعية الاسلامية .

● وعلمانية التعليم .. عدوان على الشرعية الاسلامية .

● وعلمانية الاعلام .. عدوان على الشرعية الاسلامية .

● وعلمانية المجتمع .. بعلمانية تقاليده ، وخلق ، وعاداته .. عدوان
على الشرعية الاسلامية .

● وعلمانية الاقتصاد .. (بقيامه على الربا أو افتقاره لخصائضه
الرئيسية) عدوان كذلك على الشرعية الاسلامية .

● وعلمانية الحكم (بقيامه على غير الشرعية ، أو على غير رضى
الناس) عدوان صارخ على الشرعية الاسلامية .

● تماما ..

● كما لا يقبل من الفرد أن يصلى .. ويترك الزكاة .

وكما لا يقبل منه أن يصوم .. ويقول الزور أو يعمل به •
وكما لا يقبل منه أن يحجج .. ويرفث أو يفسق •
وكما لا يقبل منه أن يفعل ذلك كله .. ثم يترك الجهاد ذروة سنام
الاسلام أو يجاهد .. ثم يستبيح لنفسه ما نهى عنه الاسلام •
من كذب ، أو خلف ، أو خديعة ، أو خيانة .. !
انها لكبيرة ممن وضع نفسه هذا الموضع ..
كذلك هي كبيرة ممن رفعوا شعارات الايمان أو الاسلام ثم أعرضوا
عن حكم الله .. في الاقتصاد •
أو في السياسة •
أو في الاجتماع •
أو في العقيدة ..
أو في الأخلاق .. !

● ويبقى — كيف لنا — أن نعود الى تحكيم الشريعة كلها .. كما
كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن تبعهم
بإحسان ؟

والرد ..

رسول الله بدأ من القاعدة .. لكنه لم يغفل القمة ..
فكان تركيزه على الضعفاء والمساكين ، وكانت رسله وكتبه الى
الملوك • ونحن ..

كثيرا ما بدأنا من القاعدة .. وركزنا عليها .. وتركنا القمة ليستعملها
غيرنا في حربنا وقامت أماننا الصعاب في القاعدة •

فنحن نبني .. وغيرنا يهدم .. اذاعة ، تليفزيون ، سينما ،
صحافة ، رأى عام وحرب القمم لنا — حرب مجردة من المبادئ والقيم
الانسانية التي كان يعرفها العرب في جاهليتهم ، والتي دفعتهم أن يفكوا
الحصار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بعد ما ظلوا فيه
ثلاث سنين ، ودفعت أمثال أبى سفيان أن يشهد لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لما سئل عنه وأمثال عتبة أن يشهد للقرآن شهادة حق ..

فهل لنا .. أن نصبر على القاعدة .. حتى نخلص لنا قاعدة صلبة
الايمان قوية اليقين ؟

وهل لنا .. أن نبحت عن قمة عاقلة .. تسمح لنا بالبناء .. دون
أن تهدم .. ودون أن تحارب من يبني .. ولها .. ألا تنازع الملك
والسلطة !

ان قاعدة عريضة مؤمنة .. وقمة عاقلة متبصرة .. هي أمل الاسلام
القريب والله المستعان ..

* * *

المراجع

- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الاسلام
ابن تيمية •
القرب في محبة العرب للحافظ العراقي •
الفكر الاسلامي المعاصر : دراسة وتقويم لغازي التوبة •
الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي للدكتور محمد البهي
تهافت الفكر المادي بين النظرية والتطبيق للدكتور محمد البهي
الايمان الحق : شهادة وعقيدة وعبادة للدكتور المستشار علي محمد جريشة
في الزنزانة للدكتور المستشار علي محمد جريشة
عندما يحكم الطغاة للدكتور المستشار علي محمد جريشة
الاسلام يتحدى — مدخل علمي للايمان لوحيدي الدين خان •
حاضر العالم الاسلامي تأليف لوثروب ستودارد وترجمة نويهض
وتعليقات شكيب ارسلان •
حضارة العرب لغوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر •
الغارة على العالم الاسلامي ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي
الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين •
الاسلام والحضارة الغربية للدكتور محمد محمد حسين •
حصوننا مهددة من داخلها — في أوكار الهدامين للدكتور محمد محمد حسين
الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية لأبي الحسن الندوي •
الاسلام في وجه التغريب : مخططات الاستشراق والتبشير للأستاذ
أنور الجندى •
العالم الاسلامي : الاستعمار السياسي والثقافي والاجتماعي للأستاذ
أنور الجندى •
بين الرابطة الاسلامية والفكرة القومية لأبي الأعلى المودودي •
مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ليوسف كمال محمد
لم هذا الرعب كله من الاسلام للأستاذ جودت سعيد •
التبشير والاستشراق : أحقاد وحملات للمستشار محمد عزت اسماعيل
الطهطاوي •
المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والاسلام لابراهيم خليل أحمد
أفيون الشعوب للعقباد

حقيقة الشيوعية — سلسلة اخترنا لك — الشيوعية والانسانية لعباس
محمود العقاد •

الاسلام والشيوعية للدكتور عبد الحليم محمود •
الخطر اليهودي — بروتوكولات حكماء صهيون : ترجمة محمد خليفة
التونسي •

الصهيونية بين الدين والسياسة لعبد السميع الهراوي •
العالم العربي اليوم لمورو بيرجر
أحجار على رقعة الشطرنج لوليم غاي كار : ترجمة سعيد الجزائري •
لعبة الأمم لمايلز كوبلاند تعريب مراد سرخيس •
وجهة الاسلام لهاملتون جب وآخرين •
تقرير لورد كرومر سنة ١٩٠٦
أعمدة الحكمة السبعة للورنس •

مقومات الاقتصاد الاسلامي للاستاذ عبد السميع المصري •
الاسلام في وجه الزحف الأحمر لمحمد الغزالي •
ماركسية القرن العشرين ترجمة لكتاب جارودي (التحويل الكبير في
الاشتراكية) لنزيه الحكيم •

الخطر الصهيوني على العالم الاسلامي للمجد كيلاني •
تجربة عربي في الحزب الشيوعي لقدرى قلجى •
حوار مع الشيوعيين في اقبية السجون لعبد الحليم خفاجى •
مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام ليوسف كمال محمد
نحن والشيوعية في الآونة الأخيرة للدكتور سعدون حمادى •
مؤامرة اليهود على المسيحية لأميل الغورى •
الكنز المرمود في قواعد التلمود للدكتور روهنج ترجمة الدكتور
يوسف نصر الله

خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية لعبد الله التل •
اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية لايليا أبو الروس •
الماسونية في العراق للدكتور محمد علي الزعبي •
الجمعية الماسونية : حقائقها وخفاياها للدكتور أحمد غلوش •

المقهرس

صفحة

٥	• • • • •	باب تمهيدى
٨	• • • • •	الباب الأول الاتجاه الغربى
١٠	• • • • •	توطئة
١٥	• • • • •	الفصل الأول مراحل الغزو الفكرى
١٦	•	المبحث الأول : مرحلة ما قبل اسقاط الخلافة الاسلامىة
١٦	• • • • •	أولا : الحروب الصليبية
١٨	• • • • •	ثانيا : الاستشراق
٣٠	• • • • •	ثالثا : التبشير
٣٥	• • • • •	رابعا : تقطيع أوصال دولة الخلافة
٣٧	• •	المبحث الثانى : مرحلة اسقاط الخلافة الاسلامىة
٣٧	• • • • •	أولا : فصل الدين عن الدولة
٣٩	• •	ثانيا : نشر القومية فى مواجهة الخلافة الاسلامىة
٤٠	• • • • •	ثالثا : اسقاط الخلافة الاسلامىة
٤٤	•	المبحث الثالث : مرحلة ما بعد اسقاط الخلافة الاسلامىة
٤٥		الفصل الثانى التغيير السياسى والاجتماعى فى المنطقة الاسلامىة
٤٥	• • • • •	المبحث الأول : التغيير السياسى
٥٥	• • • • •	المبحث الثانى : التغيير الاجتماعى
٥٨	•	المبحث الثالث : أساليب التغيير الاجتماعى أو التخريب
٥٩	• • • • •	أولا : العلمانية
٦٢	• • • • •	العلمانية فى التعليم
٧٠	• • • • •	العلمانية فى الاعلام
٧٣	• • • • •	العلمانية فى القانون

الموضوع	صفحة
ثانيا : القومية	٧٥
ثالثا : تحرير المرأة	٨٥
المبحث الرابع : ما يفعل بنا الصليبيون	٩٢
١ - في الفيلبين	٩٣
٢ - في أثيوبيا	٩٤
٣ - في تايلاند	٩٤
الباب الثانى الاتجاه الماركسى	١٠١
الفصل الأول الوعاء	١٠٦
المبحث الأول : البيئة	١٠٧
المبحث الثانى : مؤسس الفكرة	١١٠
الفصل الثانى المبدأ	١١٣
المبحث الأول : المبدأ فى أساسه	١١٥
أولا : المادة	١١٥
ثانيا : الجدول	١١٧
المبحث الثانى : الماركسية والدين	١٢٠
الفصل الثالث ماذا فعلت الماركسية بالمسلمين	١٢٥
المبحث الأول : المسلمون فى الاتحاد السوفيتى	١٢٥
المبحث الثانى : المسلمون فى البلاد الماركسية الأخرى	١٣١
أولا : فى الصين	١٣١
ثانيا : فى يوغوسلافيا	١٣٢
ثالثا : من بلغاريا	١٣٣
رابعا : من ألبانيا	١٣٦
خامسا : من الصومال	١٣٧
المبحث الثالث : كيف يعملون الآن فى العالم الاسلامى	١٣٩
الباب الثالث الصهيونية (اليهودية العالمية)	١٤٧
الفصل الأول تعريف الصهيونية ومنشؤها	١٤٩

الموضوع	صفحة
الفصل الثاني مقومات الصهيونية	١٥٤
الفصل الثالث مناهج الصهيونية ووسائل تنفيذها	١٦٣
الفصل الرابع المنظمات الصهيونية	١٧٧
الباب الرابع اتجاهات اسلامية	١٨٥
الفصل الأول اتجاهات قاصرة	١٨٩
المبحث الأول : الاقتصار على العقيدة	١٩٠
المبحث الثاني : الاقتصار على النسك	١٩٧
المبحث الثالث : مدارس العقل والعقلاء	٢٠١
الفصل الثاني محاولة لخط اسلامي أصيل	٢٠٦
المبحث الأول : ضلال وقصور	٢٠٦
المبحث الثاني : أين الطريق	٢١١
الفصل الثالث جوانب شريعة الله	٢١٦
المبحث الأول : العقيدة والأخلاق والشعائر	٢١٧
المبحث الثاني : بقية الجوانب	٢٢٣
النظام الاقتصادي الاسلامي	٢٢٤
النظام السياسي الاسلامي	٢٣٨
المراجع	٢٥٢
الفهرس	٢٥٤

رقم الإيداع ١٥٦٧ / ١٩٧٨



تليفون ٥٥٢٢١١

دار الأحياء

تطعيم و سبر و سبورج
شاهره ٨ شارع حسين حيدري
بغداد ٣١٧٥٨



To: www.al-mostafa.com